محمد رسول اللّٰه

صل الله علية وسلم

تأليف

السفير محمد أمين جبر

مكتبة جزيرة الورد

مُحَمَّدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم

السفير

محمد أمين جبر



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : **محمد رسول الله ﷺ**

المـــؤلف : السفير محمد أمين جبر

رقم الإيداع : ٥٨٠٤/ ٢٠١٩

الترقيم الدولي: ١-١١٧-٧٣٤-٩٧٧-٩٧٨

الطبعة الأولى ٢٠١٩



القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com



﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

الإهداء

من عبدٍ للّه ...

فقيرٌ إلى اللّه ...

عاشقٌ لرسول اللّه ﷺ ..

إلى كل الناس دون تفرقة بينهم في دنيا الحياة ..



المحتويات

تمهيد ٩

كتاب «محمد» للدكتور نظمي لوقا ٩

كتاب «المائة أعظمهم محمد» لمايكل هارت ١٤

كلمات للإمام محمد متولي الشعراوي ٢٠

السيرة النبوية للإمام محمد ماضي أبو العزائم................................ ٢٥

مقام النبي محمد في آيات من القرآن ٢٨

عن كتابي هذا ٣١

من هو محمد ؟ ٣٥

«قيم حضارية في دعوة النبي » للإمام أبي العزائم ٤٧

محمد السراج المنير ٥٧

الحياة مع الرسول ٧٥

الملحدون ينظرون ولا يبصرون ٨٨

كيف كان يرى محمد الدنيا؟.. ٩٣

دين واحد ٩٥

وفي آيات القرآن الكريم خصائص النبي ٩٩

فقه شهادة أن محمد رسول الله ١٠٧

الأخلاق عند النبي محمد ١١٢
الأخلاق في السنة النبوية ١١٦
المختار من أحاديث النبي ١١٨
ما علَّمه الله للنبي محمد ١٣٧
محمد والتوحيد ١٤٣
توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية في دين محمد ١٤٧
القدوة محمدية ١٥١
هذا هو محمد ١٥٧
قبس من صلاة النبي ١٥٩
معجزة الإسراء ١٧٦
السرعة في الإسراء ١٨٠
من مواهب النبي الروحية ١٨٤
الرؤية في اليقظة ١٨٤
الإلهام ١٨٥
الجلاء السمعي والبصري ١٨٦
الإدراك فوق الحسي ١٨٩
عن الثقات وأئمة الحديث ١٩١
أدب التعامل مع رسول الله ١٩٧
فضل النبي الثابت بكتاب الله ٢٠٣

القرآن والنبي الخاتم ٢٠٦
يسوع المسيح يقول ٢١٢
أمهات المؤمنين زوجات النبي ٢٢٠
خاتمة ٢٣٠
صلوات على حضرة النبي ٢٤٦
الجوهرة ٢٤٦
الدُرَّة ٢٤٨
النفيسة ٢٥٠
نبذة عن المؤلف ٢٥٢
كتب للمؤلف لم تنشر بعد ٢٥٣

تمهيد:

كتاب (محمد) للدكتور نظمي لوقا

قبل أن أبدأ كتابي (محمد) صلوات الله وسلامه عليه وهو ليس كتابا في السيرة النبوية أود أن أشير إلى وأشيد بكتابين للدكتور المسيحي نظمي لوقا أستاذ الفلسفة الذي أنصف الإسلام ونبي الإسلام ، وهما «محمد في حياته الخاصة»، و«محمد الرسالة والرسول» . ونظمي لوقا لم يتخلى عن مسيحيته بل كتب عن النبي محمد من منطلق الإخلاص لمبادئه المسيحية والتمسك بجوهرها وأخلاقياتها . في كتابه «محمد الرسالة والرسول » يقول لمن يقرأ كتابه : «لتكن ديانتك ما تكون فهذا شانك وحدك، ولكن أدعوك إلا تتخذ فيها ذريعة للتعصب ضد الديانات الأخرى بل اجعل من جميع أتباعها إخوة لك واجعل من تلك الديانات أخوات ديانتك في التوبة إلى الله ، في تنزه عن الأنانية والتعصب وفي حب شامل للبشرية كافة » انتهى . وفي كتابه «محمد في حياته الخاصة » نبَّه إلى أن «نفرا من الناس ذهب ظنهم إلى أن إنصاف عقيدة من العقائد لا يمكن أن يصدر إلا عن شخص يدين بالعقيدة التي يدفع عنها الافتراء ، وبالتالي لا يدافع بالضرورة عن الإسلام أو ينصفه إلا مسلم ، وهو ظن باطل » . ويستطرد الدكتور نظمي لوقا المسيحي المولد والمعتقد والذي يقول عن نفسه أنه من رقيق الأرض المتمردون على الأغلال !! فيقول في التنبيه في بداية كتابه : «

ليست كتبي هذه كتبًا دينية في جوهرها ومنهجها وغايتها الأصلية ، وإن عالجت أمورًا متصلة بالدين ، فالغرض الأول منها الحث على نزاهة العقل والضمير بصفة عامة ، والنظر في سائر الأمور نظرًا موضوعيًا مبرءًا من التحيز والتحامل بحيث يكون التفكير الإنساني أشبه بما يدور في معمل التحليل الكيماوي : لا تتأثر نتيجة تحليل الدم إلا بالعناصر التي يتكون منها هذا الدم فعلا . ولا دخل في هذه النتيجة لأن تكون قطرات الدم لذي قربى أو لأبعد الغرباء ، هذه النزاهة الموضوعية أسمى منهج عقلي متاح للبشر . وهي أشق ما يكون حين يتصل الموضوع بالعواطف الشخصية ولا سيما المعتقدات .

لأن التجرد من هذه المؤثرات الذاتية جد عسير .. لهذا السبب تعمدت البحث في الإسلام جاعلاً من هذا الموضوع نمطًا للمنهج العام الذي أدعو إليه وليكون حجة ومثلا على الموضوعية المرتفعة عن التحيز .

وإذا كان المنهج الموضوعي يسمح للدارس بغير اعتراض أن يكتب عن الكواكب البعيدة من غير أن يكون من سكانها ، وعن المعادن من غير أن يكون ضربًا من الحديد أو النحاس ، وعن السيارات من غير أن يكون سيارة ، فأي عجب أن يكتب بهذا المنهج الموضوعي عن الإسلام من ليس في عداد المسلمين؟ ألا إن الإنصاف النزيه أثمن فضائل الإنسان وهو أجدر أن تتصف به نظرتنا إلى الأمور كافة بما في ذلك الأديان التي ندين بها أو يدين بها سوانا .. » وفي نهاية التنبيه يقول : الدكتور تظمي لوقا : « وفي مرجوِّي أن يقرأ القارئ صفحاتي بمثل الروح التي كتبت بها .. وسلام على الصادقين .. » انتهى .

وفي الإهداء يوجه كتابه إلى السائرين في الظلمة ..

وإلى من يلوح لهم من أنفسهم – فجر جديد .. وإلى زوجته الفاضلة خير شريك له في أمانة الفكر والقلم وأمانة الحياة وقد وصلته وقد قطعه الناس ..

وواسته وشدَّت من عزمه .. وكانت – كما يقول – «سكنا لنفسي وملاذًا وقالت لي: « لا تهن يا رجل !!» حين أقبلت المحن كأنها قطع الليل .. خير زوجة هي .. وخير صديق .. وخير أم .. » انتهى [1].

***

لقد أنصف الدكتور نظمي لوقا بحق قوامه الصدق والحيدة والموضوعية والفكر غير المنحاز أنصف محمد رسول الله وخاتم النبيين في كتابه ودفع عنه الكثير مما قدح به الذين لا يعلمون وغير المنصفين للحق عن شخصيته ونبوته ورسالته ومواقفه في سيرته من أمور كثيرة لن أذكرها هنا وإنما أحيل القارئ إليها لقراءاتها في أصلها الذي يتوخى فيه واصفه إلى تطبيق منهجه الموضوعي والعقلاني المقنع الذي كان يدعو إليه وسأكتفي فقط بنقل المقتطفات التالية التي ذكرها ومؤكدًا أنني لا أعرف الحق بالرجال وإنما أعرف الرجال بالحق .. وهذا قدري في معرفة الدكتور نظمي لوقا الذي لم أره قط في حياتي .

يقول الدكتور نظمي لوقا في كلمة في معنى الشرف والشرفاء في بداية كتابه المذكور : « ... وننتقل إلى محيط الفكر فنجد الناس طوائف في الرأي والعقيدة ولكن شرف كل صاحب رأي وفضل كل معتقد إنما هو في نقاء أخلاصه للرأي أو العقيدة منزهًا عن المصلحة الذاتية أو المصلحة الطائفية ، فكلاهما مطية الهوى والتعصب المغرض سواء في ذلك التعصب للنفس أو للحزب أو للمذهب ، فهو يعوق المر ء عن تبين محجة الصواب إذا عرضت عليه ، كمن على عينيه غشاوة أو عصبة تحجب المرئيات . وتلك هي الخيانة لأمانة الحقيقة ، خيانة تقابل موقف من يقدم مصلحة العشيرة مثلا على مصلحة الوطن العليا .. لأن الحقيقة هي الوطن الأعظم لكل صاحب عقل وضمير . فالذي يهدر نزاهته تعصبًا منه لرأي

(١) يراجع كتاب : « إسلاميات كاتب مسيحي » للدكتور / محمد الباز – الناشر مكتبة جزيرة الورد .

معين يخصه وحده أو يخص جماعة معينة من الناس هو منهم ، خائن خيانة لا تقل عن خيانة الوطن بحال من الأحوال ..

وننتقل إلى محيط الأخلاق .. فنجد وطنا أكبر لجميع البشر ، هو وطن الصدق والعدل .. فما الأخلاق بغير صدق لا يداور ولا يداجي وبغير إنصاف لا يجور ولا يحابي ؟

والصدق والعدل هنا وطن مشاع لجميع الناس . الخصم منهم والصديق . كما أن الوطن يضم شتى العشائر والأحزاب ؛ وذوي القرابة ومن بيننا وبينهم ترة أو خصومة .

فإن جاز أن نضحي بالوطن في سبيل خصومة أو محاباة ، جاز كذلك أن نضحي بمبدأ الصدق والإنصاف في سبيل خصومة أو محاباة !

ولئن قيل في الوطن المعمور أن من قتل نفسًا واحدة فكأنما قتل الناس جميعًا .. وليس للوطني الحق أن يتستر على القتل ، ولو كان القاتل أخاه وكان المقتول عدوه المبين . كذلك في الوطن الروحي أو الأخلاقي من افترى على نفس واحدة كذبًا فكأنما افتأت على شرف الناس جميعهم وعرضهم وسمعتهم .. وليس للشريف ذي المروءة حقًا أن يتستر على ذلك الافتراء الوضيع ، ولو كان المفترى عليه خصمه في الرأي أو مخالفًا له في العقيدة .

أجل ينبغي أن يكون للفضل عرض عام وشرف مشترك مشاع بين الفضلاء والشرفاء على تباينهم في الرأي والعقيدة . ومن لم يشعر بالتأذي والغضب لفرية تصيب خصيمه أو المخالف له ، فماذا يبقى له من معنى الشرف والمروءة ؟

«وإذا أحببتم من يحبونكم فقط فأي فضل لكم ؟ » ..

« وإذا أحسنتم إلى الذين يحسنون إليكم فقط فأي فضل لكم ؟ » ..

هكذا قال السيد المسيح ، في رسالة المحبة العظمى .. ومن يسأل هذا السؤال الضخم ، حرى أن يسأل كذلك :

« إن غضبتم غضب الغيره على شرف من يشاركونكم الرأي فقط فأي فضل أو مروءة أو شرف يبقى لكم ؟ » ..

إن الحماسة للحق أينما كان ، ولمصلحة كائن من كان ، والغيرة عليه هي لباب الشرف القويم ، فما الشرف إن لم يكن تجاوز أشخاصنا المحدودة إلى قيم عامة لا يعنينا أن تكون مغانمهما لنا أو لسوانا ، ويعنينا الدفاع عنها حين تهدر ، سواء كان الدفاع عنها دفاعًا عنا أو عن سوانا .. لأن الحق هو الذي يبتغي وجهه ، والإنصاف هو الذي نبقى عليه .. ولا بقاء لنا إذا تداعى الصدق والعدل ، وضاعا بين الناس ، في غمار المهاترات والسخائم .

ومتى تكون الغيرة في موضعها الصحيح ، إن لم تكن على سمعه هاد من هداة البشرية طالما نال منه المفتاتون بلا تورع ولا حياء ؟ ..

ومتى لا تستغرب الغيرة إذا كانت تستغرب في مثل هذا المقام ؟ ..

فأي الناس أولى بنفي الكيد عن سيرته من « أبي القاسم » الذي حول الملايين من عبادة الأصنام الموبقة إلى عبادة الله رب العالمين ، ومن الضياع والانحلال إلى السمو والإيمان ، ولم يفد من جهاده لشخصه أو آله شيئًا مما يقبل عليه طلاب الدنيا من زخارف الحطام ؟

حفاظًا على معنى الشرف وصيانة لحق المروءة أوجبت على نفسي ذلك الإنصاف لشخص أبي القاسم .

أوجبت ذلك على نفسي منذ عرفت قدره وأدركت خطره ، والواجب فرع – عند ذوي الأمانة – عن الإدراك .. فشهادة الحق من أوجب الأمانات ، والساكت

عن الحق شيطان .. فمن يجهل الحق لا لوم عليه .. والملام كل الملام على من يدرك الحق كرائعة النهار ثم يتخاذل عن إعلائه ، ويترك رايته تنتكس بين السفلة والطغاة ، وتوطأ بأقدام الجهلة والظلمة واللئام .. وساء ذلك صنعًا : إنه كان إثمًا وبيلا ... » انتهى ..

كتاب (المائة أعظمهم محمد) لمايكل هارت :

كما أود أن أشير وأشيد بكتاب « المائة : تقويم لأعظم الناس أثرًا في التاريخ» لكاتبه مايكل هارت وهو عالم أمريكي فلكي رياضي يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية ، ورغم أن مايكل لم يدرس بعمق في التاريخ الإسلامي أو الفكر الإسلامي أو العربي . إلا أنه كان عنده مقاييس ثابتة لاختيار الشخصيات المائة التي ذكرها في كتابه والأخرى التي استبعدها وهو على كل حال مخلص وصادق وموضوعي غير منحاز أو متحيز في حكمه على الكثيرين من عظماء التاريخ وقد جعل محمد رسول الله على رأس المائة من الشخصيات [(١)] .

يقول مؤلف الكتاب ما يكل هارت : « لقد اخترت محمدًا ﷺ في أول هذه القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار . ومعهم حق في ذلك . ولكن محمدًا ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحًا مطلقًا على المستوى الديني والدنيوي .

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات وأصبح قائدًا سياسيًا وعسكريًا . وبعد ١٣ قرنا من وفاته فإن أثر محمد ﷺ ما يزال قويًا متجددًا.

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشئوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسيًا وفكريًا . إلا محمدًا ﷺ فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة

(١) وهكذا كان يقول الأستاذ أنيس منصور في كلمته التي قدَّم بها كتاب مايكل هارت .

مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم . بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن .

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود ، وأمه وهو في السادسة من عمره وكانت نشأته في ظروف متواضعة ، وكان لا يقرأ ولا يكتب .

ولم يتحسن وضعه المادي إلا في الخامسة والعشرين من عمره ، حين تزوج أرملة غنية .

ولما قارب الأربعين من عمره كانت هناك أدلة كثيرة على أنه ذو شخصية بين الناس .

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين ، يعبدون الأصنام ، وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى .. وكان محمد ﷺ على علم بهاتين الديانتين .

وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيمانًا بأن الله واحدًا أحد ، وأن وحيًا ينزل عليه من السماء ، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس .

وأمضى محمد ﷺ ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس .

وفي ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمد ﷺ بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام .

وفي ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة ، وهي تقع على مدى ٢٠٠ كيلو متر من مكة المكرمة ، وفي المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيدًا من القوة ، واكتسب رسوله عددًا كبيرًا من الأنصار .

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول ﷺ . وإذا كان الذين تبعوه في مكة قليلين . فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين .

وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة ، وأصبح محمد ﷺ أقوى وأعمق أثرًا في قلوب الناس .

وفي السنوات التالية ، تزايد عدد المهاجرين والأنصار ، واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار ، وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار .

وانتهت كل هذه المعارك في سنة ٦٣٠ بدخول الرسول منتصرًا إلى مكة .

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد ﷺ الناس يدخلون في دين الله أفواجًا .. ولما توفي الرسول ﷺ كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية .

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال ، وكانوا ممزقين أيضًا . رغم أنهم قليلو العدد ، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة .

ولكن الرسول استطاع – لأول مرة في التاريخ – أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعًا بالدعوة إلى الإله الواحد . ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وكان العرب أقل بكثير جدًا من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها .

وفي ٦٤٢ انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية ، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في ٦٣٧ وفي موقعة نينوى في ٦٤٢ .

وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن

الخطاب . لم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم .

ففي ٧١١ اكتسحت القوات الإسلامية شمال أفريقيا حتى المحيط الأطلسي . ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبروا إلى أسبانيا وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله.

ولكن في ٧٣٢ وفي موقعه تور بفرنسا . انهزمت الجيوش الإسلامية التي تقدمت إلى قلب فرنسا .

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو المؤمنون بالله وكتابه ورسوله . أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي . وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم . وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلدًا فإنها تنشر الإسلام بين الناس .

ولم يستقر العرب على هذه الأرض التي غزوها . إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس . وإن كانت قد ظلت على اسمها . وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لأسبانيا والمعارك المستمرة . تقدمت نحوها الجيوش المسيحية فاستولت عليها وانهزم المسلمون .

أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا .. ولكن بقيتا على دين الإسلام .. وكذلك كل شمال أفريقا .

وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدى القرون التالية .. فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وأندونيسيا .

بل إن الإسلام قد وحد بين أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات . وفي شبه القارة الهندية انتشر الإصلاح وظل على خلاف مع الديانات الأخرى .

والإسلام مثل كل الديانات الكبرى . كان له أثر عميق في حياة المؤمنين به ولذلك فمؤسسو الديانات الكبرى ودعاتها موجودون في قائمة المائة الخالدة .

وربما بدا شيئًا غريبًا حقًا .. أن يكون الرسول محمد ﷺ في رأس هذا القائمة . رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين ، وربما بدا غريبًا أن يكون الرسول ﷺ هو رقم واحد في هذه القائمة ، بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٣ وموسى رقم ١٦ .

ولكن لذلك أسباب : من بينها أن الرسول محمد ﷺ قد كان دوره أخطر وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية ، وعلى الرغم من أن عيسى هو المسئول عن مبادئ الأخلاق المسيحية ، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية ، وهو أيضًا المسئول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب «العهد الجديد» .

أما الرسول ﷺ فهو المسئول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية ، كما أن القرآن الكريم قد نزل عليه وحده ، وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم .

والقرآن الكريم نزل على الرسول ﷺ كاملاً . وسجلت آياته وهو ما يزال حيًا . وكان تسجيلاً في منتهى الدقة ، فلم يتغير منه حرف واحد .. وليس في المسيحية شيء مثل ذلك ، فلا يوجد كتاب واحد محكم بالغ العمق ، ولذلك كان أثر محمد ﷺ على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية .

فعلى المستوى الديني كان أثر محمد ﷺ قويًا في تاريخ البشرية ، وكذلك كان عيسى عليه السلام .

وكان الرسول ﷺ على خلاف عيسى علية السلام رجلاً دنيويًا فكان زوجًا وأبًا.

وكان يعمل في التجارة ويرعى الغنم . وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض . ثم مات ..

ولما كان الرسول ﷺ قوة جبارة ، فيمكن أن يقال : إنه أعظم زعيم سياسي .

وإذا استعرضنا التاريخ .. فإننا نجد أحداثًا كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين .. مثلا : كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن اسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار .. هذا ممكن جدًا ، على أن يجيء بعد ذلك أي إنسان ويقوم بنفس العمل .

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو .. وعن العرب عمومًا وعن إمبراطوريتهم الواسعة ، دون أن يكون هناك محمد ﷺ .. فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك . وما كان من الممكن أن تحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به .

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة .. كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر . والفضل في ذلك يرجع إلى جنكيز خان . ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين ، فإنها لم تدم طويلاً .. ولذلك كان أثرها أقل خطرًا وعمقًا .

فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان .

وليست كذلك غزوات المسلمين .. فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب .. وهذا الامتداد يحتوي دولاً عربية . لم يوحد بينها الإسلام فقط .. ولكن وحدت

بينها اللغة والتاريخ والحضارة ، ومن المؤكد إن إيمان العرب بالقرآن . هذا الإيمان العميق . هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة . صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية ، وهذا طبيعي . ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها .

مثلاً : لم تشترك إيران المسلمة وأندونيسيا المسلمة في فرض حظر البترول على العالم الغربي فيما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . بينما نجد أن الدول العربية البترولية قد شاركت جميعًا في هذا الحظر !!

وهذا الموقف العربي الموحد يؤكد لنا . أن الغزوات العربية التي سادت القرن السابع ما يزال دورها عميقًا وأثرها بليغًا في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا .

فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمدًا ﷺ هو أعظم الشخصيات أثرًا في تاريخ الإنسانية كلها ! » .انتهى .

كلمات للإمام محمد متولي الشعراوي

أخيرًا وليس آخر أشير إلى ما يقوله فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي عن حضرة النبي محمد : « ونأتي إلى معجزة في اختيار رسول الله ﷺ وإعداده للرسالة . إننا إذا تتبعنا حياة رسول الله ﷺ نجد أن الله سبحانه وتعالى اختاره أميًا لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك أجرى عليه معجزات كلها تنطق بصدق رسالته ﷺ .

أولها : أنه لم يشتهر عليه الصلاة والسلام أنه نبغ في شعر أو نثر مثل قيس بن ساعدى أكثم بن صيفي ، ومن هنا كان حظ الرسول ﷺ من البلاغة حظًا عاديًا دون نبوغ .

ومع ذلك فقد جاءت رسالته عليه الصلاة والسلام تتحدى قومه في البلاغة وفي اللغة ، ولو أنه ﷺ كان مشهورًا بالشعر والنثر أو الخطابة لقالوا : إن القرآن عبقرية أدائية لمواهب كانت موجودة عند رسول الله ﷺ منذ الصغر ، ومواهب الناس

عادة كانت تظهر قبل سن العشرين أو الثلاثين إذا كانت المواهب متأخرة ، ولكنها لا تظهر فجأة على الإنسان في سن الأربعين ، ولا توجد عبقرية تتأخر أبدا حتى الأربعين ، ولكن الناس فوجئوا بأن محمدًا عليه الصلاة والسلام الذي ما خطب ولا كتب وما قال شعرًا يأتي بقرآن يعجز عنه أشهر البلغاء وأكثرهم موهبة في فن الكلام ، ومن أين أتى بهذا الكلام المعجز الذي تحدى به الإنس والجن وهو في هذه السن ؟!

بعض الناس يدَّعون أن رسول الله ﷺ كان عنده الإعجاز اللغوي ، وأخفاه عن الناس حتى سن الأربعين وبعد ذلك أظهره ، نقول : إن هذا الكلام لا يتفق مع العقل ؛ لأننا نعيش في عالم أغيار ، يموت فيه الناس قبل سن العشرين وقبل سن الثلاثين وقبل سن الأربعين ، فمن الذي اخبر محمدًا عليه الصلاة والسلام أنه لن يموت قبل سن الأربعين حتى يكتم هذه العبقرية إلى هذه السن ، لقد مات أبوه وهو في بطن أمه ، وماتت أمه وهو طفل صغير هذه المقدمات لا يمكن أن توحي إلى محمد عليه الصلاة والسلام أن يكتم عبقريته عن الناس حتى يصل إلى هذه السن ؛ لأن أباه وأمه قد ماتا وهو طفل صغير .

ولذلك عندما جاء الكفار وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يغير القرآن كما يروي لنا القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس:١٥] .

ولكن الحق سبحانه وتعالى يعلم رسوله ﷺ ليرد عليهم بالحجة البالغة :﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[يونس:١٦].

الله سبحانه وتعالى يعلم رسوله الكريم أن يرد على الكفار أنه عاش معهم

أربعين سنة قبل الرسالة ، لم يشتهر بالخطابة والشعر أو البلاغة ، فلو أنهم فكروا بعقولهم لعرفوا أن هذا القرآن ليس من عند رسول الله ، بل من عند الله . ثم من الذي ينسب إليه الكمال فيرفضه ؟ ويقول ليس من عندي ، مع أن الناس تدعي كمالات الغير ، فكم من إنسان رأى إعجاب الناس بعمل من الأعمال ، لم يعرفوا صاحبه فنسبه إلى نفسه ، بل إن الناس تتصارع على نسب الأشياء الجيدة لنفسها ، وكم رأينا نزاعا أمام القضاء بين أشخاص مختلفين كل منهم يدعي ملكيته لعمل جيد .

ثم تأتي لفتة أخرى : رسول الله ﷺ الذي لم يقرأ ولم يكتب ، هل يمكن أن تكون له ثلاثة أساليب متميزة تختلف بعضها عن بعض تمامًا ، وهي أسلوب القرآن الكريم وأسلوب الأحاديث القدسية وأسلوب الأحاديث النبوية ، لا توجد عبقرية في الدنيا من يوم أن خلقت إلى يومنا هذا لها ثلاثة أساليب لكل منها طابع مميز لا يتشابه مع الآخر . كيف يمكن أن يفرق رسول الله ﷺ وهو يتكلم بين القرآن الكريم والحديث القدسي والحديث النبوي ، بحيث يعطي كلا منهما طابعًا وأسلوبًا يميزه عن الآخر .. ؟!

إن لكل شخص أسلوبه الذي يتميز به ، وأنت إذا كنت مطلعًا في علوم اللغة والأدب ، فبمجرد أن تقرأ الكلام تقول : هذا كلام فلان ؛ لأن لكل شخص منا أسلوبًا يميزه ، فكيف استطاع رسول الله ﷺ أن يقسم كلامه فيقول هذا قرآن وهذا حديث قدسي وهذا حديث نبوي ؟! إذًا ، فاختلاف القرآن والأحاديث القدسية والأحاديث النبوية ، اكبر دليل على أن القرآن والأحاديث القدسية ليست من عند رسول الله ﷺ ؛ لأن الشخصية الأسلوبية لأي إنسان هي شخصية مميزة ، ولا يمكن أن ينفعل أحد بأحداث الحياة ، فيكتب كل مرة بأسلوب مختلف تمامًا عن الأسلوب الآخر ، أو يكتب اليوم بأسلوب وغدًا بأسلوب ، وبعد غد بأسلوب ، ثم يعود بعد ذلك إلى الأسلوب الأول، إنه إذا قرأ أحدهم القرآن نقول هذا قرآن ، وإن

تلا أحدهم حديثًا قدسيًّا نقول هذا حديث قدسي ، وإذا قال أحدهم حديثًا نبويًّا قلنا حديث نبوي ، ولكل إنسان منا شخصية أسلوبية واحدة ، إذا حاول أن يخرج منها فإنها تغلبه ، والفروق الهائلة في الأساليب بين القرآن والأحاديث القدسية والنبوية اكبر دليل على صدق رسالة محمد ﷺ .

واحتار الكفار ماذا يفعلون ..!! ولم يجدوا ثغرة من منطق ينفذون منها ، فماذا قالوا ؟ قالوا : ساحر !! وكان الرد ببساطة : إن المسحور ليست له إرادة مع الساحر ، بحيث يستطيع دفع السحر عن نفسه ، وإن الساحر يسحر من أمامه رغمًا عن إرادتهم . فإذا كان محمد ﷺ ساحرًا فلماذا لم يسحركم أنتم حتى تؤمنوا به ، وبأي شيء رددتهم السحر عن أنفسكم ؟؟

إن ادعاءكم هذا يكذب حجتكم ؛ لأن كونكم الآن جالسين تقولن ساحر فمعنى ذلك أنه لم يسحركم ولو كان ساحرًا حقيقيًّا لأجبركم بسحره على أن تتبعوه.

وقالوا : مجنون ، نقول لهم : الجنون عمل بغير رتابة ، بمعنى أنك لا تستطيع أن تتنبأ بما يفعله المجنون في اللحظة القادمة ، فقد يجلس يتحدث معك وبعد دقيقة واحدة يضربك ، وتجده يبكي ، وبعد ثوان قليلة يضحك ، ورد تبارك وتعالى عليهم :﴿ نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:١- ٤] .

والشهادة من الله بأن رسول الله ﷺ على خلق عظيم ، لا يتصادم مع ما يعرفه الكفار عنه قبل الرسالة ، فهو بشهادتهم كان معروفًا بالصدق والأمانة والخلق الحسن ، وكانوا يلقبونه بالأمين ، وكانوا يأمنونه على أموالهم وكل شيء له قيمة ، ولتعرف كيف يتناقض الكفار مع أنفسهم نقول لهم : كيف تأتمنون إنسانًا مجنونًا على أغلى ما تمتلكونه ؟! هل هذا يتمشى مع العقل ؟! أيذهب الإنسان بأغلى ما

عنده ويضعه عند رجل مجنون ؟ بالطبع مستحيل ، لا يمكن أن يكون المجنون على خلق عظيم .

وقالوا : شاعر وكاهن ، فرد القرآن الكريم بقوله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الحاقة:٤٠-٤٢].

وقولهم شاعر مردود عليه ، بأن رسول الله ﷺ لم يقل شعرًا في حياته ، والمواهب لا تأتي فجأة ، بل لابد أن تصقلها التجربة والخطأ ، تمامًا كالذي يقود السيارة ، عندما يبدأ لابد أن يكون معه إنسان يعرف قيادة السيارة ، ويعلمه فيخطئ ويصيب ، ثم بعد ذلك يقود السيارة .

ورسول الله ﷺ ما كانت عنده ملكة الشعر ولا دربه أحد عليه ، أما قولهم : كاهن فالإنسان ينسى بمرور الوقت ، لذلك قيل إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا ، وإذا أردنا أن نعرف الحقيقة فإننا نسأل الإنسان على فترات ، فإن كان كاذبًا فإنه يتخبط في أقواله ، ورسول الله ﷺ وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ، كان ينزل عليه الوحي بالآيات فيتلوها على أصحابه ، ثم يؤذن للصلاة بعد ذلك بساعات ، فيتلوا رسول الله ﷺ في الصلاة ، الآيات التي نزلت عليه دون أن يتغير منها حرف واحد ـ، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ ؛ لأن رسول الله ﷺ لو كان يأتي بالقرآن من عنده لنسي ولغير وبدل ؛ لأن الذاكرة لا يمكن أن تستوعب بنفس الألفاظ ما قالته . ولو أنك جئت بإنسان وطلبت منه أن يحدث في موضوع معين وسجلته له ، ثم طلبت منه أن يعيد بعد نصف ساعة ما قاله ، لا يمكن أن يأتي بنفس الكلام أو بنفس الألفاظ أو بنفس الترتيب.

والحق سبحانه وتعالى يعطي رسله منهجه بالوحي ، ويكون عطاؤه غيبيًّا لأن الله غيب ، فالله سبحانه وتعالى يقول :﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الشورى:٥١] .

وفي السيرة النبوية يقول الإمام محمد ماضي ابو العزائم :

محاورة قريش للرسول ﷺ :

قالت قريش : لنجمع أشراف ةكل قبيلة ، عند ظهر الكعبة ، ونبعث إليه ، فاجتمعوا وأرسلوا إليه ﷺ ، فجاءهم وجلس فخاطبه الجمع قائلين : ألا إنك قد أتيتنا بأمر عظيم ، فرقت جمعنا ، وسفهت به أحلامنا ، وعبت به آلهتنا وديننا ، وكفرت به من مضى من آبائنا .

فإن أردت مالاً جمعناه لك، أو أردت شرفًا سودناك علينا ، وإن كان يأتيك رئيًا تراه طلبنا لك الطب، حتى نبرئك منه .

فقال لهم : (ما بي ما تقولون، ما جئت لأطلب أموالكم ، ولا للشرف فيكم، ولا للملك عليكم ، ولكن بعثني الله تعالى إليكم رسولاً، وأنزل عليّ كتابًا ، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا).

ولما أعيتهم الحيلة في أمره ﷺ عرضوا عليه أن يشاركوه في عبادته، ويشاركهم في عبادتهم، فأنزل الله عليه سورة : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

وحينما يئسوا منه طلبوا منه أن يخرج من القرآن ما فيه من الطعن على آلهتهم ، فأنزل الله تعالى عليه : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾[يونس:١٥].

ولما نزل قوله تعالى : ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] جهر بالدعوة بأن صعد على الصفا وجعل ينادي بطونهم، أي بطون قريش .

فلما اجتمعوا قال : (أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم،

أكنتم مصدقي؟) ، قالوا : نعم، ما جربنا عليك كذبًا، فقال : (إني نذيركم بين يدي عذاب شديد، وإني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة) ، فقال أبو لهب : تبًا لك ألهذا جمعتنا؟ وسخر منه ، فنزلت سورة : ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد:١].

محاورة عتبة بن ربيعة لرسول الله ﷺ

عن جابر بن عبد الله قال : اجتمعت قريش يومًا فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه فلينظر ماذا يرد عليه، فاختاروا زعيمًا من أكبر الزعماء، وسيدًا من علمائهم هو (عتبة بن ربيعة) .

ثم بعثوا برسالتهم إليه معه، فجاء عتبة إلى رسول الله ﷺ وقال له : ألا إنك قد أتيتك قومك بأمر عظيم ، فرقت جمعهم ، وسفّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أمورًا لعلك تقبل مني بعضها.

قال : إن أردت بالذي فعلت مالاً جمعناه لك ، أو أردت شرفًا سوّدناك علينا، فلا نقطع أمرًا دونك، وإن كان يأتيك رئيًا تراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا ، حتى نبرئك منه.

قال : (أفرغت يا أبا الوليد؟) قال : نعم .

فأسمعه رسول الله ﷺ أول سورة (فصلت) إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ [الآيات:١-١٣].

فرجع عتبة بن ربيعة إلى قومه ، وعاد إليهم على غير ما فارقهم عليه .

فقالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال : ورائي أني سمعت من صاحبكم قولاً ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، أطيعوني يا بني قريش، وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فو الله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ بعد حين .

فقالوا : لقد سحرك يا أبا الوليد .

فقال لهم : أنتم خادعون.

....

وأود أن ألفت نظر القارئ أنه كان من الممكن أن أذكر كثيرين غير الدكتور نظمي لوقا ومايكل هارت من غير المسلمين الذين أشادوا بالنبي محمد وبرسالته ولكني اكتفيت في هذا التمهيد بمن ذكرت وفي كتابي بما ذكرت ومن القرآن بما أخترت .

مقام رسول الله في القرآن

وأود أن أذكر في هذا التمهيد لكتابي أن في القرآن العظيم وهو كلام الله الكثير من الآيات الخاصة بمقام رسول الله ﷺ وقدره عند ربه وهو المصطفى من الإنسانية كلها ومن بين سائر المخلوقات والكائنات كلها وما حباه الله به من طاقة روحية كان يتلقى بها ومعها وحي الله القرآني ويشمل آيات عن أدب الحديث معه والتحدث إليه والتعامل معه والاحترام والتوقير الواجب له ولأهل بيته المطهرين ولزوجاته أمهات المؤمنين .. وغير ذلك .. وهي آيات لم أوردها في كتابي كلها واكتفيت ببعض منها مما جاء في سور: الأحزاب والفتح والحجرات كما يلي :

في سورة الأحزاب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٣ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ٤ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب ١ – ٥] .

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢٨-٣٤].

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٦- ٥٧] .

وفي سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣].

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٨- ١٠].

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨].

وفي سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:٨].

عن كتابي هذا

إن كتابي هذا ليس كتابًا في السيرة النبوية وليس مديحًا لذات رسول الله وخاتم النبيين وإنما هو توضيح على قدري المحدود لهذه الذات في موضوعها غير المحدود ليعرف من لا يعرف وليبصر من ينظر وليعلم من يجهل وليكتسي بالمحبة من يكره حتى يتحقق بالمعرفة الحقة والمعلومات الصحيحة والحقائق الغائبة والتقييم السليم بإحاطة موثقة وموثوق بها لهذه الشخصية التي كان لها آثار بالغة وواضحة وتأثيرات عميقة ملموسة ومعروفة في دنيا الإنسان الذي كان ولا يزال يقتدي بها من يطلب الأخلاق الفاضلة والسلوكيات الحسنة والمعاملات الأخلاقية مع كل الناس في إطار من الإيمان بالله وكل كتبة وكل رسله في توحيد لذاته سبحانه وتنزيه له في أحديته . شخصية اصطفاها الله واختارها لتعلم الإنسانية المنهاج النبوي الأمثل في التربية والتعليم والسلوك وقد أخرج من أصحابه وتابعيه جيلاً قرآنيًا فريدًا وجعل منهم لبنات أمة توافرت فيها مقومات وعناصر خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وأقام بالمؤمنين دولة نصرت العدل والحرية والمساواة والإخاء والتعاون والتكافل والمحبة الإنسانية امتدت قواعدها في مشارق الأرض ومغاربها تقيم الشورى منهجًا وتحترم حرية الكلمة والرأي البناء والنصح الرشيد وكان في شخصه النبوي القدوة يعين المؤمنين على فهم وتفهم مبادئ وتعاليم الدين الذي

بعثه الله به وبالقرآن العظيم الذي أوحاه الله إليه وتفسيره والاستنباط من آياته في معايشة لأحداث زمانه والواقع الجديد الذي كان يقيمه ويبني إنسانه وفقًا لروح الدين ومقاصده السامية فتقوى عزائمه على التمسك به في طاعة لأوامره واجتناب لنواهيه وتعظيم التواصل مع الله والثقة به سبحانه وبأنفسهم وبأوطانهم .

إن الناس يتعلمون من رسول الله الآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة الكريمة والعقائد السليمة والعبادة الصحيحة وسمو الروح وطهارة القلب وحب الإنسان وأخوة البشر وهديه ﷺ في تربية الأمة وبناء الدولة ومعرفة الطريق إلى نهضتها وقوتها ومعرفة عوامل النهوض وأسباب السقوط لها . إن المنهاج النبوي محمدي يُعَلِّم الناس فنون إدارة الصراعات والأزمات في مراحلها المختلفة وفي مواجهة الأعداء من اليهود والمنافقين والكفار والمشركين . لقد قام رسول الله ﷺ والذين معه من أصحابه بتحقيق شروط (التمكين) في أرض الدنيا فحققوا الإيمان بكل معانيه وشروطه وأركانه ومارسوا العمل الصالح بكل أنواعه وحرصوا على فعل كل صنوف الخير والبر وعبدوا الله عبودية شاملة في كافة شئون حياتهم وحاربوا الشرك بكل أشكاله وأنواعه ومظاهره وخفاياه وأخذوا بأسباب إعداد العدة والتمكين المادية والمعنوية على مستوى الأفراد والمجتمعات والدولة الوطنية والتي كان نموذجها الأمثل دولة المدينة المنورة في مبادئها التي قامت عليها .

لقد كان فقه النبي محمد في التربية شامل ومتكامل ومتوازن وخاضع لسنن الله في المجتمعات وإحياء الشعوب وبناء الدول والأوطان فتعامل مع هذه السنن في غاية الحكمة وقمة الذكاء وكان الصحابة رضي الله عنهم يتأثرون بمنهجه في التربية غاية التأثر ويحرصون كل الحرص على الالتزام بتوجيهاته وإتباع خطواته وسننه في كافة سلوكياته الأخلاقية في حياته [١] .

وقد أثنى الله عليهم في كتابه الكريم في سورة الأعراف بما عظموا فيه شأنه

(١) «السيرة النبوية» للدكتور على محمد محمد الصلابي .

وأكرموه ونصروه وبجلوه : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧] . وكلها صفات وخصال واجبة على المسلمين المؤمنين في كل وقت وعصر وزمان في مستقرهم في الأرض إلى (حين) متبعين للقرآن وهو النور الهادي الذي أنزل معه صلوات الله وسلامه عليه.

أما سيرة النبي محمد فقد كتب فيها الأولون والآخرون ، منهم من كتب بتفصيل ومنهم من أوجز . فمن القدامى : الواقدي وابن هشام وابن سعد وابن كثير وابن إسحاق الذي يعد كتابه في السيرة أشهر الكتب وأعلاها مقامًا وأشدها وثوقًا وقد ألَّفه في أوائل أيام العباسين وذلك كما يقول السيد / محمد علاء الدين ماضي أبو العزائم شيخ الطريقة العزمية القائم في افتتاحية كتاب « النجاة في السيرة النبوية للإمام أبي العزائم» الذي علق عليه وشرحه أخونا الشريف العالم والداعي في الطريقة العزمية الأخ / عبد الحليم العزمي الحسيني . وقد جاء في الافتتاحية المذكورة لذلك الكتاب : « وقد افتتن المؤرخون حول السيرة الكريمة افتتانًا كبيرًا فمنهم من ألّف في أعلام نبوته كالبيهقي وأبي النعيم والقاضي عبد الجبار وابن ظفر ، ومنهم من ألّف في شمائله وأحواله كالترمذي ، والسيوطي والزرقاني والقاضي عياض ومنهم من أرَّخ له ﷺ في أطوار حياته ومراحل عمره كابن إسحاق وابن هشام وابن سيد الناس والصالحي وصاحب السيرة الحلبية ومنهم من أدار كتابه على معجزاته ﷺ كابن دحية ومنهم من ألَّف في صحابته كابن عبد البر وابن الأثير وابن حجر .. وغيرهم كثير » . انتهى .

وقد توالت كتب السيرة عبر التاريخ في العصور الحديثة وحتى عصرنا لعلماء مثل : الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ محمد الغزالي والشيخ محمد سيد طناطوي والشيخ عبد الرحمن المباركفوري والشيخ محمد متولي الشعراوي والشيخ محمد الخضري (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) والأساتذة توفيق الحكيم ومحمود عباس العقاد ومحمد حسنين هيكل وطه حسين وعبد الرحمن الشرقاوي وعبد

الحليم جوده السحار وغيرهم كثير ...

ولا يسعني إلا أن أذكر وأنوه بكتاب «النجاة في سيرة رسول الله ﷺ» لمرشدنا الإمام محمد ماضي أبو العزائم الذي يعتبر من أعظم المصنفات في السيرة شأنًا ومنزلة وموضوعًا . ويقول عنه خليفته القائم السيد / علاء الدين ماضي أبو العزائم : «إن الإمام جمع في كتابه النبوءات المبشرة به في كتب السابقين وتناول فيه حياته من يوم مولده إلى أن أكمل الله به دينه وأتم رسالته للبشر نعمته وترك المسلمين على الجلية الواضحة والشريعة السمحة المطهرة وعرض الإمام مغازي رسول الله بصورة مفصلة وما ارتبط بها من أحداث ومواقف ربط بينها وبين أحداث عصرنا حتى نستلهم العبرة ونستقي الدروس .. » انتهى .

والآن أبدأ كتابي بسؤال « من هو محمد » ؟ والإجابة منتقاة ومختصرة من آيات كتاب الله الحكيم التي تلقى قبسا من نور مختصر على محمد رسول الله وخاتم النبيين قبل أن ألقى على حضرته أضواء بكلماتي في كتابي هذا على قدري الضعيف والجهول .

من هو مُحمَّد

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

إن نسب محمد في حقيقته ليس بمقياس أرضي في صلات من الرحم ولكنه بمقياس (إلهي سماوي اصطفائي رسولي ونبوي) من سر بشر يوحى إليه من ربه ..

فلم يكن أبا حقيقيًا لأحد من رجال قومه آنذاك ولم يكن أبا لزيد بن حارثة أبوة حقيقية تترتب عليها أحكامها الشرعية وبه ﷺ ختم الله النبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده إلى قيام الساعة . لقد تخطى النبي محمد تخوم وأواصر قربات وصلات النسب الأرضي وجاوزها كلها كما جاوزها من قبل المسيح عيسى بن مريم الذي كان يقول «أمي وأخوتي هم من يعملون مشيئة الرب» إن محمد لم يكن في بشريته مقيدًا بقيود الجسد وحدوده (إني لست كهيئتكم) ، وإنما كان منطلقًا بطاقة روحية هائلة وعالية موصولة بربه وربها (إني أبيت عند ربي) يتغذى منه سبحانه بالطاقة في رسوليته وختمة للنبوة (فيطعمني ويسقين) وهو في مقام العندية (عند ربي) .

ومن هذا المنطلق في النسب الإلهي للنبي محمد والنسب الديني بالنبي محمد كان لزوم الإتباع ووجوب الحب له ولأهل بيته . الأول يقول الله في القرآن العظيم: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] . والثاني يقول النبي فيه : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه

من والده وولده والناس أجمعين » . رواه مسلم .

ومن هنا أيضًا كان الإسلام مبنيًا على (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وكان الإيمان هو التصديق بما وقر في القلب والعقل وصدقه العمل في منطوق معنى الشهادة والشهود في الإسلام الشهادة مبناها في الكلمة ومظاهرها والشهود ومعناه في الكلمات المخلوقة في الوجود الكوني المعروف وفي المحيط البيئي المشهود . وبذلك كان الإحسان متضمنًا الإسلام والإيمان يعلوهم اليقين وأعلى مستوياته ودرجاته حق اليقين الذي أوتيه النبي محمد من خلال عبادته لربه بالتوحيد والتنزيه والقرب والتقريب بسر : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] . وسر : ﴿وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾ [العلق:١٩] . وفي نفس المعنى كان يقول الإمام / محمد ماضي أبو العزائم :

سر الوصول إلى الخباب العالي	**حب النبي محمد والآل**
تُعطي القبول وترفعن لجنابه	**وتنال ما ترجوه من آمال**
والفضل فضل الله يعطى منه	**بالحب في طه العزيز الغالي**
من لحظة في الحب تشهد وجهه	**وتفوز عنده بسره والحال**
تعطى العلوم وتشهدن فتترجمن	**بلسان أهل القرب والأبدال**
من أين هذا العلم والنور الذي	**أعطيته من لحظة في الحال**
من حب قلبي للحبيب محمد	**نلت المنى بل نلت كل آمالي**
بشرى لمن عشقوا جمال محمد	**نالوا القبول من الولي العالي**

لقد كان محمد بشرًا ولكنه كان بشرًا رسولا ويقول : ﴿قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ [الإسراء:٩٣] . وكان بشرًا يوحى إليه من الله بكلامه سبحانه وتعالى ويقول : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الكهف:١١٠] ، وكانت لرسوليته

ولنبوته صفات وخصائص وخواص متميزًا بها عن غيره من البشر العـاديين فكـان عـلى سـبيل المثـال يقـول : « إني لسـت كهيئـتكم إني أبيـت عنـد ربـي فيطعمنـي ويسقيني» وذلك في مواصلته للصوم ونهيه المسلمين المؤمنين عن ذلك .

وكان أبو جهل عندما ذهب إلى الكعبـة يتفقـد رسـول الله وكـان أبـو بكـر مـع الرسول فإن أبا جهل حين نظر على مكـان تواجـدهما لم يـرى إلا أبـا بكـر ولم يـرى رسول الله في شخصه الذي كـان بجـوار صـاحبه وكانـت معجـزة مـن معجـزات الرسول الروحية والتي في معناها يقول القرآن العظـيم :﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٨] .

ونفس الشيء حصل يوم الهجرة حـين خـرج الرسـول مـن بيتـه والمشـركون ملتفون حوله ليقتلوه حين خروجه ، ولكنه خرج واخترق صـفهم دون أن يـروه أو يحسوا بخروجه والله يقـول : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩] . ويروي في أحداث الهجرة في السيرة الموثقة أن رسـول الله ألقى على الكفار حول داره حفنة مـن تـراب ويقـول معهـا «شـاهت الوجـوه» فكانت على أبصارهم غشاوة وعلى أعينهم عمى وعلى رؤيتهم ظلمـة وظـلام . وفي حقيقة محمـد رسـول الله يقـول الله في القـرآن العظـيم : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحـزاب:٤٠] . فقد غلبت رسولية محمد ونبوتـه الخاتمـة للأنبيـاء عـلى نسـبته إلى قومـه في صـلة الأرحام البشرية العادية فلم يكن بشرًا عاديًا أو شخصًا عاديًا كسائر أشخاص قومه ولكنه كان رسول الله وخاتم النبيين مصطفى من الله ومختار منـه سـبحانه متصـفًا ومتميزًا بخواص وخصائص فريدة روحية وقلبية وعقلية وبصرية وبصيرية .. إلـخ . لم يتحقق أو يتصف بها أي شخص غيره ولا أي نبي أو رسـول قبلـه ، لقـد نسـب محمد إلى رسوليته ونبوته وإلى دينه وإسلامه وإلى أخوته ورأفته ورحمته بـالمؤمنين

أي أن نسبه كان الإسلام دينه الذي بعثه الله به لإقامته ونشره وجمع الناس عليـه في توحيده وأحكام شريعته ومنهاجه وفي أخلاقياته الكريمة .

أيها الإنسان القارئ لكتابي أين كنت وكيف كنت إنه ما كان لمثلي أن يحاول ويتجرأ بالكتابة عن شخص الرسول ﷺ لولا حبي الشديد لحضرته وتثبيتي بالثقة بما وفيما رأيت في الرؤيا المنامية له ومنه(١) وهو القائل صلوات الله وسلامه عليه : «من رآني في المنام فقد رآني حقا فإن الشيطان لا يتمثل في بي » وقد كتبت كلمات هذا الكتاب عنه ﷺ مما اخترته من آيات القرآن العظيم التي تناولت شخصه وذلك بالطبع على قدر فهمي لمعاني هذه الآيات ودلالتها التي ربما وجد فيها غيري أكثر مما هداني إليه فهمي أو هدتني إليه بصيرتي . وكل ما أرجوه لمحاولتي أن أكون قد وفقني الله في إبراز بعض الجوانب المتصلة بهذه الشخصية العظيمة من خلال الآيات القرآنية وحسب فهمي لها وتقديري المحدود لدلالتها الحقة على عظمة صاحبها كما أن كل ما أرجوه أن يكون قد وفقني الله إلى إضافة الجديد ولو القليل من المعاني للإنسان و النبي الخاتم الذي يتطلع إليه المسلمون في هذا القرن من الزمان – وكما في كل زمان ماض أو قادم – بالإجلال والإكبار والتوقير والمحبة والاحترام لنقتبس من أخلاقه وسلوكياته في سيرته ومن رسالته ومن سراجيته المنيرة قبسًا يضيء لنا معالم الطريق المستقيم الحق بمنارات تهدينا في حياتنا التي نفتقد فيها هذه القدوة وهذه الأسوة التي نستطيع أن نحيا مستشعرين معيتها عن طريق توافر أوصاف أصحاب هذه المعية لنستظل بظلها في إطار اعتقادنا القوي الراسخ بالإيمان بفائدة هذا الاقتداء وهذه الأسوة حيث لم يملأ فراغ وجود النبي أي فرد من الإنسانية من بعده يقول الله تعالى في القرآن الكريم :
﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ

(١) لم أرغب في الحديث عن فحواها ومضامينها وتفاصيلاتها.

أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح:٢٩] . فالمعية بالصفات وليست محدودة بأسماء أشخاص معينين أو في زمن معين أو عصر معين .

ولابد لي أن أوضح أمرًا هامًا وأن أقرر حقيقة أيضًا هامة يجب أن يدركها جيدًا كل إنسان في كل زمان وكل مكان ومن أي معتقد كان وهي أن أي احد يتناول بالدراسة والبحث والتقييم محمد رسول الله ذاتًا وموضوعًا وسيرة وأخلاقًا ، بشرًا وسراجًا منيرًا ونبيًا ورسولا مبشرًا ونذيرا . يتعين عليه أن يتناول هذه الذات من جميع الجوانب المقترنة بها والمتصلة بذاتها بلزوم الاقتران واصطفاء النبوة واختيار الرسولية والرسالة وطاقة تحملا للقول الثقيل الموحى إليه قرآنًا عربيًا ، وأهمها الأمور الموضوعات التالية :

١-القرآن العظيم .

٢-قضية التوحيد (الألوهية والربوبية) .

٣-أخلاق محمد وقوام المحبة .

٤-حياة محمد الروحية (الخواص والخصائص والطاقة والمعجزات ..) .

٥-النبوغ الموضح في السيرة وأحداثها .

٦-قدرات الإدارة والتنظيم والقيادة في السلم والحرب .

كما يجب أن يتناول أي دارس أو باحث شخصية الرسول من النواحي الآتية :

الرسول الداعية والمشرع والمعلم والسياسي القائد ورب الأسرة والإنسان (في بيته وفي تجارته ومع صحابته ومع الخصوم والأطفال والأبطال والشباب والملوك ومع الخدم والعبيد في ذلك الوقت ..إلخ) الرسول وأهل الديانات الأخرى (وثنية وسماوية) الرسول الأديب والطبيب (الطب النبوي البدني

والنفسي) والرسول العابد ودلائل النبوة ومعجزات الرسـول وخصائصـه وقـواه الروحية وحياته الروحية وغير ذلك مما يمكن معه – وفي حـدود – إعطـاء صـورة تقريبية حقيقية حية تبقى حية في ضمائر وعقول وقلوب الناس والأمـم والتـاريخ ، تتعهدها الإنسانية من كل لون وجنس ومعتقـد بالـدرس والاسـتيعاب جـيلا بعـد جيل في كل بقاع الأرض وعلى امتـداد العصـور لتصـطنع لنفسـها مـن هـذا النبـي الرسول قدوة تقتدي بها وأسوة حسنة تتأسى بهـا ونموذجًـا ترنـو إليـه في إنسـانيته وإنسانياته قدر ما تستطيع في استضاءة بمناراتها الهادية المنيرة . إن عَـور العـين في بصر الإنسان اليوم قد جعل مـن الإنسـانية في كـل المجتمعـات ذات نظـرة ماديـة تقدس المادة والماديات وتبتعد بحب المـال لذاتـه عـن قـيم الأديـان الأخلاقيـة ومثلها التربوية السامية وقيمها الروحية التي توجه الإنسان أين كان وكيف كـان في مواطنه كلها للتعاون والتكافل والمساعدة مع أخيه الإنسان أين كـان وكيـف كـان على نهج الأنبياء والمرسلين ونهج خاتمهم محمد ﷺ الذي كان يصف الإنسان في أي مجتمع يقدس ويخضع أو يتعبد للمادة والمال وقيمهم وللكسب والربح غيـر المشروع بكل الوسائل غير السوية أو العادلة أو المعتدلة وعلى أشلاء أي ضـحايا فيقول : «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم .. » الحديث . وينطبق ذلك على كـل العصور بما فيها عصرنا الحالي الذي تنبه فيه الأستاذ الـدكتور حسـين كامـل بهـاء الدين إلى حقيقة معنى حديث رسول الله فيقول : « إن الجوانب الإنسانية في البشـر لا زالـت تمثـل اهتمامًـا ورهانًـا مـن جانـب كثيـر مـن المثقفـين والمفكـرين والمصلحين ، وأنه في عصر الهيمنـة الماديـة والغلبـة الماليـة وتفشـى الانتهازيـة والميكيافيلية فإن ضمير العالم لا زال يطالب بأن لا تغفل عوامـل القـيم والمبـادئ وسلوكيات التعاون والتراحم والتكافل ولا زال هنـاك مـن يـؤمن بإمكـان وجـود حياة أفضل في ظل مناخ أعدل وفي سياق قيم إنسانية وروحية لا تقهرها المـادة ولا تطغى عليها الأنانية ولا تطمسها الأطماع والشـهوات وأن الأمـل في المسـتقبل لا

يزال يقف في وجه المتشبثين بالكسب السريع والتكالب المهين على الغنائم والأسلاب » انتهى .

وإنه لن يحيط أحد بجوانب شخص النبي محمد ﷺ ويعطيه حقه أو يقدره حق قدره وقدره الحق إلا من يتناوله من خلال كل هذه الأمور والموضوعات كلها وأيضًا غيرها التي اتصف بها رسول الله حين كان يرعى الغنم ومنها الصبر والتواضع والشجاعة والسيطرة والتوجيه وتقدير حب الكسب من العمل والحرمة والعطف .. وغيرها .. إن الأبحاث الروحية الحديثة طبقًا لما هو مُدوَّن في دوائر المعارف الروحية تقول أن راعي الغنم يكتسب من حياته بين الغنم قوة روحية تكبر مع طول المدة التي يمارسها في رعايته للغنم . كما وإني أجد لزامًا عليَّ أن أوضح أن كبار الأئمة الصوفية المسلمين الثقات الملتزمين بالقرآن وبسنة خاتم المرسلين والمتبعين للشريعة المقتدين بأحكامها وتعاليمها وحدودها الجامعين بين فقه الشريعة وكشف الحقيقة في سموها وتساميها الروحي في تصوفهم السني وتوحيدهم الإسلامي قد بينوا في أوراد لهم وأحزاب وصلوات على حضرة النبي محمد حقائقًا ومقامات لا يعرفها كل العلماء أو الناس المؤمنين أو المسلمين أو غير المسلمين ، ومن أمثالهم الإمام عبد القادر الجيلاني (الفتوحات) والإمام إبراهيم الدسوقي (المأثورات) والإمام أبو الحسن الشاذلي (الوظيفة) والإمام الدردير(الصلوات) والإمام أحمد الرفاعي (الصلوات) والإمام البكري (الأوراد والأحزاب) وغيرهم كثيرون ومؤخرًا في عصرنا الحديث وزماننا الإمام محمد ماضي أبو العزائم العالم الرباني المجدد للدين والوارث للنبي (الصلوات والمنثور والمنظوم) [(١)] . في منظوره الروحي ومنظاره الروحاني ..

(١) وكتبه «اصلاحات الصوفية» و « من جوامع الكلم » و « من المضنون » الناشر دار الكتاب الصوفي .

وكلهـا مشـاهد ومكاشـفات لم أتناولهـا في كتـابي هـذا ويمكـن الرجـوع إليهـا في مصادرها . فإن من التجارب الروحية الباطنة لمثـل هـؤلاء العلمـاء يكـون المـدد المعرفي بفضل الله والإمداد منه سبحانه والاستمداد من رسول الله والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وهو سبحانه وتعالى يرفع الذين آمنوا منا والذين أتوا العلم درجات. وأن مدد العلماء من مدادهم وإرشاد الأولياء مـن هـدي إيمـانهم وعلـومهم مـن تقـوى قلـوبهم والله يهـدي لنـوره مـن يشـاء ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

وأخيرًا أشير على العلاقة بين حضرة النبي محمد وبين روح القـدس أو الـروح الأمين أو جبريل باعتبارها نفس الكائن الواحد الذي خلقه الله رب العـالمين مـن (طاقة) هي (النور) لا يعلم أحد حقيقته أو كنهه أو قدره في ماهيته وقال عنـه الله في القرآن (روحي) و(روحنا). هذا الروح المنسوب في القـرآن الكـريم إلى أمـر ربنـا سبحانه وتعالى لـه القـدرة عـلى التحـول ، والتمثـل في المـادة والظهـور في صـور وتشكلات منها الصورة البشرية من مثل الإنسان الحديث . وهـذا مـا حصـل مـع النبي ﷺ في واقعة (دحية الكلبي) وما حصل للسيدة مريم العذراء عندما تمثل لها روح القدس (روحنا كما يذكر القرآن الكريم) بشرا سويا :﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم: ١٧] . وغالبًا ما يكون الروح الذي نفخ منه ربنا رب العالمين في آدم العاقل الذي أكمل الله تسويته : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ [الحجر:٢٩] غالبًـا مـا يكون هو نفسه روح القدس شديد القوى ذو المرة صـاحب القـدرات والطاقـات التي نفخ الله منها في البشر في طوره العاقل المسوي آدم ووهبته وذريتـه مـن بعـده (الحياة) لنفسه في نفسه وذاته الكلية وكل نفس وذات غيره لأنه إذا كانت كل نفس ذائقة الموت فإن كل نفس تكون حية قبل الموت . وسائر القدرات والطاقات التي تميز بهـا واخـتص بهـا آدم ، العاقـل سـواء الحسـية (البصـرية) أو فـوق الحسـية

(البصيرية) ويظل الروح القدس في حقيقته سرًا من الأسـرار التـي تستعصـي عـلى فهم وإدراك الإنسان وما يعلمه من علوم ومعـارف في عصـرنا كمـا يقـول القـرآن العظيم في الآية ٨٥من سـورة الإسـراء : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ ..

وتروي لنا أحاديث النبي الموثقة أن روح القدس كان مصاحبًا للنبي في إسرائه وفي معراجه وفي دنوه وتدليه وبما يعنيه ذلك من مشابهة في الحقيقـة (طاقـة الـروح النور) (لا المثلية) بين الاثنين في القدر حيث أن في المقام مقال ولكن ليس كل مـا يعرف يقال .

ويقول الإمام ابن قيم الجوزيـة وفيمـا يتعلـق بالآيـة : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ الخاصة بالبشر المسوي منه سبحانه (آدم العاقـل) أن المضـاف إلى الله قـد تكـون صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكـلام والسـمع والبصـر ، وقـد تكـون أعيان منفصلة عنه سبحانه كالبيت والـروح وهـي هنـا إضـافة مخلـوق إلى خالقـه ومصنوع إلى صانعه وهي إضافة تقتضي تخصيص وتشريف يتميز يه المضاف عن غيره إي أن الروح في ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ عين منفصلة مخلوقة أضـيفت إلى الله تعالى بمعنى التشريف والاختيـار وليسـت إضـافة حقـائق أو صـفات لا تقـوم إلا بنفسها . أن روح القدس (جبريل) أو الروح الأمين هو الواسـطة الروحيـة الـذي بلغ الروح القرآني إلى حضرة النبي تنـزيلاً عـلى قلبـه ﷺ في كيانـه وذاتـه الروحيـة وخاصيتها العقلية في درجة النبي العالية مـن الإعـداد الإلهـي لـه لتلقـي كـلام الله (القرآن) من لدن حكيم علـيم والنبـي في حقيقتـه سـراج منيـر يتمتـع بخصـائص وخواص روحية نورية لا تعرف حقيقة قدرها في قمة مستواها كما ظهر عند سدرة المنتهى وكما عاين ورأى النبي روح القدس (جبريل) مـرة وهـو في الأرض عنـد

غار حراء ومرة عند سدرة المنتهى في هيئته النورية الشمولية الحقيقية (سادا بين الأفق وكثير الأجنحة) كما تقول الأحاديث النبوية الثابتة الصحيحة في حضرة يغشاها النور كما روى الإمام الترمذي في صحيحه، والنبي عندئذ قد تجاوز (المعية) و(العندية) إلى (اللدنية) في تلقي اللفظ والمعنى القرآني ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦]. .

وكما في الدنو والتدلي الذي جاء في سورة النجم أي من روح القدس جبريل[1]. أما مقام النبي الذي جاء في سورة النجم فكما يلي :﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [١-١٨].

فالروح تدخل ضمن أشكال جديدة غير معروفة من الطاقة لا يستطيع العلماء حتى الآن تحديد طبيعتها أو ماهيتها أو كنهها أو قوتها أو اتجاهها لأنها شكل من الطاقة جديد خارج نطاق علمهم وكذلك تظل (النفخة) من الروح سرًا مغلقًا علينا لا نعلم كيفيته ولا حقيقته ولا تدرك الأقدرا محدودًا من مؤثراته وتأثيراته الظاهرة في الكائن البشري الإنساني الحديث . فإذا صح ذلك الذي نقول فإن للروح القدس مع حضرة النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه شأن آخر وعلاقة أخرى خاصة ذكرها القرآن الكريم في كثير من الآيات في عدد من السور مثل

(١) كما يقول الإمام ابن الجوزية عليه رحمة الله ومن رب العزة تبارك وتعالى كما يقول الإمام أبو العزائم وغيره . الأول قيم استنادًا إلى أقوال السيدة عائشة وابن مسعود وأبي هريرة ، والثاني كما كان يقول عبد الله بن عباس ومن وافقه.

سورتي الإسراء والنجم على سبيل المثال فضلا عن وقائع وأحداث في سيرة النبي وأحاديثه التي تضمنتها سنته ما يجعلنا ننظر إلى حضرة النبي ليس فقط في حدود بشريته وإنما أيضًا في اختياره لتلقي كلام الله (القرآن) وفي خصائصه الروحية النورية وقدراته وطاقاته غير العادية التي علت وسمت وفاقت قدرات وطاقات روح القدس خلق النور .. وإلى هنا يقف قلمي ويجف مداده وتنتهي كلماتي وتقصر معرفتي وتنتهي معلوماتي وأحيل القراء لكتابي إلى كتاب الله القرآن العظيم الذي رفع ذكر النبي محمد وعلَّمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيمًا . إلخ.

وأقول هنا ما يقوله زميلنا العالم القدير الأستاذ محمد السادات في كتابه «ومضات روحية في حياة الرسول »: «من الخطأ البين الحكم على عالم من العوالم بأحكام عالم آخر وأنني لأعجب من الذين يتبجحون ويحكمون في كل الأشياء بالأحكام الجازمة اعتمادًا على بعض قوانين وصلوا إلى ظواهرها من قوانين هذا الكون التي لا يحصيها إلا الله ولا يدري كنهها إلا مبدعها الذي لا حدَّ لقدرته ولا نهاية لعلمه . ومن الغريب أن الماديين المنكرين لا يستندون إلا إلى الاستبعاد العقلي وقياس الغائب على الشاهد وإرجاع ما لم يعلموا إلى ما علموا ، والجاهل لا يعرف قدر نفسه ولا قدر العلم ويعتقد أن كل ما خرج عن دائرة علمه هو في دائرة العدم .. وسبحان من أنزل في هؤلاء هذا الكلام : ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:٣٩] . انتهى .

ويؤكد ذلك العلامة الطبيب الكسي كاريل في كتابه : « الإنسان ذلك المجهول» فيقول : «قد تهمل حقائق هامة إهمالا تامًا لأن عقولنا تميل بطبيعتها إلى نبذ الأشياء التي لا تتلاءم مع إطار معتقدات عصرنا العلمية أو الفلسفية ، ولا عجب فالعلماء بشر قبل كل شيء وهم غارقون في أفكار بيئتهم وعصرهم ومن ثم فإنهم على استعداد لأن يصدقوا أن الحقائق التي لا يمكن تفسيرها بالنظريات

المتداولة غير موجودة » . انتهى .

اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا الذي أقدمه على قدري الضعيف الجهول ، خالصًا لوجهه الكريم مقبولاً لديه ومرضيًا عنه من خاتم النبيين والمرسلين ونورًا لي يثقل به ميزان حسناتي يوم الدين كما أسأله سبحانه وتعالى وادعوه :﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أو غفلنا أو جهلنا أو قصَّرنا وأرنا اللهم الحق حقًا وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه أنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. وحسبي الله وما توفيقي إلا بالله .

الفقير إلى الله

المحب لرسول الله

محمد أمين جبر

-٥ قيم حضارية في دعوته ﷺ[1]

قام ﷺ يصدع بأمر ربه سبحانه وتعالى ، ويدعو جميع الخلق إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وتنزيهه جلا وعلا وتفريده سبحانه وحده بالعبادة لا شريك له ، ويأمرهم ﷺ بما فيه خيرهم وصلاحهم ، والفوز بالسعادة الدنيوية والأخروية ، فمن ذلك اتحاد الكلمة وعدم التفرق ونبذ التنازع والتباغض والتحاسد ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

ومن ذلك بر الوالدين ومعاملتهما بالملاطفة والمجاملة والإحسان إليهما وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، وصلة الرحم بالإحسان إليها إن كانت من ذوي الفاقة ، وإلا فالبدء بالكلام ، أو الزيارة ، أو البدء بالسلام ، أو بغير ذلك مما يجلب المودة ويزيد في المحبة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ .

والتعاون علي الخير وجلب المنفعة لأخيه المسلم ودفع الضرر عنه ، وذلك في قوله تعالي : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ .

(١) الإمام محمد ماضي أبو العزائم في كتابه «الإسلام دين الله » الناشر دار الكتاب الصوفي .

وأداء الأمانة وذلك في قوله جل وعلا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ .

وإنجاز الوعد والوفاء بالعهد وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ ﴾ .

والعفو وترك المجازاة على الذنب مع القدرة عليها وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾.

ومواساة الفقير والإحسان إليه ومساعدته بقدر الطاقة وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ .

والسعي في الصلح بين الناس وإزالة البغضاء والشحناء فيما بينهم في قوله تعالى : ﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ .

والعدل والإحسان وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾ .

والاقتصاد والتوسط في الأمور وعدم الإسراف فيها وذلك في قوله جل شأنه : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ .

والمسارعة إلى فعل الخيرات والمبادرة إلى انتهاز الفرصة قبل فواتها وذلك بقوله تعالى : ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾، إلى غير ذلك من كل خصلة حميدة وصفة جميلة .

وينهاهم عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ

عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

وعن الفسق وعصيان الله تعالى فيما أمر به أو نهى عنه وذلك في قوله تعالى : ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾.

وعن الرياء وهو العمل الذي يعمله الإنسان لأجل أن الناس يمدحونه ويثنون عليه خيرًا وذلك في قوله تعالى :﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ، أي لا يرائي في عمله ، وقوله تعالى :﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ ، وقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾.

وعن قتل النفس بغير حق وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾.

وعن الزنا بقوله تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

وعن الكبر بقوله تعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾.

وعن الربا وذلك بقوله تعالى :﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ .

وعن شرب الخمر والقمار وذلك بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

وعن السخرية بالناس والاستخفاف بهم واستحقارهم وعن عيب المرء أخاه ودعوته بغير ما سمى به وذلك في قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ .

وعن التجسس والغيبة وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾.

وعن الكلام فيما لا يعنى وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾.

وعن المن بالصدقة بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾.

وعن الخيانة بقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

ونهاهم عن الكذب وعلمهم الصدق فعلمهم أن المؤمن لا يكون كذابًا وإن شهادة الزور من أكبر الكبائر وقال :«كبرت خيانة عند الله أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب».

ونهاهم عن الرشوة وقال : « من شفع شفاعة لأحد فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابًا عظيمًا من أبواب الكبائر » .

كذلك علمهم الجهاد من أجل تحرير وتحرر الإنسان وقال لهم : « ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله » .

وعلمهم مقاومة الظلم وقال لهم : « إذا رأيتم الظالم ولم تأخذوا على يديه يوشك أن يعمكم الله بعذاب» .

وحضَّهم على طلب العلم وقال لهم : « وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » . وطالبهم أن يكونوا أحرارًا أمام الحياة وإن يمارسوا حرية العمل لأن الإنسان حر وعمله هو الذي يشكله وقال لهم إن : « الإيمان ما وقر في اللقب وصدَّقه العمل » . وهي الحقيقة التي جاء بها القرآن

الكريم وقرن فيها الإيمان بالعمل الصالح في كل آياته .

والخلاصة : « لقد جاءهم محمد بتوخي الصدق والبر ورعاية الوالدين والأقارب ومكارم الأخلاق والرحمة والعدل والمساواة والشجاعة والكرم والإخاء والمحبة والتسامح والتعاون والتكافل والتصدق على الفقراء والمحتاجين والإنفاق في كل سبل الخير والصلاح والإصلاح .. وحق الإنسان في الحرية وحفظ الكرامة والحصول على حقوقه وضرورة أداء واجباته ومنها واجبه المقدس في الدفاع عن المستضعفين وعن حرية الآخرين وحماية حقوقهم . وإلى غير ذلك دعا محمد ﷺ ونهى عما يضر بالنفس أو المال أو العرض أو العقل .. عند الإنسان المؤمن الفرد وفي الأسرة وفي المجتمع وفي الدولة الوطن ومع كل وجميع الناس وكل ذلك خلال ثلاث وعشرين عاما عانى فيها في سبيل إقرار كل القيم السامية التي جاء بها وكافح من اجلها ومن اجل تثبيتها حتى أضحت دستورًا لأمة واحدة كانت من قبل قبائل متناثرة في صحراء شبه الجزيرة العربية » انتهى .

وكلما تقدم الإنسان في الحضارة وخطا خطوة في حلبة الرقي وصعد درجة في سلم الارتقاء ، أدرك بقدر اتساع آفاقه الفكرية ما لمحمد ﷺ من الأيادي البيضاء على الإنسانية جمعاء .

وقد مضى على انتقال رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى أربعة عشر قرنا ، ولا تزال عظمته ملء القلوب والأسماع وذكراه نشيد الحياة الظامئة إلى منبع هذا الإلهام الكريم وإلى فيض هذه البطولة الفذة والعظمة الكاملة .

وإذا ذكر المسلمون هذا النبي الأمي تقديسًا للرسالة التي حملها وبلغها عن الله تعالى ونشرها في الخافقين ، وإيمانًا بسمو ما جاء به من عقيدة وتشريع ، فإن الإنسانية كلها تذكر أنه رسولها الفذ الكريم البر الرحيم والعلم المفرد الوحيد مجاهدًا في تاريخها الحافل المديد .

إن عظمته عليه الصلاة والسلام ليست مستمدة من عصبية أو جاه أو مال ولا من عظمة الأمة التي ظهر فيها ، ولا من سمو حسبه وشرفه ، بل من جلال شخصيته وكمال خلقه وسعة أفقه ، وأنه المثل الأعلى للإنسان الكامل وأنه عاش مجاهدًا ومات مجاهدًا في سبيل الله ، وأنه الرسول المبعوث الذي اختارته العناية الإلهية من بين الخلق ليبلغ رسالة الله إلى العالم على فترة من الرسل ضل فيها الناس وجهلوا هداية السماء التي بشر بها الأنبياء والمرسلون ، ترجع إلى أنه جاء بآخر الرسالات لتكون بين البشرية عامة وعقيدة الناس قاطبة وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

فقد دعت إلى التوحيد المطلق وقررت مبادئ العدالة والحرية والمساواة والإخاء بين الناس كافة ، وكانت دين البشرية بسمو روحها وجلال نزعاتها ونبيل أهدافها ورفعها من كرامة الإنسان ودعوتها إلى الحب والرحمة والتعاون والتسامح وإيقاظ الضمير والشعور بالمسئولية وتقدير العهود والحرمات ونشر العلم والعمران والمدنية ، وحرب الوثنية والشرك والضلال والعناد والرذائل والمنكرات والأهواء الضالة والأوهام الضارة والشهوات الجامحة والخرافات الكاذبة والتقاليد البالية ، وجمع الناس تحت لواء واحد من هدى الله وفي ظل رسالة كاملة هي شريعة الله ، ثم لم يمض إلى جوار ربه إلا وقد جمع العرب عليها ودعا الملوك والأمراء إليها فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين إلى كسرى وملك البحرين والحبشة وحاكم مصر وهرقل قائد دولة الروم العظمى .

لقد كان محمد صلوات الله وسلامه عليه يؤكد دائمًا حقيقته البشرية وحدَّث المسلمين والمؤمنين وكل الناس قائلاً : « لا تطروني(١) كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا بشر فقولوا عبد الله ورسوله » .

(١) تطروني : تعظموني .

ومع حزنه الشديد على موت ابنه إبراهيم بن مارية الذي سالت عليه دموعه وقال وقتها : « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يغضب الرب ولولا إن الموت وعد صادق وموعد جماع فإن الآخر منا يتبع الأول ولوجدنا عليك يا إبراهيم وجدًا شديدًا ما وجدناه «إن لله وإنا إليه راجعون » . وحين اقترب منه عبدالرحمن بن عوف وقال له : « أو لم تكن نهيت عن البكاء ؟ » فأجابه النبي صلوات الله عليه وسلامه : « ما عن الحزن نهيت وإنما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء .. وإن ما ترون بي أثر ما في القلب من محبة ورحمة ومن لم يبدي الرحمة لم يبدي غيره عليه الرحمة » وعندما انتهى من الصلاة على ابنه الطفل سمع الناس يقولون إن الشمس كسفت حزنا على موت إبراهيم فقال لهم مُغضبًا : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » أيها الناس لا ترفعوني فوق مكانتي فإنما أنا بشر مثلكم : « وإني لأكره أن أتميز عليكم » .

وكانت آيات القرآن الكريم تجلجل من قبل معلنه هذه الحقيقة . وتوجه البشر جميعًا نحو توحيد الله وحسن عبادته وحده بلا شريك .

وكانت هذه رسالة محمد الذي جاء بها ودعا إليها وكان هذا هدى القرآن الذي تنزل عليه يصبح إيمانًا بالله والتوجه إليه بالعمل الصالح له وحده بلا شريك له في الخلْق ولا في الأمر ولا في الحكم ولا في التدبير ولا في التقدير .. إلخ . أما الأنبياء والرسل فيقول الله تعالى :﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ ، [الكهف :٥٦] .

وأما محمد ذاته ﷺ فقد كان الله تعالى في قرآنه يقول : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[آل عمران:١٤٤] .

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف: ١١٠] .

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦] .

إن محمدًا كان يدعو إلى الله تبارك وتعالى بإذنه سبحانه ويدعو البشر من الناس والجنة إلى الله سبحانه وتعالى شأنه شأن كل الذين سبقوه من الأنبياء لأن الله تعالى أولا وآخرًا هو المعبود وهو المقصود في أحديته بيده مقاليد الأمور ومقاليد كل شيء منه المبتدأ وإليه المنتهى والرُجعى فهو الذي خلق كل شيء فقدره تقدير ا وأحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين وهو الذي خلق الظلمات والنور والظل والحرور والأحياء والأموات والماديات والروحانيات والقوى والطاقات والنار والنور وخلق الإنسان وعلمه البيان وخلق الموت والحياة ليبلونا أينا أحسن عملا ولذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم الذي نزله بالوحي على قلب النبي محمد ﷺ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩- ٨٠] .

ومن هنا كانت فاتحة الكتاب التي أمر الله نبيه أن يقرأها في كل صلاة على الأقل خمس مرات في اليوم والليلة حيث لا تصلح أو تصح الصلاة بدون قراءتها تتضمن حقائق عن الألوهية وعن الربوبية وعن عبادة الله وحده دون شريك والاستعانة به في كل الأمور بما فيها العبادة نفسها والاهتداء إلى الصراط المستقيم وحددت أوصافه السورة وهي التي تقرأ : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة . وقال الله تعالى لنبيه محمد في سورة الرعد في القرآن الكريم : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ

بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيًّاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ﴾ [الرعد: ٣٦- ٣٧] .

هذه رسالة محمد وهذا دينه وهذه دعوته وعلى هديها صاح الصديق أبـو بكـر عند وفاة النبي : « من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فـإن الله حي لا يموت » .

لأن محمد البشر الرسول كان يخضع للموت وهو القانون والسنَّة التي خلقها الله ويخضع لها جميع البشر كما يقول لنا القرآن العظيم :﴿ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[الأنبياء:٣٤- ٣٥] . إن الله تبارك وتعالى بيده الملك وهو على كل شيء قدير وهو سبحانه : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك:٢] وحتى النبي عيسى بن مريم كلمة الله وروح منه التي ألقاها إلى مريم يخضع هو الآخر لقانون وسُنَّة الموت التي لا يفلت منها أحدًا ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[المائدة:١١٧].

ولذلك كان يقول سلام الله عليه : ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ [مريم ٣٣] . وقد تكلم عيسى النبي بذلك وهو في المهد صبيا ومؤيدًا بروح القدس حين أتت أمه مريم قومها تحمله وأشارت إليه ليحدثهم : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴾ [مريم:٣٠- ٣٤] . وبالنسبة لكل إنسان من البشر فإن اجله أي وقت موته إذا جاء فإنه يلاقيه فلا يسبق وقته ولا يتأخر عنه لحظة زمان ،﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ [الرعد:٣٨] .وبالنسبة

للأمم : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٤] .

وفقًا لهذه القاعدة كانت أحداث مصائر الأمم وأبنيتها الحضارية في الأرض عبر التاريخ كما نعرفه .

وإن بشرية محمد كانت محوطة بعين الله وحفظه وعصمته للنبي من الناس في نفس الوقت الذي كانت تتضمن (وحي الله) بالقرآن الكريم القول الثقيل والشرعة والمنهاج والدعوة والحجة وهو ما يقول فيه القرآن الكريم :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [الكهف:١١٠] . فما كان ينطق بالقرآن عن هوى إنما هو وحي يوحي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم ٣- ٤] . فهو صلوات الله وسلامه عليه ببشريته مع الناس وبسره مع رب الناس بإرادته سبحانه وأمره وتوجيهه . في مقامات من (القرب) تشمل (المعية والعندية واللدنية) وتوضحها أوصاف الآية : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ ﴾ [النجم:٨-٩].

٥- محمد السراج المنير

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [الأحزاب:٤٥] .

إن سراجية محمد المنيرة ارتبطت بالقرآن الكريم وهو نور وروح وطاقة وكان محمد يبين للناس ما نُزِّل إليهم ويقرأ القرآن على الناس على مُكث وقد فرقه الله ولم ينزله جملة واحدة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلكي ندرك أبعاد كون محمد سراجًا منيرًا فإن علينا أن نعرف شيئًا عن السراج المنير في الطبيعة الكونية ومعناه وما يحويه من «الطاقة» لندرك قدر «الطاقة الروحية» التي كان يتمتع بها محمد صلوات الله وسلامه عليه .

إن الشمس وهي سراج منير ، مصدر الطاقة الرئيسي للأرض ، فالإشعاعات الكهرومغناطيسية تنقل ضوءها وحرارتها على الأرض عبر (١٥٠) مليون كيلو متر تقريبًا من الفضاء [1].والضوء يساعد النباتات في النمو على اليابسة وفي البحار فتوفر بذلك الغذاء لها وللحياة الحيوانية على الأرض . الطاقة الحرارية من الشمس تحفظ الأرض على درجة حرارة ملائمة لتواجد الحياة . والوُقُد الأحفورية تحوي طاقة مختزنة من ضوء الشمس الذي سقط على الأرض منذ ملايين السنين، وهذه الوُقُد توفر معظم الطاقة للمجتمعات البشرية الصناعية وغير

(١) وهي المسافة بين الشمس وكوكب الأرض .

الصناعية ، والواقع أنه بدون ضوء الشمس وحرارتها وهي السراج المنير لا يمكن تواجد حياة على الأرض لأن الشمس توفر لها البيئة المناسبة والكمية الصحيحة من الطاقة ، ونحن نعلم الآن أنه لأداء شغل أو إحداث شيء لابد من طاقة ، فكل شيء يحدث على الأرض يعتمد على طاقة مصدرها الأصلي من الشمس التي مصدر طاقاتها هو تفاعلات الاندماج النووي في قلبها ودواخلها وبحيث تعتمد الحياة النباتية والحيوانية والبشرية على (الطاقة) من أشعة الشمس (السراج المنير) وأخيرًا يعتبر الضوء المرئي من الشمس شكل من أشكال الإشعاعات الكهرومغناطيسية التي تتضمنها أشعة الشمس ، وأكتفي بهذا القدر عن الشمس كسراج منير في الطبيعة وله اتصال بالأرض والحياة فيها ويمكن الرجوع إلى كتب الفيزياء والفلك والطبيعة الكونية وغيرها لمعرفة معلومات زيادة عن سراجية الشمس المنيرة وطاقاتها والتي يقول عنها القرآن العظيم : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان:٦١] ويقول : ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح:١٦] .

إن السراج المنير في الطبيعة (نجم الشمس) يضيئ بذاته وبموضوعه بطاقته من ناره والسراج المنير المصطفى (النبي محمد) يضيء بذاته وبموضوعه بطاقة من نوره (روحه) ونور قرآنه فيحيي السراج في الطبيعة، الإنسان في الأرض ويحي السراج في النبوة حياة الإنسان فيها . فالسر في سراج الطبيعة هو (الطاقة النارية) والسر في سراج النبوة هو (الطاقة النورية) أي (الروحية) كلاهما له إشعاعه وضوءه وتأثيراته وجاذبيته وأسباب الحياة لغيره من نار أو من نور في ذات النبي وروحه وفي القرآن العظيم وموضوعه.

ومن هنا نذهب إلى حقيقة محمد رسول الله وخاتم أنبيائه باعتباره «سراجًا منيرًا» وعلى قدرنا المتواضع من الفهم والعلم والرؤية والشهود لنقول أن محمدًا كان يتمتع بروحانية عالية جدًا تمثل طاقة ونوارنية تميز بهما وظهرت في الكثير من

الأحداث والمواقف في سيرته الممتدة في الأرض وصلته بالكائنات المادية واللامادية النورانية والنارية والروحية الحية فيها ، والمعجزات المبهرة التي تمت على يديه بإذن الله تعالى ووثقتها لنا المرويات التاريخية الصادقة والروايات القرآنية الحقة ، فيما يتعلق بحياته الجسدية وحياته الروحية . إنه بالطاقة والنور من القرآن الكريم ومن روحانية محمد وسراجيته المنيرة ربى رسول الله الجيل الأول من الصحابة وعلى الأكتاف المؤمنة من الرجال وقلوبهم المطمئنة ونفسياتهم الطاهرة وإيمانهم القوي وتوحيدهم لله بالتنزيه والكمال اللائقين بذاته تحققت الإنجازات وتأسست الدولة وازدهرت الحضارة وصار محمد بسراجيته المنيرة مركزًا لطاقة جاذبة مجالها ومحيطها كل العالمين ومتحققًا بجاذبيته التي قوامها الحب والإيثار، لكل من كان من المؤمنين يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا وليكون رسول الله له أسوة حسنة ويكون أحب إلى نفسه من نفسه ووالديه وأبنائه والناس أجمعين . إن السراج المحمدي المنير يولد طاقة تسرج غيره تنير العقول والقلوب والأرواح وتمد الجسم من هذه الطاقة وقدراتها ، فكما أن الشمس وهي السراج المنير في الوجود هي سر وسبب الحياة في الأرض ، فإن محمدًا وهو السراج المنير في الوجود البشري هو سر وسبب حياة البشر الحياة الطيبة الروحية الدينية يُسرج بها عقولهم وقلوبهم وبصائرهم وحواسهم .

هذه كانت طاقة (قدرة) محمد الروحية وحقيقته الروحية وكانت الطاقة القرآنية والنور القرآني والروح القرآني والحق في القرآن وفي فرقانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى:٥٢– ٥٣] . وفي سورة الروم يقول القرآن الكريم : ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[الروم:٥٨-٥٩] .

وفي سورة المائدة يقول القرآن الكريم في الآية ١٥ عن محمد والقرآن أنهما نور وكتاب مبين : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [المائدة:١٥] .

ولكن باعتبار محمد النبي بشرا فقد خضع لسنة الله التي خلق معها الموت الجسدي لكل البشر كما يقول القرآن العظيم : [الزمر:٣٠] وكما يقول : [الأنبياء:٣٤] . وحيث أن الذي يذوق الموت هو (النفس) وليست هي (الروح) كما يخبرنا القرآن العظيم : [الأنبياء:٣٥] وبذلك تظل روح محمد صلوات الله وسلامه عليه باقية حية بعد موته الجسمي طليقة ، ونشطة ومتحركة ومتنقلة بحرية بعد أن اختار النبي لحظة موته الجسدي أن يكون مع (الرفيق الأعلى) كما علمنا من سيرته . وأود أن أقول لمتشككين في حقيقة سراجية النبي المنيرة الجاهلين بقدرها وقدراتها إن لي مع سراجية النبي المنيرة تجربتان ، الأولى حصلت في نيويورك وقت أن كنت أعمل في قنصليه مصر العامة قنصلا لمصر بها : والثانية حصلت في جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية (كوريا الشمالية) وكنت أعمل سفيرًا لمصر بها ، وأحتفظ بتفاصيل التجربتين لنفسي .

إن الإنسان الكامل في أخلاقه المكتمل في عقله ، المتميز بالقدرة والطاقة في روحانيته ، المنير في سراجيته ، الأسوة الحسنة في بشريته والقدوة السامية في إنسانيته ، هو ذلك الإنسان الرسول المرسل من عند الله والخاتم للنبيين ، محمد صلوات الله وسلامه عليه .. المرسل للناس كافة شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، رحمة الله للعالمين ، حامل القرآن الكريم والقول الثقيل ومبلغه للناس وقارئه عليهم على مُكث ، مبينًا لهم ما أُنزل إليه من ربه من الكتاب

والحكمـة ، سـر قولـه تعـالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل :٤٤] . وقد علمه الله ما لم يكـن يعلـم وكـان فضـل الله عليـه عظيمًا ، وأمره أن يطلب من الله الاستزادة من العلم والمزيد من المعرفة حتى يأتيه اليقين : (حق اليقين) من خلال إدامته عبادة الله وتوحيده وتنزيهه ويشهد بالشهود في الشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الملك يُحيي ويُميت وله الحمـد وهو سبحانه وتعالى على كل شيء قدير .

فرسول الله ﷺ مأمور بأن يعبد الله ربه حتى يأتيه اليقين أي حق اليقين ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]. خاصة في أبرز صور العبادة وهـي الصـلاة كان سيرتقي في المقامات حتى يتخلق ويتحقق باليقين ومقاماته التسعة [١]، وهـي التوبة والصبر والشكر والرجاء والخـوف والزهـد والتوكـل والرضـا والمحبـة .. وبعد المحبة مقامات محبوب ومنازلات علام الغيوب ثم الرهبة والرغبة ثم اللقاء بالله تعالى والفناء عما سواه . [٢] واليقـين الـذي كـان سـيتحقق بـه رسـول الله ﷺ ويأتيه نتيجة استمرار دوام عبادته لربه مع توحيده وتنزيهه ليس هو (المـوت) كمـا ذهب إلى ذلك معظم المفسرين ، رغم أن الموت من حقـائق اليقـين ويعتبـر يقينًـا حقا أو حقًا يقينيًا وهو المقصود في الآية ٤٧ من سورة المـدثر: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ التي جاء بعدها : ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[المدثر:٤٨] بعد الموت .

ولكنـه .. أي اليقـين المقصـود في الآيـة : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] .والله أعلى وأعلم – هو مستوى مـن المقـام مـن التـدين والإيمـان يتصل بالعلم وبالشهود فهو ، كما يقول الإمام أبو العزائم مرشدنا الروحي :

---

(١) كما يقول الإمام محمد ماض أبو العزائم في كتاب (أصول الوصول لمعيـة الرسـول) وكتـاب (مـن جوامع الكلم) الناشر دار الكتاب الصوفي .

(٢) المصدر السابق .

«نور من أسرار المشاهدة وسر من أنوار المعرفة ومقام من مقامات الزلفى بـه يحصل التحقيق ويدوم الحضور مع الحق . فاليقين هو شهود أسرار الآيات وسـر القدرة الساري في الكائنات ، ونور الحكمة المنبلج للبصائر في كل الموجـودات ، ومعه ينمحي الشك والريب بما ينتج الإتيان بالآخرة والإقرار بأن القيامة لا محالة كائنة وهي النشأة الآخرة حيث يبعث الخلق ويحشرون ويحاسبون بما عملوا مـن خير ومعروف ، ويجازون بما عملوا من شر ومنكر ، أو يغفر الله لهم وهو الغفـور الرحيم .. والموقن في الصلاة – وهي العبـادة لـرب العـالمين– لا يمـل المناجـاة لوجود المصافاة ، ولا يثقل عليه القيام للذاذة والإفهـام ، ويسـهل عليـه الوقـوف لدنو العطوف ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب » . انتهى .

وفي حديث لسيدنا رسول الله ﷺ قـال : « وجعلـت قـرة عينـي في الصـلاة » . وكان يطيل في الصلاة حتى تتورم قدماه ويقوم مـن الليـل زمـن يتهجـد خلالـه لله بالصلاة ، واعتبر الإسلام الذي دعا إليه وجاء به رسول الله (الصلاة) أول ما يسأل عنه المرء يوم القيامة وقد خاطـب الله سـبحانه وتعـالى رسـوله في القـرآن الكـريم بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمـل:١– ٤] . وقولـــه : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾[المزمل :٢٠] .

ولقد استعمل القرآن الكريم كلمة اليقين في أمور أخـرى غيـر المـوت كمـا في سورة الأنعام الآية (٨٥) ، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ وفي سورة البقرة الآيات من ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [١– ٤] والآيـة (١١٨)﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ ، وفي سـورة النمـل الآيــة (٨٢) ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

لَا يُوقِنُونَ ﴾ والمقصود باليقين في آية سورة الحجر هو المقام في الدين الذي يكـون فيه ومعه التثبت والتثبيت والمعرفة الجازمة التي لاشك ولا ريب ولا زيغ فيها بل يكون فيها الشهود وتكون فيها الرؤية الإيمانية بالحقيقة الموجودة والأمـر الواقـع والكائن ، وهي الرؤية التي تحقق بها الرسول عندما أتـاه ربـه اليقـين في مسـتوياته الثلاثة –علم اليقين – وعين اليقين – وحق اليقين – كما في مقامـه ﷺ في: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [الـنجم ١٧] . ومقـام : ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [الـنجم ١١] . وفي واقع ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ [النجم:١٨] في رقيـه وعلـوه إلى مقـام: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [الـنجم:٨-٩] وحتـى سـر ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ [النجم:١٠] .

إن اليقين هو تطابق الظاهرة في رؤيتها وشهودها في الواقع مع الحقيقة المطلقة في شهودها كما هي تكون أي في رؤيتها بالحواس مـن خـلال التجربـة المشـهودة للناظر المشاهد أو المراقب . ففي الآية (٢٥٩) من سورة البقرة مشهد من مشاهد اليقين للذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قـال أنـى يحيـي الله هـذه بعـد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه .. ولما تبينت له الحقيقة في مشهدا كما هي تكـون أو كانت عند رؤيته للآيات الدالـة عـلى القـدرة الإلهيـة قـال : ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة:٢٥٩] . وذلك في مسـتوى (حـق اليقـين) . وفي الآيـة ٢٦٠ من سورة البقرة أيضًا في تجربة النبي إبراهيم وهو (موقن) حين طلب من ربه أن يُريه كيف يحي الموتى فقال له ربـه : ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ واطمئنان القلب هو المرتبة أو المستوى الأعلى مـن مسـتويات اليقـين وهـو حـق اليقين الذي يعني المعرفة اليقينية التي لا يشوبها أو يعتورها شك أو ريـب أو ظـن وهي المعرفة الصحيحة بالحقيقة ومشهدها الحسي وتجربتها الواقعية فعلا .

إن مقام اليقين هو المقام الذي آتاه الله تعالى لرسـوله محمـد ﷺ مـع اسـتمرار

ودوام عبادته لربه وحضوره الدائم في حضرته أي معه وفي معيته وذكره المتواصل لجنابه في العندية واللدنية . وقد جاء التثبت لرسول الله في الآية (١٢٠) من سورة هود التي تقول : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

اليقين

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[الحجر:٩٩] .

علم اليقين هو العلم الناتج عن التجربة والرؤية والمشاهدة ، كما في الآيات (٥-٨) من سورة التكاثر : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وكما في آخر الآية (٢٥٩) من سورة البقرة :﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . والآية (٢٦٠) من سورة البقرة الخاصة بإبراهيم عليه السلام الذي قال له ربه :﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وذلك بعد رؤية ومشاهدة تجربة الأربعة من الطير . إن العلم إذن هو العلم الناتج عن التجربة المنظورة والمشاهدة بالحواس حتى درجة أو مستوى اطمئنان القلب الذي قال به إبراهيم عليه السلام ، القلب العاقل المنير الذي هو موضع الإيمان الكامل الصحيح كما حدثنا رسول الله ﷺ عن الإيمان أنه : «ما وقر في القلب وصدقه العمل » .

أما عين اليقين فهو العلم الناتج عن الجزم المؤكد الذي لا يتخلله أي شك في نتيجته أي ما يسميه العلماء «القانون العلمي » و (LAW) وتدخل فيه معطيات المشاهدة الحسية والكشف الروحي ، وأما حق اليقين فهو تبين الحق كاملا غير منقوص ولا مشوه فيما يدل عليه من الحقيقة كما هي في طبيعتها التي خلقت عليها باليقين عندها إما بالعقل والحواس وإما بما هو زائد على الحواس من

الوعي والتعقل (E . S . p)[1].

ويقول الصوفية في معنى حق اليقين أنه العلم الخفي أو اللدني الذي يوصل إلى الحقيقة والمعرفة اليقينية عن طريق الكشف الروحي والإدراك القلبي فوق قوتي الحس والعقل، المرتبط به أي رؤية الحقيقة في صورة لا هي محسوسة ولا هي معقولة بل «متذوقة» عن طريق «القلب»، «الباطن» الذي هو مركز الإدراك الذوقي والمعرفة اليقينية في الإنسان والمقصود بالقلب هو اللطيفة الربانية غير المادية التي يدرك بها الإنسان الحقيقة الوجودية وليس المقصود منه غدة القلب المادي الموجود في الصدر . فالقلب بالمعنى الأول هو محل الإيمان الصحيح ومركز الفهم والتدبر في الإنسان فهناك عالمًا روحيًا غير محسوس وراء هذا العالم المرئي، وهو ذلك العالم الغيبي الذي لا نصل إليه عبر طريق المعرفة التقليدية وهو الحواس والعقل وإنما يمكن الاقتراب منه ومن حقائقه عن طريق المعرفة القلبية (الإلهام)[2] لأن القلب كما أثبت العلم الحديث واكتشافات العلماء له، قدرات الفقه والعلم وتوجيه نشاطات المخ والعقل .

إن النبي محمد ذو طبيعة واحدة هي الطبيعة البشرية ولكن باعتباره الاصطفائي المختار رسولا من عند الله وخاتمًا للنبيين فقد أنعم الله سبحانه وتعالى عليه فحباه بخصائص وخواص وقدرات وطاقة روحية كان بها سراجًا منيرًا ، تزيد وتعلو على سائر الأنبياء والمرسلين وسائر الكائنات البشرية وغير البشرية . وقد تعجب محمد نفسه من الذين طلبوا منه معجزات حسية وخوارق العادات وعجائب الظواهر وكانت صيحته لهم :﴿سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

(١) (E.S.P) تعني : Eextra Sensory Perception.

(٢) رؤية في كتاب «التصوف والباراسيكولوجي» للدكتور عبد الستار عز الدين الداوي (عراقي) والناشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٢٣ .

[الإسراء:٩٣] .

إن الجسد والروح يمثلان وحدة واحدة ليس في حقيقتها الفاعلة أثنينية وتظهر هذه الوحدة في الجمع بين الهيكل البشري الذي بدأ الله خلقه من عناصر الطين وبين الروح النوري الذي نفخ الله منه في البشر الإنسان فتميز به في قدراته وطاقاته وخصائصه وخواصه ، وكلاهما معًا في وحدتهما وتكاملهما واتحادهما يمثلان حقيقة محمد عبد الله ونبيه الخاتم البشر الرسول الذي يوحي إليه والسراج المنير الذي يضيء لكل موجود.

وإذا كان الإنسان غير المؤمن بمحمد رسول الله أو ضعيف الإيمان أو المتعصب للموروث أو المبغض والكاره للحق يميل إلى التركيز على كلمة ووصف (بشر) فلا يبصر إلا البشرية غير شاهد أو رائي حقيقة (يُوحى إليَّ) وما تعنيه أو يصاحبها من أنوار سيرة وطاقة روح وأوصاف وصفات (خلق عظيم) حتى يقترب بالمعرفة والعلم بحقائقهم ومستوياتهم عند محمد ﷺ ، فإن الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن العظيم : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف:١١٠] . لأن الله في البداية والنهاية هو المعبود وهو المقصود وهو واجب الوجود والدائم الباقي الحي القيوم الفعال لما يريد ومجازي الناس ساعة الحساب يوم الوعيد حسب أعمالهم في الدنيا .

و(يوحى إليَّ) تقول لنا إن محمدًا الذي أعد لاستقبال وحي وإلهام جديد من عالم الروح كان لابد أن يتخلص من الآراء القديمة والعقائد والعادات التي تربطه بدستور الحياة ودوامات التفكير التي تدور في محيط مجتمعه وقومه وأن يطهر نفسه من أي رجس يمس جسده ونفسه أو حتى ثيابه ، وهو ما يطلق عليه علم الروح الحديث (حالة الفراغ العقلي) وهذا العلم يؤكد أن حب الخلوة والتأمل من

الأسس والمقومات اللازمة التي لابد أن يمر بها كل روحي راق يعد نفسه لاستقبال المساعدة من العوالم الروحية الأعلى .. وكذلك كان محمد قبل أن يوحى إليه ، وكان في صباه وشبابه على طباع غير طباع شباب مكة فلم يسجد قط لصنم ولم يمل إلى ما كانوا يميلون إليه من شراب وميسر ولهو وغير ذلك من زينات الحياة بل حبب إليه الخلاء والتحنث والتبتل والتأمل والنظر في أمور ما وراء الطبيعة [١] .

وإذا كان محمد ﷺ متحققًا بخصائص البشرية في فطرته إلا أن الله عز وجل قد حفظه وعصمه من جميع مظاهر الانحراف والانحلال والزلل التي كان يزخر بها مجتمعه كما حفظه بكل ما يتفق مع مقتضيات الرسالة والدعوة التي هيأه وأعده الله للقيام بها .

وقبيل النبوة حبب إلى النبي الخلوة ليتفرغ قلبه وعقله وتتفتح روحه إلى ما سيلقى عليه من وحى النبوة فاتخذ من غار حراء متعبدًا لينقطع عن مشاغل الحياة ومخالطة الخلق استجماعًا لقواه الفكرية ومشاعره الروحية وإحساساته النفسية ومداركه العقلية تفرغًا لمناجاة مبدع الكون وخالق الوجود تحنثًا وتعبدًا وتأملاً وسياحة بالعقل والروح وتصفية للنفس من العلائق المادية البشرية [٢].وكان كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « يتحنث الليالي ذات العدد» تارة عشرة وتارة أكثر من ذلك إلى شهر ثم يعود إلى بيته فلا يكاد يمكث فيه قليلاً حتى يتزود من جديد لخلوة أخرى في غار حراء حتى جاءه الوحي وهو في إحدى خلواته التي كانت كلها عامل ارتقاء وسمو وعلو وارتفاع للجسدية البشرية فوق جواذب المادة وقيود الأرض وزينات الدنيا وزخارفها.

(١) يراجع كتاب : «ومضات روحية في حياة الرسول » للباحث والمحقق القدير زميلنا الأستاذ محمد السادات .

(٢) يراجع كتاب : « محمد رسول الله » لمحمد الصادق عرجون .

أما أقسام الوحي إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه ومراتبه فيقول عنها الإمام ابن قيم الجوزية رضي الله عنه وأرضاه :

إحداها : الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه ﷺ .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب لا يملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته » .

الثالثة: أنه ﷺ كان يتمثل له الملك رجلاً فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانًا .

الرابعة : أنه ﷺ كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه . فيلتبس به الملك حتى أن جبينه ليتفصد عرقًا في اليوم الشديد البرد وحتى أن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها . ولقد جاء الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة : أنه يرى الملك على صورته التي خُلق عليه فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في سورة النجم .

السادسة : ما أوحاه الله إليه وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلَّم الله موسى بن عمران وهي مرتبة ثابتة لموسى بنص القرآن وثبوتها لنبينا هو في حديث الإسراء (١) .

---

(١) وكان مرشدنا الإمام أبو العزائم يقول عن هذه المرتبة أنها ثابتة من معنى ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ **أي بلا واسطة من جبريل أو غيره .**

وقد روى الإمام البخاري عن النبي ﷺ أنه قال : « ما هممت بشيء من أمر الجاهلية إلا مرتين » وفي المرتين حدَّث النبي أن الله تبارك وتعالى عصمه فيهما من فعل الخطأ حيث ذهب النبي فيهما في نوم عميق لم يصحو منه إلا الصباح بمس الشمس بعد طلوعها ، لقد مضت فترة الشباب برسول الله وهو طاهر من الآثام التي تلحق وتدنس الشباب في مجتمعاتهم وكان أيضًا بعيدًا عن الشرك فلم يسجد لصنم قط . كما أنه صلوات الله وسلامه عليه لم يتعلق بأية أفكار أو عقائد أو شوائب وتلوثات أرضية وكان رافضًا بفطرته السوية للعبادات الوثنية ، وكان العالم هاري إدواردز يقول عن الاتصال الروحي وضرورة إخلاء الذهن : « إن كل الوسطاء خاصة وسطاء الجلاء السمعي يعرفون أنهم لكي يحصلوا على رسائل من عالم الروح يجب أولا أن يُصفُوا عقولهم لتكون في حالة (تفرغ) أي يخلصوها من الأفكار الأرضية حتى يسهل عليها تسجيل الصور أو الأصوات القادمة .. » وذلك حتى تتوافر فيها الطهارة والحساسية اللازمة وهما للذان كانا متوفران عند رسول الله ومتحققًا بهما وكانت له صولات وجولات في الجلاء السمعي والبصري مع الروح الأمين روح القدس جبريل فكان يسمع صوته وحده دون أن يراه وظل ثلاث سنوات كما تحكي لنا كتب السيرة يسمع صوت جبريل ولا يرى شخصه وفي أثنائها كان جبريل يعلمه الشيء وهو ﷺ لم يُبعث بعد .

فقبل البعثة حبب إلى رسول الله ﷺ (الخلاء) فكان يخلو بغار حرا في تحنث فيه ليالي طويلة وكان يغادر المجتمع المكي وضوضائه ليعتكف في غار حراء متعبدًا فيما يمكن وصفه بأنه هجرة إلى الله يعتكف فيها في غار حراء متحنثًا ومتعبدًا ومتأملاً حتى جاءه الوحي بالقرآن في ليلة من ليال شهر رمضان أن : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق:١-٣] . ولتكون هذه الآيات بداية التنزيل للقرآن باعتباره دستور للتربية من الرب المربي والخالق لما خلق ولمن خلق ، خاصة الإنسان الذي خلقه ربه من علق وعلمه ربه بالوسائط

والأسباب (القلم) ما لم يكن يعلم وما يمكن أن يعلم . وفي ذلك كان يقول فضيلة الإمام شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود [1]:«كانت «أقرأ» دعوة آمرة إلى الثقافة والعلم والفكر إلى البحث المستفيض في السماء وفي الأرض وفي الجبال والبحار وفي كل ما خلق الله تعالى من كائنات صغرت أم كبرت .. إنها اقرأ بإطلاق ودون تحديد أو تقييد اللهم إلا أن تكون باسم الله .. وقد اتسم الإسلام منذ هذه الكلمة بالطابع العلمي كسمة تجاوز السمات الأخرى حتى إن مداد العلماء المتقين ليوزن في ميزان الخير والحسنات بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء، وإذا قرأت باسم ربك فأنت عابد في أعمالك وفي أقوالك ، فالعلم عبادة حتى في الجانب المادي منه ولا يتأتى ، ولن يتأتى أن يقف الإسلام عقبة في سبيل العلم أو أن يتعارض الإسلام مع العلم الحديث » انتهى . ونحن نعلم أن رسول الله ﷺ وصف طريق العلم بأنه يؤدي إلى (الجنة) فقال : « من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة» وفي حديث قال : « وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع وأن العالم ليستغفر له من السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب [أي في نوره] وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر .. » وفي حديث : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

وأهل العلم والتقوى من أهل الكتاب يعلمون حقيقة رسول الله ونبوته الحقة وما جاء من الحق والحقائق في القرآن العظيم الكتاب الذي أوحاه الله إلى محمد ولذلك جاء فيه :

١ -﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ

(١) في كتابه (الرسول – لمحات من حياته ونور من هديه) وناشره دار غريب .

لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٩] .

٢-﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة:٨٢- ٨٥] .

٣-﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:٢٠] .

٤-﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [الأنعام:١١٤] .

والصادقون من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمدًا صلوات الله وسلامه عليه هو رسول الله للبشرية وقد عرفوا ذلك لما وجدوه من أمارات وأوصاف عنه في كتبهم . ويقول مؤلف كتاب « السيرة النبوية» الدكتور على محمد محمد الصلابي : « لقد وقع التحريف في نسخ التوراة والإنجيل وحذف منها التصريح باسم محمد إلا توراة السامرة وإنجيل برنابا الذي كان موجودًا قبل الإسلام وحرمت الكنيسة تداوله في آخر القرن الخامس الميلادي ، وقد أيدته المخطوطات التي عُثر عليها في منطقة البحر الميت حديثًا فقد جاءت في إنجيل برنابا العبارات المصرحة باسم النبي محمد ﷺ مثل ما جاء في الإصحاح الحادي والأربعين منه .. » انتهى .

وكان الإمام ابن تيمية رضي الله عنه يقول : (والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد ﷺ عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم » .

ويقول (ثم العلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه : أحدها ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب ، والآخر إخبار من وقف على تلك الكتب ممن أسلم وممن لم يُسلم بما وجدوه من ذكره بها ، وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وأنه رسول الله وأنه موجود عندهم وكانوا ينتظرونه وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام حتى امن الأنصار به وبايعوه [١] .

وقد ذكر الإمام ابن تيمية أيضًا رحمه الله (لقد رأيت أنا من نسح الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة أخرى للزبور فلم أرى ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى»[٢]. انتهى .

وهناك قصص كثيرة عن نبوة محمد رسول الله فمنها على سبيل المثال فقط قصة سلمان الفارسي مع راهب حمورية وإخبار أحبار اليهود بقرب بعثته ﷺ كما في قصة أبي التيهان مع يهود بني قريظه وما قاله الراهب بحيري في بلدة بُصرى بالشام عندما لقى أبا طالب متجهًا إلى الشام في تجارته وكان معه محمد وسنة اثنى عشر سنة فأخذ الراهب بُحيري بيده وعرفه وقال عنه أنه سيد العالمين ورسول رب العالمين ورحمة الله المبعوث من الله للعالمين وسأل أبا طالب أن يرده ولا يقدم به إلى الشام خوفًا عليه من الروم واليهود . ثم ورقة بن نوفل الذي كان في فترة بدء الوحي شيخًا كبيرًا قد فقد بصره وقد أخذت السيدة خديجة رسول الله إليه

(١) الجواب الصحيح للإمام ابن تيمية .
(٢) نفس المرجع السابق .

ولما سمع من رسول الله قال على الفور ودون تردد : « هذا لهو الناموس الذي نزل الله على موسى » ولما سمع ورقة من النبي بدء تنزيل الوحي بـ (اقرأ) آمن وأسلم وقد رآه النبي بعد ذلك في الرؤيا المنامية وعليه ثيابًا بيض فقال : « قد أظن أنه لو كان من أهل النار لم أرى عليه البياض » .

هذا وقد كان القرآن العظيم يقرر للإنسان حقيقة خاصة يختص بها النبي ﷺ حين ذكر في الآية ١٩٨ من سورة الأعراف : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ بعد أن ذكر ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ﴾ ، وإن كان كثير من المفسرين اعتبر المقصود في الآيتين وما سبقهما الأصنام التي كانوا يعبدون وهي لا ترى ولا تسمع . ولكن اعتقد أن فهم النص لا يقتصر أو يتحدد بالأصنام التي ليس في الآيتين جديد حول كونها حجارة وجماد غير حي لا يرى ولا يسمع . فالمقصود والله أعلم في الآية : ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ والمرتبطة في الآية التي قبلها بالكلمة التي قبلها (لا يسمعوا) . هم الذين لم يستجيبوا لهدي النبي ودعوته من الكفار والمشركين والمنافقين والذين لم يؤمنوا بالنبي نفسه أو بما أنزل الله عليه من القرآن، في وقته وزمانه وفي كل وقت زمان بعده .

ويفسر هذه الحقيقة ما يقوله القرآن العظيم في سورة البقرة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة:٦– ٧] . فهم لهم أعين ينظرون بها لكنهم لا يرون بها إلا الهيكل النبوي البشري الذي كان كسائر البشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويمارس حياة البشر العاديين ولكنهم لم يكونوا يبصرون سراجية محمد المنيرة وما خصه الله به من خواص وخصائص طاقته الروحية ومعجزاته وتميزه بمكارم الأخلاق وعلمه الأعلى بحقائق التوحيد وصفات التنزيه وكافة أوجه وعناصر (الرحمة) التي كان ﷺ يمثلها للعالمين .. إلخ . وما حباه الله به صفات

تميز بها في نبوته ورسوليته واختيـاره واصـطفائه رسـولا مـن رب العـالمين لكـل العالمين ومقاماته العديدة في هذا الاصطفاء والاختيار وما معـه مـن قـرآن معجـز فهم كانوا ينظرون إلى النبي فيرون أدميته فقط ولكنهم لم يكنـوا يبصـرون أنـواره في نبوته ورسوليته وروحانيته وسراجيته المنيرة لهذه الآدميـة البشـرية والتـي يـوحي إليها من ربها وهكذا كل الذين لا يعرفون محمد عن جهل وجهالة ولا يؤمنون بـه لنقص في معلوماتهم عنه وعن القرآن العظـيم الـذي أوحـاه الله إليـه والـذي جـاء (بالحق) وهم للحق كارهون .

١٠- الحياة مع الرسول ﷺ

إن الرسول ليس شخصية عادية تنتهي أضواؤها بانتهاء حياتها وإنما هو شخصية تستمد حقيقة الدوام والاستمرارية من حيث اختلاطها بالقرآن الذي نزل على القلب منها ليقوم بتبليغه للعالمين .

وقد ترك الرسول ﷺ فينا- نحن المسلمين – القرآن حيًا ينبض بكل أسباب الحياة الحقيقية من حيث هو روح يمد الأرواح ، ونور يهدي القلوب وآيات يستنير بها الفكر والعقل . لقد أفاض القرآن على هذه الشخصية أسمى معاني الحياة الطيبة الحقيقية حين جعل من هذا الرسول أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وهما حقيقتان خالدتان ، لأن الله تبارك وتعالى حي باق ، واليوم الآخر ، باقي في الزمان بقاء الدوام والخلود حتى يأتي وقته . وكل إنسان عاقل يتطلع إلى الله على الدوام والاستمرار ، ويخشى ذلك اليوم الذي تشيب من أهواله الوالدن ، لابد أن يتطلع إلى الرسول ﷺ ليتخذه أسوة حسنة في كل شئون حياته ، وإلى القرآن ليتدبر آياته آية آية ليرى أي الآيات تتحدث عن هذا الرسول وعن علاقة أحداث الدعوة بشخصه ، وبأحداث الأرض في تلك الحقبة من الزمان التي عاشها الرسول ﷺ بشخصه البشري . من هنا فإن الحياة في معية الرسول هي في الحقيقة حياة في معية القرآن الكريم بالفهم والتدبر ، والشعور والإحساس ، والمحبة والإتباع ، والتقدير لله ولشخص رسوله الذي اختاره خاتمًا للرسل ، وأهله بخصائص تمكنه

من أداء الرسالة وتبليغها وتمثيلها في أخلاقياته وسلوكه الشخصي في سيرته الحية.

ولقد كان من الطبيعي أن تختلط شخصية الرسول بمضمون الرسالة وأن يكون الكلام الرباني مقترنًا بهذه الشخصية أشد الاقتران، حتى لنكاد نلمس ذلك في أكثر القضايا أهمية، وهي قضية الإيمان بصدق وكمال الكتاب القرآن ومصدره الرباني، إلى جانب سائر كلمات الإله التي ابلغها للأنبياء السابقين بالمعنى، وهو ما يظهر في سورة البقرة ظهورًا جليًا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]. وأيضًا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وكان هذا الخطاب موجهًا إلى الكفار.

وقد جاء في نفس السورة خطاب إلى أصحاب التوراة والإنجيل يصف النفسية التي يتعامل بها هؤلاء مع قرآن الله ومع رسول الله ﷺ: أما تعاملهم مع قرآن الله فيظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. وأما مع رسول الله ﷺ فيظهر في قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقد ظهر الترابط بين الرسول ﷺ والرسالة أيضًا في حقيقة «الذكر» فالقرآن تذكره وذكر وتذكير ومذكر .. والرسول أرسل بالذكر تذكيرًا ومذكرًا: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[الطلاق: ١٠ - ١١]. فبذكر القرآن يتم

ذكر الله وتذكر رسول الله ، ومن رأى أو اقتدى برسول الله تذكر الله والذكر القرآني.

ومن أبرز الخصائص القرآنية للرسول ﷺ خاصية إقرانه بالله تبارك وتعالى – في كثير من الأمور ، وخاصة فيما يتعلق بالإيمان بالله وطاعة الله ، فلا يعتبر مسلمًا عند الله إلا من يشهد بوحدة الإلوهية واصطفاه محمد ﷺ خاتمًا للرسل ، فالشهادة في الإسلام أن يشهد الإنسان أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله . ولم تتقرر هذه الحقيقة فجأة ، بل كانت واضحة بصفة خاصة في الكتابين اللذين سبقا القرآن وهما : التوراة والإنجيل . بشر موسى عليه السلام بمحمد ، وبشر عيسى عليه السلام بمحمد ، ونزل ذلك في وضوح في كتاب موسى «التوراة» وكتاب عيسى «الإنجيل» وذكر لنا القرآن ذلك صراحة في عدة تقريرات نذكر منها :

١ –﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾[الفتح:٢٩] .

٢ –﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:٢٩] .

٣–﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف:١٥٧] .

٤ –﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾[الصف:٦] .

وأحمد هو محمد وهو المحمود وكلهم من (الحمد) ومقامه المحمود في الآخرة ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩] والحمد بنفس المعنى

في اللغة العبرية القديمة أو الآرامية ونحمد صيغة أخرى لاسم أحمد من نفس المصدر والجذر وكلمة (أحمد) هي الصيغة العربية لكلمة (حمده) في الكتاب المقدس .

ولذلك كان الإيمان بالله وما أنزل من القرآن على الرسول ﷺ مقترنًا بالضرورة بالإيمان بالأنبياء والرسل الذي سبقوا الرسول الخاتم عبر تاريخ الإنسان في الأرض ، وهي الحقيقة التي يبينها القرآن في التقرير التالي : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤] .

وكل هؤلاء نادوا بالإسلام لله الواحد الأحد أي التسليم لذات الله ، والقرآن هو المظهر الخاتم الكامل لحقيقة الإسلام الأبدية التي هي جوهر كل الدين ولبه : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[الشورى:١٣] .

وفي أمر الطاعة اقترن الرسول بالمرسل ، وفي المحبة وفي الأتباع أو الاستجابة لحكمه وقضائه القرآني ، وفي غير ذلك من الأمور ، كما يتضح من هذه المختارات من القرآن التي توضح ما نقوله :

١ -﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾[آ عمران:٣٢] .

٢ -﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران:١٣٢] .

٣ -﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء:٥٩] .

٤ -﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران:٣١] .

٥- ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[النساء:٦٥] .

وليس غريبًا والنبي على هذا المستوى من الامتزاج بالوحي القرآني أن تصفه أقرب الناس إليه السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها فتقول عنه ﷺ إنه : « كان خلقه القرآن» أو «كان قرآنا حيًا» .

لقد جاء القرآن بحقائق الوجود الكلي – مفصلة أحيانًا – ليفتح المجال أمام القلب والروح بالإلهام والمكاشفة وأمام العقل بالتفكير والبحث بالتجريد والنظر والتجريب والاستنتاج والاستنباط والتفسير والتأويل .. إلخ .

وجاء متناسقًا مع أحداث هذا الوجود سواء الطبيعية في الكون ، أو الاجتماعية في حياة البشر ، ونحن بشر ، وصلتنا بالقرآن تنبع من هذه الحقيقة التي من أجلها كان محمد بشرًا رسولاً . كما أن القرآن يخاطب أساسًا المجتمعات البشرية من اجل تقدمها وتحقيق نموها وازدهارها الحضاري المنعكس على حياتها المعيشية ومن خلال ربط هذه المجتمعات في رباط من التعاون من اجل رفاهية شعوبها :﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات:١٣] على أساس من الأخلاق الفاضلة القائمة على الإيمان بالله ، ترتبط بهما معاني الأخوة والمحبة والتسامح والسلام والحرية والعدالة والمساواة ليكون تميز البشر على هذه الأسس : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[الحجرات:١٣] . ومن هنا يجيء دور الرسول العالمي وهو يحمل أمانة تبليغ هذه المبادئ والمعاني إلى البشرية كلها ، بالتذكير النظري وبضرب الأسوة في السلوك الفردي والاجتماعي طوال فترة حياته الممتدة على الأرض .

إن كل المعاني القرآنية التي تلقي أضواءًا على شخصية الرسول – على قدر فهمنا لهذه المعاني الموضحة لهذه الشخصية الفريدة – ليس مقصودًا منها مجرد

القصص النظري أو التفخيم غير ذي الأثر ، إذ كما تختلط شخصية الرسول بالقرآن فإن هذه الشخصية تختلط بالفرد وبالمجتمع الذي يتفاعل مع هذه الشخصية في اقتداء وتأس ، يوضح حقيقته القرآن حين يقرر بالنسبة للسلوك والتربية والتعليم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١] .

فالبيان القرآني بالنسبة لبيان شخصية الرسول هدفه بيان السمو في هذه الشخصية لينعكس ذلك في حياة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع ، وليقتبس من جوانب هذه الشخصية ما يستطيع أن يقتدي به في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات . فالأفضل في عصرنا أن نقتدي بصفاته الأخلاقية والروحانية وبسلوكياته في معاملاته وتعاملاته وصلاته بالآخرين وفيما تميز به من صفات في العلم والعمل في كل مجالات وجوانب سيرته الذاتية وحياته الأسرية والمجتمعية بدلا من أن نقتدي ببعض أفعاله في الشكل كالملبس والأكل وطرق وآداب الأكل والغذاء وطرق الاستلقاء في النوم .. وغير ذلك الكثير الشكلي والسطحي وغير المؤثر في بنيان الإنسان الإيماني وبنيان المجتمع والدولة الوطن ، إن كثير من المسلمين يميلون إلى أن ينسبوا عادات أوطانهم إلى الدين لأنه كثيرًا ما تمتزج الثقافة السائدة بمفاهيم دينية حتى ولو كانت ثقافة مخالفة للدين وتطلعاته الحضارية بينما هي يجب أن تتغير فتنصاع وتتبع تعاليم الدين الصحيحة في استناراتها وانفتاحها وأصوله الثابتة لا تخرج عنها أو تخالفها وإلا فإن الأرضيات الثقافية لعلماء المسلمين أو غير المؤمنين يمكن جدًا أن تؤثر على تفسيراتهم وتأويلاتهم في بيئاتهم الوطنية المختلفة . وهناك جانبان بالنسبة لوجوب طاعة الرسول[١] :

(١) الإمام الأكبر محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق في تفسيره للقرآن الكريم .

الأول: جانب المبلغ عن ربه ما أمر بتبليغه وطاعته فيه طاعة لله في آياته القرآنية من جهة التضحية والاحتمال ، فكما لا رأى للإنسان في منصوص القرآن فلا رأي له أيضًا في منصوص السنة متى صح سندها ومتنها وثبتت الرواة فيها فكما مُنح للمجتهد حق الاجتهاد في محتمل القرآن ووجب عليه أن يعمل بما يدرك منه فقد مُنح أيضًا هذا الحق في محتمل السنة .

الثاني: جانب الإمامة والقيادة العامة للمسلمين في تنظيم شئونهم وطاعته في هذا الجانب واجبة أيضًا للنظام العام وأثناء الفوضى وقد أمره الله في هذا الجانب الذي لا يتنزل عليه وحي فيه أن يشاور أمته : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ وأشرك معه في الشأن أولى الأمر حيث لا نص من كتاب أو سنة وأوجب على الناس إطاعتهم فيها يجمعون عليه بعد المشاورة كما اوجب على المؤمنين الأولين إطاعة الرسول فيما يختاره بعد التشاور وكان ﷺ تارة يرجع عن رأيه إلى رأي غيره وتارة يأخذ الآراء وينفذ ما يرشده الله إليه ويشرح له صدره ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ .

وإذا كان الرسول رحمة للعالمين كما يقرر القرآن ، فإن معاني هذه الرحمة لها تركيز خاص لدى أولئك الذين أمنوا به وبرسالته واختلطت أنوار معانيه بوجودهم ذاته في الفكر والشعور والحب والفهم والسلوك كما عند النخبة المتميزة من ذلك الجيل الأول من الصحابة الذين عاشوا معه وعاش معهم ، أثر فيهم فتأثروا به ، هاجروا إلى الله وإليه ، أحبهم وأحبوه ، التفوا حوله بما في شخصه من الرحمة والرأفة واللين والسماحة والطيبة .

لقد تميز الرسول بخصائص فريدة وطاقات غير عادية من القوة الروحية والأخلاقية جعلته أهلاً لأن يتلقى كلام الله :﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم:٥– ٩] .

لقد غفل عن هذا النور الروحي محمدي كثير من الناس ، وفطن إليه بعض من

الناس ، رأوا أنوار الرسول وقد امتزجت بأنوار القرآن ، وتخطوا حـواجز المكـان في أرض شبه الجزيرة العربية كما تخطـوا حـواجز الزمـان لثلاثـة وعشـرين عامًـا تقريبًا كانت هي فقط حياة الرسول في الدعوة التي قضاها أساسًا بين مكة والمدينة في تلك الحقبة من التاريخ الإنساني في الأرض ، وقد أصبح القـرآن في صـدورهم آيات بينات ، ويعلم الراسخون في العلم منهم تأويله ، ويدركون في كل عصـر مـن عصور البشرية في الأرض عبر تطورها الفكري ونمو معارفها وعلومها وتطبيقاتها، وعبر حضارات الإنسان في الأرض ، يدركون عناصـر الإعجـاز والعظمـة في هـذا القرآن ، وعناصر الهداية والحق في هذا القرآن ، وعناصـر التقـدم والخيـر في هـذا القرآن ، وعناصر الطاقة والبناء في هذا القرآن ، وعناصر الحرية والكرامة والإخـاء والسلام في هذا القرآن وكان محمد رسول الله (قرآنا حيًـا) وكـان (خلقـه القـرآن) كما وصفته زوجه السيدة عائشة أم المؤمنين .

إن الذي يحول بين البعيدين وبين الاقتداء بالنبي محمد ﷺ هو استحواذ الدنيا وماديانها وزينتها على النفوس والقلوب والعقل ، إنه حب الحيـاة الـدنيا وكراهيـة الموت (الوهن) وعدم الاستعداد للآخرة بالأعمال الصالحة في الخير ، إنـه حـب المال والتكالب عليه بكل الطرق والخضوع لقيمه المادية . المؤثرة عـلى السـلوك والعلاقات الإنسانية لتحقيق مصالح ذاتية.

إنه إتباع غرائز الجهل وقلة الثقافة والتطـرف والكـره والاعتـداء عـلى حقـوق وحريات الآخرين وتشويه وتخريب معتقـداتهم .. ومـا شـاكل ذلـك مـن أعمـال وسلوكيات ودوافع توجهها «الغريزة المنفعلة » و «العقل الغائب » غير المنضـبط الأخلاق لأنه بإخلاص النية لله تعالى يتحقق قوام الـدين وقيامـه عنـد كـل النـاس ويكون ذلك بالتحلي بالقيم الأخلاقية الدينية (الإسلامية والمسـيحية) وبالتعـاون والمحبة والتسامح بين كل الناس وكان رسول الله يقول : «لا يؤمن أحـدكم حتـى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» .

وليس بكراهية أتباع الديانات السماوية لبعضهم البعض أو إنكار اتباع الديانات السماوية لأديان معينة غير ما يدينون به أو لأنبياء ورسل بعثهم الله لأقوام (معينين) أو للناس كافة بدءًا وختمًا.

ولقد رأيت أن أتناول الرسول ﷺ في حديث يجد أصوله في كتاب الله تعالى حسب فهمي ودفعني غلى ذلك حبي الشديد لله ولرسوله ولكتاب الله سبحانه وتعالى، فسميته «محمد» رسول الله أسال الله سبحانه وتعالى أن يكون فيه إضافة من خلال فهمي المتواضع الذي اعلم أنه غير وافي في بيان قدر الرسول الحق ولا لآيات الكتاب التي تناولت الرسول ﷺ .

وإن كنت أرجو أن يعم النفع به كل المسلمين وغير المسلمين أيضًا . ويكفي الرسول تكريما من جانب الإله تبارك وتعالى أنه اختير بالاصطفاء ليحمل الرسالة الخاتمة التي أوحى الإله بها إلى هذا الفرد المختار قرآنا عربيًا غير ذي عوج ، يجمع الحق في طياته ، ويضع الموازين القسط للناس ، ليهتدوا بنوره في كل ظلمة من ظلمات الموضوعات والمسائل التي ألقى عليها هذا الكتاب ضوءًا من نوره ، وطاقة من روحه ، ونموذجًا من هديه ، وكلّف الرسول بأن يستمسك بها الذي أوحى إليه على أساس أنه الحق المبين وأنه يدعو إلى صراط الله العزيز الحميد ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٣ ـ ٤٤].

هذا الإنسان الذي قدّر له أن يعيش في إطار هذا الكوكب قبل أن تلحق بالحضارات المعاصرة ساعة انهيارها ولحظة دمارها . وبقدر عظمة هذا القرآن كانت عظمة الفرد المختار من النوع البشري لإبلاغ هذا القرآن وقراءته على الناس على مكث سر قوله تعالى :﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦] . ذلك أننا إذا أخذنا في الاعتبار المصدر الرباني لهذا القرآن

استطعنا أن ندرك سر العظمة الكامن في شخص هذا الرسول الذي كرّمه القرآن في كثير من آياته وقد بيّن القرآن العظيم قدره العظيم وأدب مخاطبته والتعامل معه ، وليس أصدق من القرآن قيلاً في الإحاطة بعظمة هذا الرسول ، وحقيقة دوره الذي كلّف بأدائه إزاء النوع البشري ، وغير هذا النوع من أنواع المخلوقات العاقلة الواعية والذكية الأخرى التي لا تعيش في نفس ذبذبتنا الضوئية التي نرى من خلالها الحقائق المحيطة بنا في الكون كله كالجن مثلا والكائنات الروحية اللامادية .

وعن شمول دعوة النبي للجن يقول القرآن العظيم في سورة الأحقاف (الآيات من ٢٩ حتة ٣٢) ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

فالبيان القرآني بالنسبة لبيان شخصية الرسول هدفه بيان السمو في هذه الشخصية لينعكس ذلك في حياة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع ، وليقتبس من جوانب هذه الشخصية ما يستطيع أن يقتدي به في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والتواصل مع كل الناس .

إن الذين ينظرون إلى الرسول ﷺ فلا يرون إلا ذلك الهيكل البشري الذي كان يعيش في الصحراء ويركب الإبل ويسكن الخيام وينزل المنازل البُدائية ويأكل الطعام العادي ويمشي في الأسواق للتجارة متدثرًا بدثار الأمية ، هم محجوبون عن رؤية النور محمدي الحقيقي ، نور الرسول في حقيقته الروحية ، ونوره في أخلاقه ، ونوره في رجاحة عقله وفكره ، ونوره من حيث حمله لكلام الله ، ونوره من حيث تخلقه بأخلاق كلام الله وتدبّره لمعاني كلام الله مشهودة لديه وحدة

الحق في الكون وفي النفس في ظل تطابقها مع آيات كلام الله ممتزجًا بذلك النور القرآني مع النور محمدي ، والروح القرآني مع الروح محمدي ، ليسطع في هذه الليلة العالية القدر في الزمان ، ويسطع في هذا البيت المعمور من قلب الرسول في المكان ، نور الحق القرآني موصولاً بنور الاسم الجامع ، الله نور السماوات والأرض ؛ أي الكون كله .

لقد تناول شخصية الرسول ﷺ بالكتابة أناس كثيرون : كتب بعضهم في السيرة، وكتب بعضهم في طفولته وصباه ، وكتب بعضهم في خصائصه ، وكتب بعضهم في عبقريته ، وكتب بعضهم في حياته ، وكتب بعضهم في صفاته ، وكتب بعضهم في أخلاقه ، وكتب بعضهم في حياته الروحية وخصائصها ، وكتب بعضهم في صفاته القيادية والإدارية ، وكتب بعضهم في مديحه نظمًا ونثرًا ... وذلك كله وأكثر منه يجمعه الرسول ﷺ في شخصيته العظيمة التي لا يعرف قدرها الحق إلا خالقها سبحانه وتعالى .

وقد اعتمدت في هذا الحديث عن الرسول ﷺ على الآيات القرآنية المتصلة بشخصية الرسول بالقدر الذي أظنه يضيف فمها جديدًا ، ومن خلال مقدرتي وطاقتي ذاتها ، وهما لا شك محدودتان . بهذا أستطيع ان أقول : إنني أكتب بفهم لما قال الله عن الرسول في كتابه ، وأصفه بفهم لما وصفه الله به في كتابه ، وأمتدحه بما مدحه الله به ، وأُثني عليه بما أثنى الله عليه به ، ورحم أستاذنا الإمام محمد ماضي أبو العزائم حين قال وأنا استرشد بإرشاده :

على قدري أصوغ لك المديحا ... ومدحك صاغه ربي صريحا

ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوفّي قدرك السامي شروحا

ولكني أحبك ملء قلبي ... فأسعد بالوصال فتى جريحا

وداوي بالوصال فتى معنّى يروم القرب منك ليستريحا

وأي تعظيم لهذا الرسول أكبر من تعظيم الله له ؟ .. وأي أوصاف للرسول تعلو ما وصفه الله به ؟ وأي مديح للرسول يعلو على ما امتدحه الله به ؟ .. وأي ثناء على الرسول أبلغ من الثناء الذي أثنى الله عليه به ؟ ..

وفي القرآن آيات كثيرة في مقام النبي محمد أذكر منها على سبيل المثال فقط لا الحصر:

١ – ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح].

٢ – ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

٣– ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء:٨٠].

٤ – ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ١-٥].

٥ – ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح:١-٢].

٦– ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

٧– ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:٤٨].

٨– ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧].

٩- ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴾ [العلق:١٩].

١٠- ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩].

كما يمكننا أن ندرك حقيقة مقام النبي محمد عند ربه في الإنابة عنه سبحانه في أسرار معاني الآيات:

١١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ [الفتح:١٠].

١٢- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾[الأنفال:١٧].

٠- الملحدون ينظرون ولا يبصرون

إن الذين كفروا كانوا ينظرون إلى النبي بأعينهم ولكنهم لا يبصرون بها كما يقول الله تعالى في سورة يونس في القرآن العظيم : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يونس:٤٣] فالكافرون بمحمد وبالحق الذي جاء به ومعه في القرآن العظيم على أبصارهم غشاوة وقد ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، فقد كانوا ينظرون إلى النبي محمد شررًا بعيونهم العداوة والبغضاء فطبيعي أنهم كانوا لا يبصرون فيه أنوار سراجيته المنيرة ، أي نوره في حقيقته الروحية ونوره في أخلاقه ونوره في رجاحة عقله وفكره وحكمته ونوره في تعقله وعقلانيته ونوره من حيث تخلقه بأخلاق كلام الله (القرآن) وتدبره لمعاني وتوجيهات كلام الله (القرآن) مشهودة لديه وحدة الحق في الكون وفي النفس في ظل تطابقها مع آيات كلام الله (القرآن) ممتزجًا بذلك النور القرآني مع سراج النور محمدي ، والروح القرآني مع الروح محمدي ، ليسطع في تلك الليلة العالية القدر في الزمان ، ويسطع في ذلك البيت المعمور بالله من قلب النبي في المكان والحال والمقام نور الحق القرآني موصول بنور الاسم العلم الجامع (الله) نور السماوات والأرض أي الكون كله .

وقد رويت واقعة عدم إبصار امرأة أبي لهب (أم جميل بنت حرب بن أمية)

التي وصفها القرآن بحمالة الحطب ، عدم إبصارها لرسول الله وهو جالس بجوار أبي بكر عند الكعبة فلما انصرفت قال أبو بكر لسيدنا رسول الله : أما تراها رأتك ؟ فقال النبي ﷺ : « ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني »[1] . فرسول الله كان مرئيًا لأبي بكر وغير مرئي لأم جميل أي أنه ﷺ كان في نفس المكان والوقت والزمان ظاهر الصورة لشخص وغير ظاهر الصورة لشخص آخر أي كان في صورة مرئية لشخص وغير مرئية لشخص آخر .

وقد أوضح الله لنا في سورة (الضحى) في القرآن العظيم كل هذه الأمور التي أعطاها لحضرة النبي محمد وحباه وخصَّه بها في مختلف أطوار حياته ، حين ذكر سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾.

والضلال هنا هو هذا التيه وعدم اليقين بعلم اليقين وعين اليقين الذي كان يعيشه محمد خلال تحنثه وتحنفه وتأمله وتفكيره في خلوته في غار حراء في إشرافه من علوه على ما دونه من أرض الواقع ودنياه المادية والاجتماعية ومسالك ومعتقدات الناس فيها وحتى هداه ربه سبحانه وتعالى إلى الحق والحقيقة في الأمور وكما قال :﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أما القسم بالضحى فهو قسم بالنور الذي بعث الله به محمدًا بدينه وشريعته وقرآنه العظيم وفي سراجيته المنيرة مبددا به ظلمات الليل التي ساد وسجى في العقائد والمعتقدات والسلوكيات التي لا يوجهها الله أو ينير بها طريق الإنسان وكل الناس إلى الحق والحقيقة وصراطه المستقيم وكما قال: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ مشبهًا نور النبي بنور الضحى وقد كانت صلة الله برسوله محمد صلة قائمة ودائمة ومستمرة لا تنقطع ولم لن تنقطع وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ وشمل عطاء الله لمحمد الكثير والكثير ومنه ما قال عنه : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ

(١) سيرة ابن هشام والتاريخ البخاري وصحيح البخاري ومسند الإمام أحمد .

يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ ثـم يـأتي آخـر السـورة بأوامر من رب العالمين وتوجيهات لمحمد ولأمته وللمؤمنين به وبرسالته بـآداب في السلوك الفردي والمجتمعي والاجتمـاعي :﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ..

وهو توجيه إلى رسول الله شمل أيضًـا مـا جـاء في الآيـة :﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾ [المـاعون:١- ٢] .وهـي توجيهـات لرسول الله للعناية باليتيم من جهة شخصه ومن جهة مالـه واسـتثماره ومـن جهـة تربيته وتعليمه وتمرينه على التصرف حتى يبلغ أشده وقوته ورشده ثـم نزلـت آيـة سورة البقـرة : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقر:٢٢٠] .

إن محمد صلوات الله وسلامه عليه هو (القمة) التي يرنو إليهـا ويتطلـع إليهـا كل إنسان ليتشبه بها في صفاتها وأخلاقها وسلوكياتها ومعاملاتها وصـلاتها بالنـاس ومشاعرها نحوهم المليئة بالرحمة والود والتعاطف والرأفة ولين القلب تحـوطهم المحبة وما توجبه من رعاية وعناية وتوجيه بالنصـح للخيـر والمصـلحة في الـدنيا والآخرة . وباعتبار محمد صلوات الله وسلامه عليـه (القمـة) و (المثـل الأعـلى) و(القدوة) و (الأسوة الحسـنة) أمرنـا ووجهنـا ربنـا إلى محبتـه وطاعتـه وإتباعـه ووجهنا نحو توقيره والتأدب معه في مخاطبته والتعامل معه وقد رفـع الله في الـدنيا بالقرآن وفي القرآن ذكره كما شرح صـدره ويسـر لـه أمـره . وأمرنـا الله في القـرآن العظيم في سورة الحجرات أن لا نرفع أصواتنا فوق صوت النبي وأن لا نجهـر لـه بالقول كجهر بعضنا لبعض وحتى لا نرفع أصوات حججنـا وأفكارنـا ومعتقـداتنا لتعلو فوق صوت حججه وأفكاره ومعتقداته التي جاء بها ودعا إليها في رسالة الهدى التي بعثه ربـه بهـا في القـرآن العظـيم وفي سـنته الشـريفة إسـلاما وتسـليمًا لله رب

العالمين والإنابة إليه والانقياد له والسلام معه ومع النفس وكل نفس ، وكانت آيات القرآن العظيم الآمرة بطاعة الله وطاعة رسول الله كثيرة أذكر منها أمثلة لها فقط مختارة فيما يلي :

١ -﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [التغابن:١٢] .

٢ -﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[النساء:٨٠] .

٣ -﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧١] .

وفي أدب التعامل مع النبي ذكر الله في القرآن العظيم :

١ -﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ [الحجرات:٤- ٥] .

٢ -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:٢- ٣] .

٣ -﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

٤ -﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾[الأحزاب :٥٣] .

٥ -﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧] .

وبعد فإن التواصل والاتصال والاقتراب والاقتداء بالذات محمدية هو السبيل الصحيح والطريق المستقيم لتعالى النفس الإنسانية الفردية لكـي تبلـغ الـدرجات العُلى والمقامات العالية أي أن ذات الإنسان الفرد يمكنها أن تبلغ مراتب عالية من الكمـال في الأخـلاق والعلـم والمعرفـة والعمـل الصـالح في الخيـر بالاتصـال والتواصل مع الذات محمدية والاقتداء بها والقرب منها ، حتـى إذا بلـغ الإنسـان مرتبة أو درجة أو مستوى (الوراثة) للنبي محمد تكون قد بلغـت أعـلى الـدرجات والمستويات الممكنة لها كنفس أو كذات فردية مستقلة وذلـك بالفضـل والرحمـة من الله وبالاختيار من ذات رسول الله[1] . من سر قول الله تعالى في القرآن العظـيم: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾[آل عمران:٣١].

(١) حديث (العلماء ورثة الأنبياء...) الحديث..

-- كيف كان يرى محمد الدنيا ؟

لقد انتهى محمد صلوات الله وسلامه عليه إلى أن الـدنيا دار واحـدة يعـيش فيهـا الإنسان في إنسانية واحدة لا يتمايز فيها إنسان على آخر إلا بالتقوى والعمـل الصـالح والأخلاق الكريمة والضمير الحي واليد الطاهرة ، ونبَّه محمد صـلوات الله وسـلامه عليه إلى أن جوهر الديانات الإلهية كلها جوهر واحد قوامه وقيامـه التوحيـد والتنزيـه بإسلام لله وتسليم وسلام ومسالمة معـه سـبحانه ومـع الـنفس ومـع الغيـر بتعـايش وتعارف وتعاون وتكامل بين الإنسان وأخيه الإنسان تجمعهـم كلهـم مبـادئ وقـيم أخلاقية إنسانية سامية ، دعت إليها كل الأديان السماوية التي انزلها الله سبحانه وتعالى من مثل الأخوة والمحبة والتسامح والعدل والمساواة بين البشـر والحريـة والتعـاون والتعارف .. إلخ . وقد جاء بها الأنبياء والرسل السابقون وجـاء بهـا خـاتمهم فـدعى إليها كل إنسان ليبني شخصيته على أساسها وكذلك أنماط مجتمعاته ودوله وأوطانـه ويقيم على أساسها علاقاته كلها في تمدنه وتحضره ويعمل في إطارها لدنياه ولآخرتـه ويصلح في إطارها مسعاه وسعيه في وجوده في حياته ليريح ويستريح ويسعد ويهنـأ في نفسه ويدوم تقدمه وتمدنه وتحضره واطمئنانه في حياته واستقراره وسلامه في موطنـه وفي صحته وفي نفسه وعقله ، وتوازنه في شخصيته وأمنه وأمانـه في وجـوده في موطنـه ورفاهيته في معيشته ، واهتدائه إلى الحق في معلومه ، وبالمعرفة الإيمانية في علاقته بربه وخالقه أما محمد رسول الله وخاتم أنبيائه فإن علمه ومعرفته بما علَّمه إيـاه ربـه عـن

الكون والإنسان وتنظيماته ونظمه في وجوده في مجتمعه ووطنه ودولته ، وعن مصيره في آخرته مما لم يكن يعلم أو يعرف ما جاء في القرآن العظيم ، فكان حريصًا في كل ما علم وعرف ، على الإنسان كل إنسان من كل معتقد ودين ومصيره في الآخرة ، فيقول القرآن العظيم : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف:٦] إن أسف محمد وحزنه على الناس الذين لم يؤمنوا به وبرسالته وما جاء من ربه في القرآن العظيم من الحق والحقائق يبين لنا بوضوح كيف كان صلوات الله وسلامه عليه نعمة مُهداة من الله إلى الإنسانية ورحمة مُسداه إلى العالمين ، مهتم بمصير كل إنسان في اليوم الآخر حين تقوم القيامة وتأتي الساعة وما يصاحب ذلك من أهوال رهيبة ومرعبة وأحداث مخيفة وعذاب شديد حكاها لنا القرآن العظيم يعلمها محمد ويُعلِّمها للناس وهو خاتم النبيين الذي أرسله ربه رحمة للعالمين من بعد موسى وعيسى عليهما السلام ، كما حكاها أيضًا الإنجيل الصحيح عن يسوع المسيح ويوم الدينونة الآخر .

إن الإيمان بمحمد ليس فقط إيمان برسوليته وختمه للنبوة ولكنه بالإضافة إلى ذلك أيضًا إيمان بالكتاب الذي تلقاه من ربه الحكيم العليم ، وتحكيم ما جاء فيه من منهاج أخلاقي نظري وعملي أي سلوكي تطبيقي وتوجيهات إيمانية في العقيدة والعبادة والمعاملة وشئون الدين والدولة بترابط الدنيا والآخرة يحكم فيهما رسول الله محمد بين الناس وخلفاؤه من بعده في رئاسات الدول المسلمة بأحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها وحدودها كما جاءت أساسًا في القرآن العظيم ، يرتضيها ويسلم بها الناس دون حرج أو تردد أو ضيق نفس كما قال الله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾ [النساء:٦٥] . وعن الحياة الدنيا بالنسبة للحياة الآخرة يقول القرآن العظيم الذي تنزل من الله على محمد ﷺ : ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۖ وَلَلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [الأنعام:٣٢] .

٠- دين واحد

إن محمدًا لم يأتي بدين جديد أو غريب على الإنسان وإنما جاء بالدين الذي جاء به ودعا إليه الأنبياء والمرسلين السابقين من عباد الله المصطفين بما فيها إبراهيم النبي البشر وموسى النبي البشر وعيسى النبي البشر عليهم السلام ، وهو الإسلام الدين الواحد عند الله الواحد الذي منه سبحانه تنزلت كل الأديان السماوية ومراجعها وكتبها موجهة الإنسان نحو هذا الدين الواحد وهو الإسلام والتسليم والاستسلام لله والسلام والمسالمة والانقياد لله الواحد بالجوهر الإيماني والإنابة إليه .

إن الإصدار الآخر والخاتم الذي جبَّ ما قبله وظهر في (القرآن) مصدقًا لما بين يديه من الكتاب (التوراة والإنجيل) ومهيمنًا عليه ، كما ظهر بمحمد صلوات الله وسلامه عليه خاتمًا للرسل والأنبياء فجبَّ من قبله من الرسل الذين بشروا به وبمجيئه في كتبهم كما في التوراة والإنجيل الأصليين أن الدين الذي جاء به محمد ودعا الإنسانية إليه وهو جوهر الأديان كلها ولكن في إصداره الكامل المكتمل الذي أتم الله به النعمة على الإنسانية ورضيه لها دينا :﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣] . وكذلك :﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ .إن دين الإسلام هو اسم الدين المشترك الذي بعث به الله كل الأنبياء والرسل وانتسب إليه كل أتباعهم في قوامة من التسليم لله والسلام معه .

إن الإسلام ليس مقصورًا على المؤمنين برسالة محمد ﷺ وليس دينا جديدًا دعا إليه محمد ﷺ إنما هو دين الرسل والأنبياء السابقين والمؤمنين جميعًا لأن كلمة (الإسلام) تتسع لكل المؤمنين بالله المسلِّمين أمرهم لله المسالمين للناس والقائمين بالسلام معهم ومع الله سبحانه وتعالى في كل زمان وفي كل مكان وبذلك يصبح (الله) الواحد اللا متغير مصدر الدين الواحد اللامتغير ويكون أتباع الرسل السابقين أتباع أيضًا هذا الدين ومن المسلمين : (نوح وإبراهيم ويعقوب وإسماعيل وإسحاق ويوسف وموسى وسحرة فرعون وفرعون نفسه وعيسى وحوارييه إلخ) . وكان يوسع المسيح يقول [(١)]: « إنه لما كان الله واحدًا كان الحق واحدًا فينتج من ذلك إن التعليم واحد وأن معنى التعليم واحد فالإيمان إذن واحد أقول لكم إنه لو لم يمح الحق من كتاب موسى لما أعطى الله داود أبانا الكتاب الثاني ولو لم يفسد كتاب داود لم يعهد الله إنجيله إليَّ لأن الرب إلهنا غير متغير وقد نطق برسالة واحدة لكل البشر فمتى جاء رسول الله [يقصد محمد من بعده هو] يجيء ليطهر كل ما أفسد الفجار من كتابي » .

إنه بهذا المفهوم الذي أوضحنا عن الدين الواحد وجوهر الإصدارات الدينية السماوية كلها الواحد والمتماثل يمكننا أن نفهم ونتفهم دون تعصب أو انحياز في الرأي أو عدم تفهم لحقيقة المعنى فيما يقرره القرآن العظيم في الآية ٢٥ من سورة آل عمران : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾. هذا وإن الخلافات والعداوة والتعصبات بين أتباع الديانات السماوية لن تزول أو

(١) هكذا جاء في إنجيل القديس والحواري الرسول برنابا رحمه الله .

تنتهي إلا بسيادة الإيمان بـالله وكتبـه وجميـع رسـله واليـوم الآخـر بـين الشـعوب المؤمنـة كمـا أنـه لـن يقـوم أو يتحقـق سـلام في الأرض إلا إذا اتحـد المؤمنـون بالرسالات السماوية كلهم اليهود والمسيحيون والمسـلمون وتعـاونوا وتكـاتفوا باتحادهم وإمكاناتهم وإمكانات دولهم ، ضـد القـوى والمنظمـات والتنظيمـات المعادية والمناوئة للأديان السماوية حتى تنتصر القـيم الدينيـة والأخلاقيـة التـي دعت إليها هـذه الأديـان السـماوية الثلاثـة (اليهوديـة والمسـيحية والإسـلام) في أصولها المفهومة من أتباعها الفهم الصحيح والسليم ، غير المتعصـب أو الكـاره للآخر أو الداحض له وهذا ما كان يؤمن به محمد ويدعو إليه الناس كافة مـن كـل معتقد ودين وهذه كانت رسالته وهذا كان قرآنه حجة ودعوته وبشيره ونذيره وهو الحق الواضح من الحق سبحانه وتعالى الواحد الأحد، وهو الـذي كـان يـدعو إلى التعايش السـلمي بـين الإنسـان وأخيـه الإنسـان في سـلام (الله السـلام) وسـلام (الإسلام السلام) وهو جوهر كل أديان الله ورسالات أنبياء ورسل الله .

إن الله الواحد في كل الأديان السماوية المتماثلة في قيمها الأخلاقية ومثلها السلوكية لا يعادي نفسه ولا يتصارع مع نفسه ولا يختلف مع نفسه في رسالاته ولا خلاف بين رسله أو بين المؤمنين به وبكتبه وبرسله وهو سبحانه وتعالى يؤكد ذلك في خاتم كتبه القرآن العظيم فيقول : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] فالعداء والصراع ليس في الحقيقة بين الأديان الإلهية ولا يجب أن يكون لأن المؤمنين بالله يمثلون جبهة واحدة .

وإنما العداء والصراع هو بين جبهة المؤمنين وجبهة غير المؤمنين من الكافرين والملحدين والمشركين واللادينيين الماديين المنكرين للامادي

الروحي في صراع وعداء بين العلماء من أولئك وهؤلاء ومفاهيمهم وليس بين العلم والدين في الموضوع ، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١- ٦] . فالإنسان الكافر يخضع ويتوجه ويعتقد في إله أو آلهة له غير (الله) الحق قد يكون مادة صماء أو طبيعة عمياء أو هوى متبع أو قائد ومُنظر من البشر أو غير ذلك مما يتخذه الإنسان (دين) له يعتقد فيه ويتعبد له ويعتبر إنه هو فقط الحق في نظرة أحادية متعصبة غير كاملة أو مكتملة المعلومات وتحتمل دائمًا الخطأ البشري والقصور المعرفي البشري .

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ③ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ الإخلاص في القرآن العظيم ، والاختلاف ليس بين رسل الله فالقرآن الذي تنزل على محمد يقرر هذه الحقيقة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] ، وعن نبي الله ورسوله موسى عليه السلام بقول الله في القرآن العظيم الذي أوحاه إلى محمد : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه:٣٩] وعن نبي الله ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام يقول القرآن العظيم: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ㉚ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ㉛ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ㉜ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣٣].

-- وفي آيات القرآن الكريم خصائص للنبي

أذكر منها أمثلة فقط :

١-للعالمين :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

٢-ولكل الناس :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[سبأ :٢٨] .
﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[الأعراف:١٥٨]

٣-وفي أخلاقه :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[القلم : ٤] .

٤-وفي حب الله : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[آل عمران:٣١].

٥-وفي التوحيد : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد :١٩].

٦-وفي الإيمان :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء:٦٥] .

٧-وفي القدوة والأسوة الحسنة ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ

﴿يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب:٢١].

٨-وفي هداية التبليغ والتبيين: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢].

٩-وفي سراجيته المنيرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

١٠-وفي حقيقته: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة:١٥].

١١-وفي الرسالة والدين: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣].

١٢-وفي طاعة الله والرسول: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠].

١٣-في الحق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡ﴾ [النساء:١٧٠]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [البقرة:١١٩].

١٤-ولمن يؤذيه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة:٦١].

١٥-ومع المؤمنين: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١٢٨].

١٦-وفي مخاطبته: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗا﴾ [النور:٦٣].

١٧-أدب الحديث إليه والكلام معه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ

ﭐلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٣، ٤].

١٨-الرسول في القرآن والسنة: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر٧].

١٩-الفضل والمنة بالرسول: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾
[آل عمران: ١٦٤].

٢٠-الولاية الرسولية: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

٢١-وفي شقاق الله والرسول: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ١٣].

٢٢-وإرضاء الله والرسول: ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦٢].

٢٣-وتوقير الرسول: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح: ٩].

٢٤-الرؤيا الحق: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ [الفتح: ٢٧].

٢٥-وفي ذكر الرسول في التوراة والإنجيل: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

٢٦-وحب النبي: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٦].

٢٧-والصلاة على النبي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦] .

٢٨-في اليوم الآخر :﴿ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [التحريم:٨] .

٢٩-ميثاق النبيين للرسول :﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران :٨١] .

٣٠-وفي أدب مخاطبته :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴾ [الحجرات:٢] .

٣١-شرح الصدر ووضع الوزر :﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ﴾ [الشرح:١- ٣] .

٣٢-ورفع الله ذكره:﴿ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ [الشرح:٤ - ٨] .

٣٣-فتح وغفران:﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴾ [الفتح :١-٢] .

٣٤-قضاء أمر الله وأمر الرسول :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾ [الأحزاب:٢٦] .

٣٥-إيذائه في بيوته وفي أزواجه من المؤمنين :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ

فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

٣٦-وفي عصمته :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧] .

٣٧-﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة:١٣٨] .

٣٨-والقرآن والوحي من ربه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾ [النجم٤ – ٥] .

٣٩-مقام حق اليقين: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩] .

إن رسول الله هو الغاية والهدف من أحداث الأرض في تاريخها الطويل منذ آدم إلى بعثته ﷺ ، وهو الهدف الواضح الظاهر منذ إبراهيم عليه السلام وحتى ظهوره ﷺ ؛ لأن ظهوره فيه نوع من التحقيق لدعوة النبي إبراهيم السابقة الواردة في الآية ١٢٩ من سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ . وهكذا تتقرر إرادة الله في الأرض ، ويكتمل الدين في جوهره الواحد ، وهو الإسلام في الديانات كلها ، ويظهر الرسول الخاتم الذي دعا بظهوره إبراهيم ، وبَشَّر به كل من موسى وعيسى في التوراة والإنجيل .

جاء هذا الرسول الخاتم :

١-يتلوا على الناس آيات الله تبارك وتعالى في الكون وفي النفس ؛ ليرتبط

الوجود في فكر الناس بالخالق سبحانه وتعالى .

٢-يزكي الناس ويرتفع بمستواهم الفكري والسلوكي إلى العظيم من الأخلاق، والخير والقيم والمثل العليا والمبادئ السامية ؛ لتحقيق الأخوة والمحبة والمساواة بين الناس ولتحقق لهم كرامتهم وحريتهم .

٣-يعلمهم القرآن الذي جمع الحق كله ، واحتوى الدين كله ، وظهرت به صورة الإسلام الصحيحة التي لا تشوبها شائبة ، بل تقيم دعائم التوحيد في الأرض، وتؤسس دعائم المجتمع الأفضل الذي يوجه أهل الأرض نحو الخير ، ونحو سعادة الإنسان بتنمية قيم الدين وأخلاقه ومبادئه .

٤-يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون ؛ ليخرجوا من إطار الأرض الواسعة كلها التي تشملها الرسالة ، إلى إطار الكون كله الذي يتطلع إليه فكر المؤمن ، ويرتبط بهذا الكون والكائنات فيه نشاط الإنسان الفكري وترَقِّية المعرفي المستمر ليبني مزيدًا من القوة تحمي الحق والحرية وتدعم الإيمان والأخوة والمحبة والسلام .

وكلها مداخل من باب شخصية النبي ﷺ تؤدي إلى ذكر العباد لله تبارك وتعالى وذكر الله تبارك وتعالى للعباد ، ذكر ينبع من الإيمان والتوحيد ، ويؤتي ثماره في النفس وفي السلوك في الشكر لله والإيمان به وبنعمه ، فلا يكفر به الإنسان ولا يجحده والزاد لذلك كله هو الصبر والصلاة :﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٢ – ١٥٣] .

ولما كان الخير يصيب المؤمنين في الحياة الدنيا من هذا المدخل الذي هو رسول الله ﷺ ، وفي الحياة الآخرة أيضًا بشفاعته ومقامه المحمود حيث النعيم في خلود ، فإن القرآن يقرر في موضع آخر يتناول نفس الموضوع أن الله قد منَّ على المؤمنين بإرسال هذا الرسول باعتباره واسطة الحياة لهم في سعادة ونعيم ، سواء في الدنيا مؤقتًا ، أو في الآخرة على سبيل الدوام والخلود . وقد كانوا من قبله لا

يعلمون طريق الحق إلى الله تبارك وتعالى ، ولا يهتدون إلى الإسلام أو السلام ، ولا يدينون دين الحق المؤسس على التوحيد ، والخالص من كل شرك بالله . فهداهم الله من خلال هذا الرسول إلى الدين الحق إسلامًا وإيمانًا وإحسانًا ويقينًا في ظل عقيدة التوحيد التي قوامها لا إله إلا الله محمد رسول الله : ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] .

وثلاث صفات حددتها ضِمْنًا الآية ١٥١ من سورة البقرة ، هي الرسول الإنسان ، والمعلم ، والمربي :

الرسول الإنسان : ﴿رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ بما تحمله كلمه الرسول من معاني النبوة والرسولية المتمثلة في الوحي والبلاغ ، وبما تحمله كلمة (منكم) من معاني البشرية اللائقة به من القرب منهم والحرص عليهم ، ورحمته بهم من جانب ، ومن العلم بأحوال الإنسان من جانب آخر (فهو رسول من نفس الجنس البشري) أو النوع الإنساني ، يعلم خصائص الإنسان بتركيبه النفسي والعقلي والروحي والجسدي هو رسول ليس غريبًا على الإنسانية لا يعلم خصائصها الأصلية ودقائق مكوناتها بل هو رسول منهم ، وهو لذلك خبير بالإنسان وبنوازع نفسه وخباياها ، خبير باحتياجات الإنسان الضرورية في معيشته خبير بدقائق النفس الإنسانية ، وما تحدَّث به من نوازع السلوك في الخير والشر على السواء ، خبير بإمكانات البشر الروحية التي يمكن توجيهها لطريق الهداية المستقيم ، فتصنع عندئذ المعجزات ، تبني وتعمر ، وتقود ركاب الخير والإيمان والحرية والإخاء والمحبة ، تبني على أسس هذه القيم القرآنية كلها دعائم المدنية والحضارة التي تقوم على التوحيد والتوجه بالكلية إلى الحقيقة الخالدة في هذا الوجود ، حقيقة الألوهية التي لها

وحدها تكون العبادة ، ومنها يكون الاستمداد ، وبها يكون الإمداد .

الرسول المعلم :

﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ يتلو على النـاس كافة علمًا جديدًا عليهم في شموله وإحاطته بـالحق في الكـون ، وفي الـنفس ، هـو علم آتٍ كله من الوحي الإلهي قرآنًا عربيًا ؛ لتكـون العربيـة وسـيلة إبـلاغ النـاس أجمعين في مشارق الأرض ومغاربها .

معلم لمادة جديدة كمل بها الحق واكتمل بهـا الـدين ، وجـاءت كلمـة أخيـرة محيطة شاملة ، تنطق بالحق في الكلمة المكتوبة ؛ وهي القرآن ، على غرار ما تنطـق بالحق الكلمة المخلوقة ، وهي الكون .

لقد كان من خصائص هذا الرسول أنه المعلـم الكامـل والأكمـل ، لأنـه جـاء يعلم العلم الكامل والأكمـل ؛ العلـم القـرآني ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا ﴾ ومـا فيـه مـن أسرار كونية ونفسية وروحية بما تشمله هاتان الحقيقتان مـن علـوم تتفـرع عنهمـا وتتعدد . لقد جاء إلى الإنسانية بعلوم متعددة غير معدودة تقررت أصولها في آيـات الكتاب الذي نزل عليه من ربه . وقد أشار هذا الكتاب ذاته بـالميزة العلميـة التـي يمكن أن يتحلى بها الإنسان فيرتقي عندئذ قربًا من الله وتقديرًا له حق قدره .

إن هذا الكتاب الذي جاء الرسول يعلمه للإنسانية ليفضـل العلمـاء عـلى غيـر العلماء ويحث الإنسان على طلب العلم ما بقيت لـه قـدرة عـلى تحصـيله حسـب قدراته فقرر على سبيل المثـال : ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلـة:١١] . و ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الزمـر:٩] ،﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فـــاطر:٢٨] . ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣] .

وإننا نكاد نلحظ هذه المعاني التي تعطي هذه الأهمية الكبرى للعلم والعلماء ، نكاد نلاحظ هذه المعاني ، وأبعاد مدلولاتها ، في عالمنا المعاصر بحضارتيه الغربية والشرقية ، حيث أصبح للعلم سلطان ، بلغت معه شعوبها درجة عالية من القوة الهائلة التي تعمل في مجال خير الإنسان بالعلوم وتطبيقاتها (التكنولوجية)، وتحسين مستوى معيشته في مستقره المؤقت في الأرض .

الرسول المربي : ﴿ وَيُزَكِّيكُمْ ﴾

يطهر قلوبكم .. يطهر نفوسكم .. يطهر عقولكم .. يطهر سرائركم .. يطهر مشاعركم .. يطهر سلوككم .. يطهر أخلاقكم .. يطهر عاداتكم .. يطهر اتجاهاتكم الفكرية وعقائدكم .. يطهر حياتكم كلها . لقد كانت الرحمة منهجه والعدل شريعته والحب فطرته والسمو حرفته والوفاء منهجه وحل مشاكل الناس عبادته والأخلاق سمته والرأفة ديدنه والتوحيد رسالته والعظمة رداؤه والإنسانية بغيته والعزيمة همته والتواضع ملكه والحكمة سيرته والنور هدايته والصدق حجته والله طلبه وبغيته ووجهته وشهوده وشهادته .

٥- في فقه (١) شهادة أن محمدًا رسول الله

يقول العالم الرباني الوارث للنبي ، محمد ماضي أبو العزائم :

قال الله تعالى في محكم تنزيله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران:٨١] . وقال عز وجل : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[النساء:٨٠] ، وقال سبحانه :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح :١٠] ، ففرضها علينا أن نشهد أن محمدًا رسول الله ، خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده ، وهو مهيمن على كل كتاب ، ومصدق لما سلف من الكتب قبله ، وأن شريعته ناسخة للشرائع قاضية عليها ، إلا ما أقره كتابه ووافقه ، وكتابه شاهد على الكتب ، وحاكم عليها ، وأنه هو الذي بشر به عيسى عليه السلام أمته ، وهو الذي أخبر به موسى عليه السلام أمته ، وهو المذكور في التوراة ، والإنجيل ، وسائر كتب الله عز وجل المنزلة ، وهو الذي أخذ ميثاق النبيين أن يؤمنوا به وينصروه لو أدركوه ، فأقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم ، وهو الذي أخذ الأنبياء شهادة الأمم على الإيمان به ، وأمرتهم بتصديقه ، وأخبرتهم بظهوره ، وأن موسى وعيسى عليهما السلام لو أدركاه لزمهما الدخول في شريعته ، وأن بقية بني

(١) من كلام الإمام محمد ماضي أبو العزائم رضي الله عنه وأرضاه .

إسرائيل من اليهود والنصارى كفرة بالله ، لجحودهم رسالته ، وأن إيمانهم بكتابه مفترض عليهم مأمور به في كتبهم ، وعلى ألسنة رسلهم ، وأن طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة ن كطاعة الله تعالى ، وأتباع أمره واجتناب نهية ، مفترضان على الأمة إيجابًا الله تعالى له ، وفرضًا افترضه على خلقه متصلا بفرائضه.

فضائل النطق واليقين بها قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران:٣١] . وقال الرسول : (لا يؤمن أحكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين) [١] ، وقال : (لو أدركني موسى بن عمران ما وسعه إلا إتباعي) [٢] .

وقال الله تعالى في تحقيق المحبة : ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر:٩] ، ثم قال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر ٩] . فمن محبة الرسول إيثار سنته على الرأي والمعقول ، ونصرته بالمال والنفس والقول ، وعلامة محبته إتباعه ظاهرًا وباطنًا ، فمن إتباعه ظاهرًا أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بشمائله وآدابه ، والافتقار لآثاره ، والتحسس عن أخباره ، والزهد في الدنيا والإعراض عن أبنائها ،ومجانبة أهل الغفلة والهوى ، والترك للتكاثر والتفاخر في الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة ، والتقرب من أهلها ، والحب للفقراء ، والتحبب إليهم ، وتقريبهم وكثرة مجالستهم واعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا ، ثم الحب في الله للقريب المحب ، وهم العلماء والعباد والزهاد ، والبغض في الله للبعيد المبغض ، وهم الظلمة المبتدعة والفسقة المجاهرون ، ومن إتباع حاله في الباطن مقامات اليقين ، ومشاهدات علوم الإيمان مثل : الخوف والرضا والشكر والحياء والتسليم

(١) صحيح البخاري :١/ ١٢ ، جـ ١٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٣/ ٣٤٩ ج ١٥١٥٦، بلفظ : (والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيًا ما وسعه إلا أن يتبعني

والتوكل والشوق والمحبة وإفراغ القلب لله ، وإفراد الهم بالله ، ووجود الطمأنينة بذكر الله ، فهذه علامات الخصوص وبعض معنى باطن الرسول ، وهو إتباعه ظاهرًا وباطنًا ، فمن تحقق بذلك فله من الآية نصيب موفور ، أعني قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١] .

وقد كان سهل التستري يقول : علامة المحبة لله إتباع الرسول ، وعلامة إتباع الرسول الزهد في الدنيا وقال أيضًا في تفسير قوله :﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ [النساء:٦٩] .

قال : يطع الله في فرائضه والرسول في الدخول في سننه ، فإذا اجتنب العبد البدع، وتخلق بأخلاق الرسول ، فقد اتبعه وقد أحب الله تعالى ، وكان معه غدًا مرافقًا في منزلته » . انتهى .

وقد سماه ربه (السدرة) التي انتهت إليها علوم كل الخلائق أي منتهى ما علم الأنبياء والرسل والأولياء وغيرهم من العلماء ، وما فوقها فلم يعلمه إلا هو وما وصل إليه غيره . يقول أبو العزائم عن «السدرة المغشاة» .

«هو الإنسان الكامل ، ذو القلب المعمور الذي تصبح منه أسرار البطون إلى السقف المرفوع ، وهو رأس الهيكل الكامل ، وتتشعشع تلك الأنوار على الرق المنشور ، وهو ظاهر الهيكل متفجرة ينابعها من البحر المسجور وهو سويداء القلب ، فتسفر العوالم علوا وسفلا للسدرة المغشاة بغيوب التجلي ، وتسارع أرواح عالين وأشباح أهل اليمين لخدمة هذا المظهر من حيث الظهور فيه لأن الله مواليه » انتهى ...

وإن المقصود من كلمة (عند) في الآية : ﴿ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ هو اتحاد الزمان والمكان فيما يُعرف بمقام الزمكانية أو الفضا زمن الذي أخبرنا به عالم الفيزياء والرياضيات الشهير ألبرت أينشتاين لأن (عند) في اللغة العربية تفيد (الزمان) وتفيد (المكان) أي أنها تفيد الاثنين و (سدرة المنتهى) ليس المقصود منها

(مكان) وإنما (حالة) أو (وضع) أو (مستوى)(أو (مقام) لذات رسول الله يتجاوز عنده الرؤية النسبية للأشياء كما يراها العقل المتصل بالحواس في الأوضاع العادية والحالات الطبيعية العادية التي يصورها المخ والجهاز العصبي المركزي، ثم يتجاوز في الدنو والتدلي :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم:٨-٩] . هذه الرؤية النسبية إلى رؤية مطلقة صادقة في تعبيرها عن الحقائق ولكن في أبعاد لا نعرفها هي غير الأبعاد المعروفة لنا وللعلماء في كوننا الطبيعي حيث ينتهي الزمان وينتهي المكان[١] .وحيث تكون ذات رسول الله قد بغلت مستويات من الإحاطة والمعرفة والعلم والمحتوى المعلوماتي بفضل الله العظيم ما جعلها وهي في مستوى ومقام سدرة المنتهى ، تعي حقيقة الوجود في وحدة قواه وطاقاته ومتخطية حواجز الزمان والمكان وغيرهما من الحواجز والحجب والأبعاد التي تعوق الرؤية المطلقة والصحيحة للحقائق الوجودية في موجاتها وتموجاتها النورية[٢] وما يتصل بها من اهتزازات وترددات وذبذبات وكهربائيات أو شعاعات وأنوار.وبما يقول فيه القرآن الكريم عن رسول الله في رؤيا : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم :١٧] . و ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾ [النجم:١١] .

وفي مستوى ومقام :﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ [النجم :٨-٩] . أوحى الله إلى النبي ما أوحى مما هو سر من الأسرار التي لم يكشفها الله ولا يعلمها إلا هو سبحانه والرسول الذي أوحى الله إليه ما أوحى (محمد) والله أعلى وأعلم .

---

(١) كما في مجالات داخل الثقوب السوداء التي اكتشفها العلماء مؤخرًا .

(٢) كما أثبت إينشتاين .

الأخلاق عند محمد رسول الله

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» حديث شريف

هكذا حدث النبي صلوات الله وسلامه عليه .. وهكذا كانت رسالة النبي .. وهكذا حققها في سيرته العملية والقولية والحالية والتقريرية .. وهكذا تعامل حضرته مع أصحابه ومع المسلمين والمؤمنين ومع كل الناس . إن فحوى رسالة النبي وجوهرها هو إتمام مكارم الأخلاق حتى إن الله تعالى وصفه في القرآن الكريم في الآية الرابعة من سورة القلم بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. والدين في الحقيقة مبني على الأخلاق وأي إنسان زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الدين كما قال الإمام ابن القيم الجوزية ، وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يتصف بالرأفة وبالرحمة وبلين القلب وبعدم الفظاظة وبالأمانة والصدق والعفو ومكارم الأخلاق كلها مع كل الناس مما جعلهم يلتفون حوله سر قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران:١٥٩] .

ولقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وهو بشرعه وإنسانيته رحمة للناس كافة ولكل مخلوق من إنس أو جان أو حيوان وللعالمين وتجلي ذلك في معراجه ﷺ إذ كان عندئذ سراجًا منيرًا بجسده وروحه كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٥- ٤٦] .

بالضبط كما كان كذلك في حياته في دنياه ، وقد كان من الطبيعي أن تختلط شخصية الرسول بالقرآن ومضمون الرسالة ، وقد ظهر الترابط بين الرسول والرسالة في حقيقة «الذكر» ؛ لأن القرآن ذكر وتذكير ومذكر والرسول أرسل بالذكر تذكيرًا ومذكرًا كما في قوله تعالى : ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾ [الطلاق:١٠-١١] .

فبذكر القرآن الكريم يكون ذكر الله ويكون تذكر رسول الله ، ومن اقتدى برسول الله تذكر الله وتذكر القرآن وذكره ، وحتى محبة الله فمنوطة بإتباع الرسول كما قال تعالى : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] . لقد تميز الرسول بخصائص فريدة وطاقات غير عادية من القوة الروحية والقوة الأخلاقية جعلته أهلاً لأن يتلقى كلام الله وأهلاً لأن يخاطب الإنسان في كل شئونه وهو النموذج الكامل له ولكل الإنسانية خاصة في أخلاقه تلك التي بيناها في هذا الفصل ، الأخلاق في السنة النبوية ، والتي دلت احاديثه فيها ﷺ على شخصيته المتميزة بمكارم الأخلاق كما قال هو : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» . وإذا كان محمد ﷺ قد أتم مكارم الأخلاق فإن ذلك يعني أن الأنبياء والرسل السابقين عليه انتهاءً بموسى وعيسى عليهما السلام قد زرعا في رسالاتهما مبادئ الأخلاق الكريمة ، تلك التي أتمها خاتم الأنبياء ورسل الله صلوات الله وسلامه عليه .

وقد وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين خلق رسول الله ﷺ بأنه « كان خلقه القرآن» أي كان خلقه مطابقًا لما وجه له القرآن من فضائل .«وأنه كان قرآنًا حيًا» كما روى الإمامان البخاري ومسلم عن أنس قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا » . وكان ﷺ يزكي أصحابه لا بالقول المجرد فقط وإنما بكونه مثالاً

واقعيًّا حيًّا لما يدعو إليه مما تكون به تزكيتهم .

وفي حق رسول الله ﷺ قال الله تعالى في سورة الأعراف الآيات من ١٩٩ حتى ٢٠١ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ وفي هذا النص القرآني توجيه من الله لرسوله ولكل مؤمن بالتحلي بثلاث حالات من السلوك الخلقي الحميد وهي :

١-أخذ العفو عن إساءة المسيء .

٢-أمر المسيء بالمعروف إن كان ممن يستجيب لذلك .

٣-الإعراض عن المسيء إذا كان من الجاهلين الذين لا يستجيبون للأمر بالمعروف .

إن أبرز سمات أخلاق رسول الله ﷺ أنه كان رءوف رحيم بالمؤمنين عزيز عليه ما يصيبهم من عنت حريص عليهم . وقد أكد الله تعالى هذه السمات في القرآن الكريم : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨] ، أما الإعراض والتولي عن الذكر القرآني فلا يقابله محمد ﷺ بأي خلق سيء وإنما بالتزام ما يوضحه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٩] ، وفي خصوصيات محمد ﷺ الأخلاقية في مقامه الاصطفائي رسول الله وخاتم للنبيين يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح:١ – ٣] [1] . ، فقد كان التطبيق الكمالي محمدي صورة متطابقة مع الكمال الذي وجه القرآن إليه وحض عليه ، وقد وصفه أصحابه رضوان الله عليهم بأنه كان « أحسن الناس خلقًا» وكذلك جاء فيما رواه الإمامان البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنهم جميعًا . ومن رأفة النبي ورحمته بالمؤمنين كان ﷺ أولى الناس بهم من أنفسهم ؛ لأنه كان يدعوهم إلى ما فيه خيرهم ونجاتهم بينما نفوسهم كثيرًا ما كانت تدعوهم إلى ما فيه شر لهم أو يهلكهم . ومن خلق الرأفة في الدنيا والآخرة والرحمة يكون التسامح والعفو وتكون المحبة والأخوة .

ويكون العطاء ويكون لين الجانب والعطف خاصة على الفقراء والمساكين والمحتاجين . وتكون المشاركة الوجدانية الشعورية الإحساسية في الآلام والمشقات ويكون الحرص على جلب المنافع والخيرات ودفع المضار والشرور عنهم .. إلى غير ذلك ولما كانت الرحمة فضيلة خلقية كان عكسها وهو غلظ القلب وقسوته رذيلة خلقية .

(١) الفتح المقصود هو عند جمهور العلماء فتح الحديبية وصلحه ولكن المعنى عندنا يتسع ليشمل كل مجالات وأنواع الفتح الرباني للنبي صلوات الله وسلامه عليه .

-- الأخلاق في السنة النبوية محمدية

أمر الله بأخلاق حميدة كلها خير .. ونهى عن أخلاق رذيلة كلها شر .. فهل فيك يا أخي الإنسان من الأخلاق التي أمر بها الله فتثبت عليه ؟ أم هل فيك من الأخلاق التي نهى الله عنها شيء فتنتهي عنه ؟

إذا أردت أيها الإنسان أن تعرف مقامك فانظر فيما أقامك . ولا تنظر إلى الأخلاق نظرة مادية براجماتية تنبني على المنفعة واللذة المادية التي تخلو من القيم الدينية .

الأخلاق التي أمر الله رسوله بالخلق بها

الصدق والأمانة والإخلاص وسلامة الصدر من الأحقاد واطمئنان النفس والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والمحتاجين والجود والكرم والقوة والتوسط والاعتدال والوفاء والأدب في الحديث ومراعاة أدب الاختلاف والحلم والصفح والتواضع والرحمة والعزة والكرامة والمساواة وإعانة الضعيف وذي الحاجة والتعاون على البر والتقوى والإنفاق في كافة أوجه الخير والتعلم والمعرفة والعلم النافع وهداية الحواس والعقل والروح والاتحاد والإخاء والنظافة والتجمل وحفظ الصحة والعافية والصبر والقصد والعفاف والحياء واختيار رفقاء الطريق والانتفاع بالوقت والاتعاظ بدروس التاريخ والالتزام بالشورى والعدالة

الاجتماعيـة والمصـلحة العامـة وجلـب المنفعـة ودرء المفسـدة والتعـاون بتقـديم الماعون والتسامح والمحبة والإخاء وحفظ العهد والسلام وعدم الاعتـداء والوفـاء بالعقود وبمسئولية الراعي والمحافظة على الصلاة في أوقاتها وكـذا سـائر العبـادات وتطبيق فكرة الجسد الواحد للمؤمنين والعمـل والـتمهن والإتقـان فيهمـا والأمـان والعمل الصالح والتوحيد والإحسان واليقين وحسن المعاملة مع الغير وكظم الغيظ والعنف عن الناس وحفظ الفرج واللسان والتوكل ورقابة رب العالمين وذكره في كل قول أو عمل أو حال والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظـة الحسـنة والمجادلـة بالتي هي أحسن والتعارف بين الشعوب والتقوى وطاعة الله ورسـله والاحتكـام إلى القرآن وتنفيذ أوامره واجتناب نتواهيه وتحكيم شريعته والاستغفار والتوبـة النصـوح التي تحقق الصحة النفسية وحب الرسول وأهـل بيتـه والإيمـان بالغيـب وبالقضـاء والقدر خيره وشره وباليوم الآخر والقيامة والبعث والحساب والجنة والنـار والعهـد بعدم عبادة الشيطان أي طاعته ... وغير ذلك .

الأخلاق التي نهى الله ورسوله عن التخلق بها

نهى الله عن الفحشاء والمنكر والبغي وعـن الكـذب والسـرقة والزنـا والريـاء والبر والتجبر والغش وفقدان الأمانة وعن عدم أداء الأمانات والحقوق إلى أهلهـا وعن شهادة الزور وقول الزور والعمل به وعن الشهادة على ذوي القربة بغير الحق وعن الامتناع عـن الشـهادة نفسـها إذا دُعـي إليهـا الإنسـان ، ونهـى عـن الحسـد والتباغض والتجسس والغيبة والنميمة والتواكل والقعود عن العمل للـدنيا وعـن الكفر والشرك والظلم وعن بخس الميزان وعن الفرقة والتفـرق والتحـزب وعـن قتل النفس إلا بالحق وإتباع الهوى وعن تـرك الصـلاة وسـائر العبـادات والتنابـذ بالألقاب وعن القعود وعن النصيحة ومقولة الحق وبالجملة عـن عـدم طاعـة الله ورسوله والكتاب الذي أنزل على رسوله وغير ذلك .

٠- المختار من أحاديث النبي

ونختار ونوجز فيما يلي مختارات من أحاديث الرسول في الأخلاق :

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » رواه البخاري .

«ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان إلا كان له به صدقة » رواه مسلم .

«ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة ، وما أطعمت ولدك فهو لك صدقة ، وما أطعمت زوجتك فهو لك صدقة ، وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة » رواه أحمد.

وسئل رسول الله ﷺ : **« أيكون المؤمن جبانًا ؟ قال نعم . قيل له أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال نعم . قيل له أيكون المؤمن كذابًا ؟ قال : لا »** رواه مالك .

« يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم » رواه مسلم .

«ويل للذي يُحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له » رواه الترمذي .

«**لا يحل لامرئ مسلم بيع سلعة يعلم أن بها داء إلا أخبر به** » رواه البخاري .

«**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند اله صديقًا .. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار . . وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا** » رواه البخاري .

«**إن الصدق طمأنينة والكذب ريبة**» رواه الترمذي وأحمد .

«**كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك به مصدق وأنت له به كاذب**» رواه أبو داود وأحمد .

ومن أحاديث الرسول في الأمانة

«**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته** » رواه البخاري .

«**لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له** » رواه أبو داود .

«**العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى الحق لم يزل كالمجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته** » رواه الطبراني .

«**من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا ، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول**» رواه أبو داود .

«**إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة .. إذا وُسِّدَ الأمر لغير أهله فانتظر الساعة**» رواه البخاري .

«**أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد اخلف وإذا اؤتمن خان** » رواه

البخاري ومسلم وزاد فيه عن النفاق .

من أحاديث الرسول في الوفاء

«**من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها ، فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير** » رواه مسلم

«**المسلمون عند شروطهم** » رواه البخاري والحاكم في المستدرك .

«**إن أحق ما وفيتم به من الشروط ما استحللتم به الفروج**» رواه الطبراني .

«**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أد الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها ، أتلفه الله** » . رواه البخاري .

«**يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين** » رواه مسلم .

من أحاديث الرسول في آداب الحديث

«**لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** » رواه أحمد .

«**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم** » رواه البخاري .

« **ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**» رواه الترمذي .

«.. **ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان المراء**» رواه الطبراني ضمن حديث طويل .

من أحاديث سلامة الصدر من الأحقاد

قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل : ؟ قال : « **كل مخموم القلب صدوق السان**» قيل : صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب ؟ قال : « هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد » رواه ابن ماجة .

«**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى : «إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هو الحالقة .. لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين**» رواه الترمذي .

«**أتدرون ما الغيبة ؟.. . ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أريت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » . رواه مسلم .

«**من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه يوم القيامة**» رواه الطبراني .

«**إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** » رواه أبو داود .

«**ثلاث لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرًا : رجل أَمَّ قومًا وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط وأخوان متصارعان**» أي متقاطعان . رواه ابن ماجة .

«**تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرءًا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقول : اتركوا هذين حتى يصطلحا**» رواه مسلم.

من أحاديث الرسول في القوة

«**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان** » رواه مسلم .

«**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك**

من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » رواه أبو داود .

من أحاديث الرسول في الحلم والصفح

«**ما تعدون الصرعة فيكم ؟ قال الـذي لا تصـرعه الرجـال قـال : ولكنـه الـذي يملك نفسه عند الغضب** » رواه مسلم .

«**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر** » رواه البخاري .

«**ليس المؤمن بطعان ولا لعان ولا فاحش ولا بذيء** » رواه الترمذي .

قيل لرسول الله ادع على المشركين والعنهم فقال : «**إنما بعثـت رحمـة ولم أبعـث لعانًا** » رواه مسلم .

«**من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره في أي الحور شاء**» روه أبو داود .

«**ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الـدرجات .. تحلـم علـى مـن جهـل عليك وتعفـو عمـن ظلمـك ، وتعطـي مـن حرمـك ، وتصـل مـن قطعـك** » رواه الطبراني.

من أحاديث الرسول في الجود والكرم

«**السخي قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنة ، بعيـد مـن النـار ، والبخيل بعيد من الله ، بعيد من الناس بعيد من الجنة ، قريـب مـن النـار والجاهـل السخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل** » رواه الترمذي .

«**يا ابن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ، وإن تمسكه شر لـك ، ولا تـلام علـى كفاف ، وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى** » رواه مسلم .

«**صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفـيء غضـب الـرب ، وصلة الرحم تزيد في العمر** » رواه الطبراني .

«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم اعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكًا تلفًا » رواه مسلم .

«دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على أهلك ، أعظمها أجر الذي أنفقته على أهلك » رواه الترمذي .

«من أحاديث الرسول في الصبر : « .. ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرًا وأوسع من الصبر » رواه البخاري .

«إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيه من أهل الأرض فصبر ، بثواب دون الجنة » رواه النسائي .

من أحاديث الرسول في النظافة والتجمل والصحة

«غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم ، وسواك وقس من الطيب » رواه مسلم .

«إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين ، فمن جاء الجمعة فليغتسل» رواه ابن ماجه .

«تخللوا فإنه نظافة ، والنظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » رواه الطبراني.

«تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب . ما جاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي » رواه ابن ماجة .

«لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا فقال النبي : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال» رواه مسلم .

أتى رجل للنبي ﷺ ثائر الرأس واللحية فأشار إليه النبي كأنـه يـأمره بإصـلاح شعره، ففعل ثم رجع فقال النبي : « **أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائر الـرأس كأنه شيطان**» رواه مالك .

«**إن الله تعالى طيب يحب الطيب ، نظيف يحـب النظافـة ، كـريم يحـب الكـرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا أمتعتكم ولا تشبهوا باليهود**» رواه الترمذي .

بما معناه «**إماطة الأذى عن الطريق صدقة**» رواه البخاري .

« **إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولا تـداووا بحـرام** » رواه أبو داود.

«**إن لكل داء دواء فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله** » رواه مسلم .

«**اتقوا الملاعين الثلاث : البراز في الموارد وقارعـة الطريـق والظـل** » رواه أبـو داود .

«**من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم** » رواه الطبراني .

«**إذا سمعتم بالطاعون ظهر بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فـلا تخرجوا منها** » رواه البخاري .

«**فر من المجذوم فرارك من الأسد** » رواه البخاري .

من أحاديث الرسول في الحياء

«**إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء**» رواه مالك .

«**عن أبي سعيد الخدري : كان رسول الله أشد حياء مـن العـذراء في خـدرها ، وكان إذا رأي شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه** » رواه مسلم .

«**الحياء والإيمان قرناء جميعًا ، فإذا رفع احدهما رفع الآخر** » رواه الحاكم .

«إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدًا نزع منه الحياء .. » رواه ابن ماجة .

«الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار » رواه أحمد .

«استحيوا من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى .. ومن أراد ترك زينة الحياة الدنيا ، وأثر الآخرة على الأولى .. فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » رواه الترمذي .

«الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذي عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » رواه البخاري [وفي رواية بضع وستون] .

من أحاديث الرسول في الإخاء

«مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » رواه البخاري .

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة » رواه البخاري ومسلم .

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا » رواه البخاري .

«انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا » قيل أنصره مظلومًا فكيف أنصره ظالمًا قال : تحجزه عن ظلمه فذلك نصره » رواه البخاري .

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم الله تعالى .. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ماله ودمه

وعرضه وكونوا عباد الله إخوانًا .. ولا يحق لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثـلاث » رواه مسلم .

«**لا يحق لمسلم أن يروع مسلمًا** » رواه أبو داود .

«**من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » رواه مسلم .

«**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد** » رواه أبو داود .

«**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كـل مكان** » رواه الترمذي .

من أحاديث الرسول في الاتحاد

«**الشيطان يهم بالواحد والاثنين فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم** » رواه مالك .

« **لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رواه أبو داود .

«**ستكون هناث وهناث ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضـربوه بالسيف كائنًا من كان** » رواه مسلم .

« **من خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، لا يتحاشى من مؤمنها ، ولا يفي بعهد ذي عهدها ، فليس مني ولست منه** » رواه مسلم .

من أحاديث الرسول في اختيار الأصدقاء

«**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخـالط الناس ولا يصبر على أذاهم** » رواه الترمذي .

«**صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الـرجلين أزكـى**

من صلاته مع الرجل ، وكلما كثر فهو أحب إلى الله عزَّ وجل » رواه أحمد .

« **قال الله عزَّ وجلَّ : المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي** » رواه البخاري ومسلم .

«**إن من عباد الله ناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله .. هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها ، فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ النبي** : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رواه أبو داود.

«**ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبًا لصاحبه** » رواه الطبراني .

«**قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وقد حقت محبتي للذين يتبازلون من أجلي وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي** » رواه أحمد والطبراني .

«**المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم إلى من يخالل** » رواه أبو داود .

«**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أنه يحبه** » رواه أحمد .

«**الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**» **رواه البخاري. إذا آخي الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ، فإنه أوصل للمودة**» رواه الترمذي .

«**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله ، ناداه مناد : بأن طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلاً** » رواه أبو داود .

من أحاديث الرسول في العزة

«**من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس منا**» رواه الطبراني .

« جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : «**يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي (أي اغتصابه) قال : لا تعطه مالك . قال أريت إن قاتلني ؟ قال قاتله . قال أرأيت إن قتلني ؟ قال : فأنت شهيد . قال أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو في النار** » رواه مسلم .

من أحاديث الرسول في الرحمة

«**إن رحمتي تغلب غضبي** » رواه مسلم .

«**إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب** » رواه الترمذي .

«**لن تؤمنوا حتى تراحموا .. وإنه ليست برحمة أحكم صاحبة ، ولكنها رحمة العامة** » رواه الطبراني .

«**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** » رواه البخاري .

وزاد في رواية « **ومن لا يَغفر لا يُغفر له** » .

«**جعل الله الرحمة مائة جزء وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» رواه البخاري .

«**الراحمون يرحمهم الله تعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم من الرحمن ، من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله** » رواه الترمذي .

«من لا يَرحم لا يُرحم» وفي رواية قال الأقرع بن حابس التميمي « **أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك** » رواه البخاري .

«**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض** » رواه البخاري .

من أحاديث الرسول في العلم والعقل

«**فضل العالم على العابد سبعون درجة..** » رواه الأصبهاني .

«**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلاً** » رواه الترمذي .

«**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد** » رواه الترمذي .

«**الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها** » رواه الترمذي .

«**العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس** » رواه ابن ماجة .

من أحاديث الانتفاع بالوقت والاتعاظ بالزمن

«**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن عمله ماذا عمل فيه ؟**» رواه الترمذي .

«**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ** » رواه البخاري ومسلم.

«**يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله تعالى لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل** » رواه البخاري .

«**قال الله عزَّ وجلَّ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار** » رواه أبو داود .

من أحاديث الرسول في الإحسان

«**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** » رواه مسلم وأبو داود

والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد .

«**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن مل تكن تـراه فإنـه يـراك** » رواه البخـاري ومسلم .

«**ما من رجل تدرك له بنتان أو أختان فيحسن إليهما ما صحبتاه أو صـحبهما ، إلا أدخلتاه الجنة** » رواه ابن ماجة .

«**يقول النبي لجيش المسلمين المتجه إلى الحرب في مؤتة : « انطلقوا باسم الله على ملة رسول الله ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا تقتلوا امـرأة ولا تقتلـوا صـغيرًا ، ولا تقتلوا رضيعًا ولا تهدموا بناء؟ً ولا تحرقوا شجرًا ولا تقطعوا نخلاً ، وأحسـنوا** » رواه أبو داود .

من أحاديث الرسول في التواضع

«**الله بطر الحق وغمط الفاسد** » رواه مسلم والترمذي .

«**ما تواضع احد لله إلاً رفعه الله** » رواه مسلم والترمذي وأحمد .

«**من تواضع لله درجة رفعه الله درجة حتى يبلغ أعلى عليين ، ومـن تكبـر علـى الله درجة وضعه الله درجة حتى يبلغ أسفل سافلين** » رواه أحمد .

«**إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد** » رواه أبو داود وابن ماجه .

«**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر** » روه مسلم وأبو داود .

«جاء رجل إلى النبي فقال : يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسـنًا ونعـلي حسنًا فهل هذا من الكبر في شيء ؟ فقـال : « **لا ، إن الله جميـل يحـب الجـمال** » رواه مسلم والترمذي .

« **إذا أتى أحدكم خادمه بطعام فليجلسه معه ، فإن لم يجلسه معه فليطعمه اللقمـة**

واللقمتين والأكلة والأكلتين » رواه أحمد .

من أحاديث الرسول في الماعون

«**من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على مؤمن يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه** » رواه مسلم .

«**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » رواه البخاري ومسلم .

«**ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس** » .

من أحاديث الرسول في المحبة

«**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين** » رواه البخاري .

«**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به** » رواه البخاري ومسلم .

«**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » رواه البخاري ومسلم .

إن أحاديث النبي في مكارم الأخلاق كثيرة وموثقة ورواها بالتواتر الثقات ووثقتها كتب الحديث والسيرة والتاريخ من جانب الأعلام الأتقياء ، وشملت هذه الأحاديث النبوية الجوانب التي ذكرناها وأهمها :

الإخلاص والأمانة والوفاء وآداب الحديث وسلامة الصدر من الأحقاد والقوة والحلم والصفح والجود والكرم والصبر والنظافة والتجمل والصحة وفي الحياء والإخاء والاتحاد واختيار الأصدقاء والعزة والرحمة والعلم والتعلم والعقل والتعقل والانتفاع بالوقت والاتعاظ بالزمن وفي الإحسان والتواضع والماعون والمحبة والعمل الصالح وتقدير العمل وضرورته والحث عليه لأنه قرين الإيمان

كما حدثنا النبي ﷺ : « **الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل** » وكان صلوات الله عليه وسلامه يحث على العمل ويقول مثلاً : « **ولئن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدوا (أحسبه قال لي الجيل) فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس**» كما يقول صلوات الله وسلامه عليه : «**اليد العليا خير من اليد السفلى** » أي أن المنفق خير من الذي يتلقى الإنفاق والمجتمع المسلم هو مجتمع العاملين للدنيا وللآخرة وليس مجتمع العاطلين أو السائلين المحترفين والكسالى ولا المجتمع الذي تشيع فيه آفة البطالة أو تعلو نسبتها وتستمر دون علاج . والسعي من اجل الرزق كما علمنا رسول الله ﷺ أن كل عمل صالح له ثوابه وأجره عند الله والتكافل الاجتماعي أهم عنصر من عناصر بنيان المجتمع فقد روى عن النبي ﷺ حديثه : « **الساعي على الأرملة أو المسكين كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار** » ووجهنا النبي إلى أن تكون وجهة العمل في الدنيا وجهة تنبني على تقدير أداء الواجب وتبتغي وجه الله ونفع الناس وقضاء مصالحهم وتلبية حوائجهم مع جلب المصالح للنفس ولكل نفس أخرى والسعي من أجل الرزق والاستزادة منه بالطرق المشروعة ضمانًا للفرد والأسرة ومستقبلهما وهو ما أشار إليه النبي في معناه : « لئن يدع أحدكم أولاده أغنياء خير من أن يدعهم فقراء يسألون الناس » وهو ﷺ العارف والمطيع والملتزم بما يقوله الله في القرآن الكريم في سورة القصص من الإحسان إلى النفس وإلى الأسرة وإلى الناس في المجتمع في معرض الحديث الموجه إلى البليونير اليهودي قارون : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص:٧٧] وينبغي أن يعلم كل إنسان إن أكمل الأعمال الأخلاقية وأقواها التي دعا إليها الله ودعا إليها رسوله هي بر الوالدين ثم صلة الرحم ثم الإحسان إلى الجيران ثم الرحمة بالخلق كلهم لأنهم شركاء الإنسانية لا يتفاضلون فيما بينهم إلا بالتقوى والضمير الحي وإنزالهم منازلهم وحسن

الخُلق . وأحب أن أقول إن النبي ﷺ ربَّى جيل الصحابة الأولين تربية أخلاقية عالية القدر والمستوى فخلق من بداوة الإنسان العربي في جاهليته إنسانًا عربيًا مؤمنًا موحدًا لله ومنزها له ، قوي الإيمان في عقيدته وفي عبادته وفي أخلاقه وفي معاملته وفي مراقبته ورعايته لربه وفي معاملاته وتعاملاته مع الآخرين ، وفي تمسكه بأحكام الشريعة وحكمتها ومقاصدها وروحها . جيل إنساني متميز على أكتافه قام الدين وأنتشر وقامت الدولة وأنبنت وتطورت في تآخي بين المسلمين والمؤمنين وتعاون بين كل الناس في المجتمع والدولة وتآلف بين قلوبهم ووحدة لصفهم قادة ومواطنين وفي ذلك يقول الله تعالى لرسوله محمد ﷺ في القرآن الكريم: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩] . ويقول سبحانه وتعالى عن حضرة النبي : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٨ – ١٢٩] وغير ذلك كثير في كتاب الله .

لقد كان محمد ﷺ يقول : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذي عن أبي هريرة ويقول أيضًا « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . وروى الشيخان البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا وكان يقول : «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا » وكان من أخلاق النبي ﷺ في جانب السلوك الاجتماعي «الحلم والصدق والأمانة والصبر على أذى الآخرين والعفة والعدل والتسامح والعفو والجود وحب العطاء والتواضع والشجاعة والوفاء ولين الجانب والصبر ابتغاء مرضاة الله وخفض الجناح للمؤمنين والصفح الجميل » .

ولذلك ولكل ما سبق قال الله تعالى عن النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه

ما جاء في هذه الآية الرابعة من سورة القلم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾. والله سبحانه وتعالى بذلك يمتدح رسول الله ﷺ من منطلق أمرين :

الأول : النظر إلى الأخلاق ومكارمها باعتبارها (قيمة) لها وزنها عند الله تبارك وتعالى ولها تأثيرها على الإنسان وعلى سلوكه ومعاملاته وتعاملاته فردًا وفي أسرة وفي مجتمع وفي وطن ودولة .

الثاني : تمتع النبي ﷺ بكل عناصر ومقومات ومكونات مكارم الأخلاق الدينية المؤثرة على سلوكه وسيرته في مجتمعه وتعامله مع كل الناس ومواقفه معهم وتجاه مشاكل حياته في كل الأمور وكل الأوقات .

لقد كان النبي محمد ﷺ «قدوة» و « أسوة » للمؤمنين ولكل الناس وتحققت له هذه القدوة وهذه الأسوة فيما وبما كان يتمتع به من مكارم الأخلاق التي أظهرتها وأثبتتها سيرته وعلاقاته مع الناس ذكورًا وإناثًا ، ومن هنا فإن الأدب مع رسول الله ﷺ يكون في تعظيمه وتوقيره وحبه وحب أهل بيته والتمسك بسنته والاقتداء بأخلاقه وسلوكه بسعة أفق في المحاكاة مع الاهتمام بالجوهر قبل الشكل .

لقد كان رسول الله سراجًا منيرًا يضيء القلوب والعقول والأرواح من خلال تخلقه بأخلاق القرآن وتحلية بنور القرآن لأنه مبين للنور القرآني ومفسر له وداعي إليه وعامل به وهاد بهديه ومتشبع به ومتخلق به وفان فيه وباق به .. وعلى كل مسافر في طريق رحلة الدنيا المتجه نحو الآخرة أن يطيع سيدنا رسول الله كما يطيع القرآن لأن النورين متصلان ولا ينفصلان .. فالقرآن يأمرنا أن نتبع رسول الله لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن ادعى حب الله دون إتباع رسول الله فهو مدعي كاذب غير صادق مع نفسه وغير صادق مع ربه ورسول الله فينا قائم بسراجيته مضيئًا بنور القرآن في الشريعة والحقيقة وفي سنته القولية والعملية

والحالية والتقريرية وهو الذي بخلقه العالي العظيم قدوتنا وقدوة كل إنسان من الإنسانية في الحياة في كل عصر وزمان ومثلها الكامل الأعلى والذي يقول فيه رب العزة في القرآن العظيم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾.

إن الإنسان – كل إنسان– المرتبط بالإيمان بالله الموصول بذكره والمتواصل مع هديه المتحلي بالأخلاق النظرية في مكارمها التي وردت وحث عليها ودعا إليها القرآن العظيم ، والأخلاق العملية ، كلاهما كما هو متجسد أو كان متجسدًا في سنته تجعل من هذين الدستورين والنموذجين (القرآن والسنة النبوية) المصدر الأساس المعتمد للقيم الأخلاقية السامية ومكارمها ومن خلالها يحبها ويريدها الله سبحانه وتعالى وكما تتحقق بها ومن خلالها سعادة الإنسان نفسه في حياته في مجتمعاته وأوطانه ودوله . لقد كان الله ورسوله يعلمان علم اليقين تمامًا ويقينًا إن القيم الأخلاقية الربانية السامية والكريمة هي أهم عنصر من عناصر العملية التربوية والإنسان في واقعه ، يقيمها ويقومها (الدين) الذي الإيمان بالله فيه يتصل بتهذيب النفس وتربيتها على أحسن مكارم الأخلاق ومعالجة نوازعها من الشرور والأضرار بالتهذيب والتوجيه المتدرج .

ومعاملة النفس الإنسانية من منطلق العناية بالفرد وصحته النفسية وبالأسرة وتكاملها النفسي والمجتمع وسلوكيات أفراده ثم الأمة وتوازنها النفسي وصحتها النفسية شأنها شأن الأفراد حيث إن الفرد (الإنسان) الصحيح النفس هو الفرد (الإنسان) السوي الذي يستطيع أن يحقق لنفسه ولأسرته ولمجتمعه ولدولته ووطنه أكبر قدر من الخير والنفع في إطار التوازن النفسي للشخصية الذي يقوم على الوسطية والاعتدال . لقد حث النبي ﷺ الناس وهو صاحب الخلق العظيم على التحلي بمكارم الأخلاق وضبط جماح النفس وعلاج آفاتها بالتدرج والحكمة

وليس بالكبت حتى تستقيم على منهاج مكارم الأخلاق ليعيش كل إنسان من كل معتقد على مستواها مستهدفًا خير وسعادة الإنسان نفسه في الدنيا والآخرة وطمأنينته في نفسه واستقراره في معيشته وبالأمن والأمان والسلام يحيطون بالنفس وبكل ما ومن حولها .

إن الأخلاق الكريمة التي أمر بها القرآن الكريم وتحلى بها رسول الله ﷺ وحض عليها في أحاديثه وكان مثال لها في أعماله وأقواله وتقريراته وسلوكياته وتعاملاته وأبرزتها بذلك سيرته للناس كافة حتى وصفه ربه بأنه على خلق عظيم كلها تعتبر السياج الذي يحمي الشعوب من سلوكيات أبنائها المنحرفة الضارة التي تسببها الأمراض والاضطرابات النفسية والضمائر الخربة والنفوس غير السوية التي تفتقد القيم السامية التي قوامها العلم والإيمان والأخوة والمحبة والتسامح والشراكة في الإنسانية التي دعا إليها القرآن الكريم والرسول العظيم التي يرجع أصلها إلى آدم العاقل وهو من عناصر تراب هذه الأرض ، لا يتمايز فيها الناس إلا التقوى الله والعمل الصالح النافع وسلامة القلب وصفاء النفس ووازع الضمير الحي وحب الآخرين كما حدث النبي محمد ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » أي أخيه في الإسلام والإيمان وأخيه في الإنسانية المشتركة التي يتساوى فيها الناس كما تتساوى أسنان المشط وهو ما حدث به النبي صلوات الله وسلامه عليه .

ما علمّه الله للنبي محمد

إنه لما كان علم الله سبحانه وتعالى محيط وكلي وشامل للكليات والقوانين في الطبيعة وللجزئيات والدقائق والتفاصيل المتناهية الصغر ، أي أنه لما كان الله تعالى بكل شيء عليم وبكل شيء محيط ولا يخفى عليه في السماوات والأرض في الكون كله بمن فيه وما فيه كما كان يقول إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم :٣٨] . وكما يقول لنا القرآن العظيم في سورة آل عمران : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران:٥] .

إن ما يتوصل إليه العلماء من علوم ومعارف ومعلومات ليس إلا (شيء) من قدر العلم الذي يعلمه الله وما يشاء سبحانه أن يعلمه العلماء ويتوصلوا إليه بالقدر الذي يشاؤه الله وبالوسائل التي يشاؤها الله ، وذلك سر قوله تعالى في القرآن العظيم : ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقرة:٢٥٥] . وذلك أن علم الله (العليم) هو نفسه العلم المخزون في الأشياء وما تحتويه فيما هو كائن وموجود حيث أن الأشياء كلها كائنة وموجودة بتقدير الله سبحانه وتعالى وقضائه بأمره وتدبيره وحكمته ووفق علمه الأزلي الأبدي .

ولما كانت علوم ومعارف العلماء الماديين قاصرة على علم الشهادة وعالم

الشهادة وهو العالم الطبيعي المحسوس ومظاهره وكل ما يحويه من ماديات وطاقات وقوى وعناصر وذرات وجزئيات ونجوم وشهب ونيران ونيازك إلخ . ولا تتعدى علوم ومعارف العلماء الماديين هذه الموجودات الكائنة في الطبيعة وقوانينها (الفيزيائية والرياضية والميكانيكية الكمية .. وغيرها)إلى عالم الغيب الغائب عن العلماء وما يكون فيه من الروح وعوالم الروح والملائكة خلق النور وغيرهم من الكائنات الروحية أو اللامادية ، فإن القرآن العظيم يصف أمثال هؤلاء العلماء في معارفهم وعلومهم بقوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ [الروم:٧] . ويصف مواقفهم وحكمهم على الأمور وحقائقها بقوله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس:٣٩] .

وليظل الله سبحانه وتعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف:٧٦] . لأنه سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال الذي لا يعزب عن علمه شيء، أي شيء في الأرض والسماوات وما فيهن كما يقول القرآن :﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١] .

ومن هذا المجال من العلوم والمعارف أنزل الله القرآن العظيم على قلب النبي محمد تبيانًا لكل شيء لم يُفرط فيه الله من شيء وعلَّم علومه ومعارفه للنبي محمد صلوات الله وسلامه عليه الذي يقول له سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣] .وهذا التعليم الرباني للنبي محمد حتى يبين القرآن العظيم للناس ويقراه عليهم على مُكث وقد نزله الله تنزيلاً كما في الآيات القرآنية التالية :

١-﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩].

٢-﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦].

ولا يهم الله في شيء أن يؤمن الناس بهذا القرآن أو لا يؤمنوا لأن كل إنسان مكلف مسئول عن نفسه يحاسبه ربه على مسعاه في الحياة الدنيا يوم القيامة وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن العظيم :﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:١٠٧- ١٠٩].

إن الكون العظيم بكل ما فيه من موجودات وكائنات وأشياء عبارة عن (معلومات) مختزنة فيه أو طليقة منه وهي ليست إلا تعبيرًا عن (المعلوم) لله (العليم) في علمه الأزلي الذي يتصف به في أوليته وآخريته وهو الأول الذي لا بداية له والآخر الذي لا نهاية له محيط بكل شيء وقد وسع كل شيء علما ولا يحيط أحد بشيء من علمه فما يكشفه هذا الأحد إلا بما يشاء الله كما يقول في القرآن العظيم : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾. أي من العلم أو من وسائل تحصيله ، إن الكون وكل شيء موجود هو تعبير الموجود بكل صفاته وخواصه وخصائصه وحقائقه وطبيعته ومعلوماته المختزنة فيه تعبير مطابق تمام الأصل المعلوم لله في علمه المحيط بكل شيء والذي وسع كل شيء علما وخلق وأوجد كل شيء وفق علمه بإرادته وأمره بسر الكلمة (الكنتية) (كن) التي توجد كل شيء (يكون) كما يقول القرآن العظيم :﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [يس:٨٢- ٨٣].

ولما كان القرآن العظيم أنزله الله بعلمه أي متضمنًا علمه سبحانه فإن القرآن في

معلومات آياته يحيط بكل شيء في الكون إحاطة شاملة وكاملة تامة محيطة لأن الله سبحانه وتعالى هو المصدر الموجد للكون (الكتاب المنظور) وللقرآن العظيم (الكتاب المسطور) وهو معنى الآية :﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:٣٨] والاثنان متضمنان لعلمه وكائنان وفق علمه وبكمال قدرته قديمًا (القرآن) ومحدثًا (الكون) . وعلمه سبحانه الكلي الشامل والمحيط بكل شيء لا اختلاف أو خلاف بينهما : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[يونس:٦١] .

وعندما تتطور علوم الإنسان ومعارفه وتتبلور في الموضوعات المادية والروحية أكثر وتزداد في عالم الشهادة وعلوم الشهادة وفي عالم الغيب وعلوم الغيب وتلج مجالات روحية لا زالت غائبة عن العلماء غير المؤمنين اليوم ينكرونها ويرفضونها لأن معلوماتهم عنها قليلة أو تكاد تكون معدومة وهو ما قرر القرآن العظيم بشأنه عندما سأل يهود النبي محمد ﷺ في المدينة عن الروح ، فرد القرآن بشأنه بالوحي من الله تعالى :﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥] .

إن الزمن سيمضي في أيام الدنيا حتى يأتي الوقت والزمن الذي يعلم فيه كل الناس وكل الذين يعلمون وكل العلماء من كل ملة ودين ومعتقد أن ما نبأ وأنبأ به القرآن العظيم من حقائق هو الحق وهو الحقيقة :﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [ص:٨٨] . ويقول :﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء:٣٧] .

وخلال مُضيَّ أيام الدنيا ستزداد علوم ومعارف ومعلومات العلماء ليكتشفوا ويروا بوسائلهم المخترعة ما في الوجود الطبيعي الكوني وما في الإنسان في نفسه

وعقله وقلبه وطاقات روحه وسائر وظائف أعضائه خاصة المخ والجهاز العصبي المركزي والشبكة العصبية والخلوية والنفس من موجودات وصانعها في الآفاق الكونية وفي الطبيعة والفطرة الإنسانية وعندها سيتبين لكل الناس ولكل العلماء منهم أن القرآن العظيم الذي أنزله الله على قلب النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه هو (الحق) وإن الله سبحانه وتعالى فيما أوجد وصنع وخلق ، على كل شيء شهيد ، كما في قول القرآن العظيم : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت:٥٣] .

وعند ذلك – وكما ذكرنا من قبل– لا يهم ، وقد تبين الحق ، أن يؤمن الناس أولا يؤمنوا لأنهم مسئولون يحاسبهم ربهم يوم القيامة ساعة الحساب الأكبر ويومها من اهتدى فإنما يكون قد اهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يكون قد ضل عليها تعبيرًا عن حقيقة (الفردية) للذات الإنسانية في نفسها وحيث لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها وحيث لا تجزي نفس عن نفس شيئًا وحيث ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:٣٠] وذلك ساعة الحساب في يوم القيامة. ولا تزر وازرة وزر أخرى كما يقول لنا القرآن العظيم بالحق ولكن في ظل الواقع الذي أبلغ الله به نبيه محمد : ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] وأنت يا محمد قد جئتهم بالحق : ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٠]. وهذا الواقع يكون في كل وقت وحتى يومنا هذا أو ما يليه .

وقديمًا وقت البعثة قال الكافرون والمشركون أن النبي محمد به جِّنة أي مجنون وبذلك ضلوا ضلالا كبيرا وبعيدا لأسباب واضحة لا ولم ولن تخفى على احد .

فقد جاءهم النبي محمد من عند الله بما يخالف ويختلف كليا عما كانوا

يعتقدون ويتوهمون ويتبعون فيه أهوائهم ومورثاتهم وتصوراتهم الباطلة وتقاليدهم الفاسدة وربما معتقدات خرافية أسطورية ورثوها عمن كان قبلهم بالإضافة إلى مراعاة مصالحهم الدنيوية ومكانتهم الاقتصادية ومكاسبهم التجارية وسيادتهم القبلية وغير ذلك . وقد تناول القرآن العظيم ما وصفوا به النبي محمد من الجنون لأنه جاءهم بالحق المخالف والمختلف لما كانوا يعتقدون ويمارسون من مظاهر الشرك بالله تعالى وهو ما يقول فيه القرآن العظيم : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون :٧٠] ومع ذلك فقد كان النبي محمد حزينًا وآسفًا على عدم تصديقهم لما جاء به من الحق من عند الله لأنه كان يعلم ما ينتظرهم من جزاء في الآخرة وعقاب وعذاب الله الشديد فيها ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾:[الكهف:٦] فهو صلوات الله وسلامه عليه قبل كل شيء ومع كل شيء وبعد كل شيء كان رحمة للعالمين وبشيرًا ونذيرًا للبشرية والإنسانية كما يقول القرآن العظيم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] وكما يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ الأحزاب : ٤٥- ٤٦] وللناس كافة .

٠- محمد والتوحيد
مفاهيم من الرسول والرسالة

التوحيد الحق هو توحيد الذات الإلهية للذات الإلهية ، وهو أعلى مراتب التوحيد ، وقاصر على الذات الإلهية وحدها في المجهول منها وعنها في كل شيء . بعده يكون توحيد الملائكة والروح القدس ثم أولوا العلم والراسخون في العلم سر قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨] وهم مستويات ولهم تخصصات . والذات الإلهية وهي المجهولة تمامًا لا يمكن تصورها أو تخيلها أو توهمها لأن الفكر ليس لديه القدرة على إدراك ماهيتها كما أنه لا يمكن تشبيهها أو تحديدها بأي شيء لأن الله سبحانه وتعالى – وهو الاسم العلم الدال على الذات الإلهية – ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[الشورى:١١] أي في كل شيء ومن هذا فإن الله سبحانه وتعالى لا يمكن تقييده أو تحديده أو تشبيهه لا بالمادة ولا بالطاقة ولا بالروحية لأن الروح يمكن أن تتجسد والطاقة يمكن أن تتحول إلى مادة حيث تتساوى الطاقة مع الكتلة والعكس ، وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى ، وقد علمنا أن من معاني الاسم «القدوس» أنه المنزه عن كل وصف يدركه الحس أو يتصوره الخيال أو يسبق إليه الوهم أو يختلج به ضمير أو يُفضي إليه تفكير ، فلا يمكن أن يعرف الله تعالى المعرفة الحقيقة المحيطة بكنه وماهية أسماء وصفات الألوهية والربوبية إلا الله تعالى ذاته ، لأن معرفتنا بهما محدودة وتقصر عن المعرفة الحقيقية الكاملة والتامة . إن قدرتنا على الملاحظة لا تستطيع أن تمتد إلا إلى جزء

ضئيل نسبيًا من الحقيقة الكلية المطلقة ولذلك يذهب كثير من علماء الطبيعة اليوم إلى أن الإله الذي يؤمن الإنسان بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه ومن العبث أن تحاول إثبات وجوده باستخدام العلوم الطبيعية وحدها لأنه يشغل دائرة غير دائرتها المحدودة الضيقة ، بينما علم الإله كلي وكامل وشامل ومحيط بكل شيء في تفاصيله وتفصيلاته الجزئية وفي سننه وقوانينه الكلية ، وبكل الدقائق والمشتملات صغيرها وكبيرها ، مخزونها وطليقها، متحركها وثابتها في المادة والطاقة والقوى .. إلخ وهذه هي الحقيقة التي تعبر عنها الآية القرآنية :﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] . فالله بكل شيء محيط وقد أحاط بكل شيء علمًا في وجوده الأزلي الذي لا بداية له ووجوده الدائم الباقي الأبدي الذي لا نهاية له حيث يتجلى علمه في المسطور (القرآن) والمنظور (الكون) والمخزون في كتاب الوحود وسجل القدر والقضاء الذي يشمل في إحاطته كل ما يوجد ويحدث في السماوات والأرض أي في ملك الله وملكوته فيما يكون ويوجد ويحدث بمشيئته من الموجودات والأحداث وما تختزنه من معلومات . هي المعلومات عنده سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير وهو الذي بكل شيء عليم وفوق كل ذي علم عليم وتتحد بذلك العلوم والمعلومات في كتاب الله المنظور (الكون) مع كتاب الله المسطور (القرآن) لا يعلم تأوليهما إلا الله والراسخون في العلم .

إن (التوحيد) هو السمة التي تميزت بها كل وكافة إصدارات الهدى الديني الذي بعث الله به كل أنبيائه ورسله إلى البشرية والإنسانية بل وكل مخلوقات الله في أراضيه وسماواته الموجودة التي خلق والتي تظهر وتتجلى فيها (الوحدة) الدالة على وجود خالقها . وهذا ما يقوله القرآن الكريم للجنة والناس :﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ

وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى:١٣] . لقد جاء محمد ﷺ بما جاء به الأنبياء والرسل الذين سبقوه حتى موسى وعيسى وهو توحيد ذات الله في ألوهيته وفي ربوبيته ومحاربة كل وكافة صنوف الشرك الظاهر والخفي والأخفى حتى ذكر لنا رب العالمين في القرآن الكريم :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] ويذكر لنا كذلك عن الشرك بالله في الكثير من آياته :

١ -﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] .

٢ -﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [المائدة:٧٢] .

٣ -﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج:٣١] . ذلك أن الله لا يشرك في حُكمه أحدا وأمر الناس أن يعملوا عملاً صالحا ولا يشركوا بعبادة ربهم أحد حيث قضى ألا يعبد الناس إلا إياه تعالى سبحانه عما يشركون : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء:٢٣] . وفي سورة الزمر في القرآن العظيم يقول سبحانه وتعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٢- ٦٧] .

وكان النبي ﷺ يصف الشرك الخفي فيقول : «الشرك أخفى من دبيب النمل

على الصفا في الليلة الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور[1] وأن تبغض[2] على شيء من العدل » وهل الدين إلا الحب والبغض ؟ » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]. وذلك يعني أن إخلاص التوحيد هو محبة العدل وكراهية الظلم في كل الأمور في حياة الإنسان يلتزم به ويطبقه بالفعل والعمل لا بمجرد رفع شعاره النظري بالقول فقط .

وتوحيد الربوبية ، وذكر القرآن العظيم الذي أنزله الله عليه في سورة الإخلاص: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ إن الله ليس كمثله شيء أي في كل شيء وإن له أسماء حسنى وصفات علا يتجلى بها في الكون وكل كائناته وذكر القرآن العظيم في سورة الفاتحة فيه إن الله هو رب العالمين : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ .

(١) أي الظلم .
(٢) أي: تكره .

-- توحيد الإلوهية وتوحيد الربوبية في دين محمد

حينما نمعن الفكر في هذا الكون نلاحظ وحدة نظامه من ابعد كوكب فيـه عنـا إلى أصغر ذرة من ذراته ، ونلاحظ تسييره المحكم البديع دون خلل أو اضطراب ، أو فساد في أرضه وسمائه ، في حركة نجومه وكواكبه ، وفي وحدة نظام مجراتـه ، في كل ساكن أو متحرك ، في كل جماد أو ذي حياة ، في ترابط بعضه ببعضه ترابطًا تامًا ، مع أن كل جزء فيه يعمل في نطاقه ومجاله ، دون أن يكون عمله هذا سببًا في تعطيل عمل أي جزء آخر من الأجزاء التي لا حصر لها في الكون الكبير ، فدراسة ظـواهر الكون دلت على أن هذا الكون خاضع لقوانين واحدة ، وأنه سائر ضمن خطط من الخلق لا تفاوت فيها ، إن القـوانين السـائدة في الأرض هـي القـوانين السـائدة في السماء ، ثم إن الأرض وما فيها جزء مرتبط بسائر ما في الكون فهي خاضعة لنظـام شامل ، مسيطر على الكون كله .

وهذا يدل على أن الخالق المهيمن على الكون كله واحد ولو أنـه كـان متعـددًا لتباينت قوانين الكون ولتعارضت ولا انتهى الأمر بها إلى التصادم والفساد » [1].

لقد تحدث أستاذنا الإمام محمد ماضي أبو العزائم عن مقامات ثلاثة في وحدة

(١) «كتاب العقيدة الإسلامية وأسسها » للأستاذ / عبيد الرحمن الميداني .

الإلوهية أو توحيد الإلوهية :

الأحدية : بمعنى كان الله أزلاً بلا بداية وحده لا شيء غيره معه .

الواحدية : الباقي الدائم الآخر الذي ليس بعده شيء أو غيره .

وبينهما الواحدنية : بمعنى نفي الشرك وانتفاء الشريك ، فالله سبحانه واحد لا شريك له في الملك أو الخلق أو الأمر أو التدبير وهو رب العالمين والمستحق وحده للعبادة وهو واحد في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله.

فإذا تحدثنا عن توحيد الربوبية فإننا نقصد به أن الله سبحانه وتعالى باعتباره رب العالمين هو المهيمن على الكون كله والمنظم له والموجه لكل جزء فيه واحد لا يشرك في أمره شريك ، وهذا كله داخل في مقام الوحدانية الذي تنتفي معه كل أنواع الشرك الظاهر والخفي. وعلى ذلك فإن توحيد الربوبية يكون بحيث تنتفي كافة مظاهر الشرك البشري وغير البشري بربوبية الله تعالى ويتحقق كل مخلوق بتوحيد الله تعالى وانفراده وحده بربوبية العالمين ؛ لأن الرب اسم الله من الأسماء الحسنى كالرحمن والرحيم وكلهم يشملهم توحيد الإلوهية باعتبار أن الاسم الأعظم (الله) جامع الأسماء الحسنى كلها ودال على الذات الإلهية الأحدية وعلى رب العالمين.

وحضرة الرب لها كمال ، وكمالها التجليات وكمال التجليات الآيات وكمال الآيات ظهورها في الكائنات.

هذا وبقدر إشراق أنوار التوحيد على قلب العبد يكون ارتفاع المسلم إلى درجات القرب ومنازل الحب ، يقول تعالى :

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة:١١] .

لقد جاء الإسلام ليصحح العقائد المنحرفة عن التوحيد الخالص وليضع حدًا

للتصورات والأقوال غير العلمية عن الله سبحانه وتعالى وأول ما أرساه هو توحيد الله في الاعتقاد وفي العبادات وفي التشريع والمعاملات وفي الأخلاق ، وكانت عقيدة البشر في الإله قد مرت عبر مراحل كثيرة في تاريخ الإنسان متسمة في مجملها بالسحر والخرافة والأساطير والتعددية والخيال كما نعرف من تاريخ الاعتقاد البشري للمجتمعات المختلفة فيما يتصل بإلهها المعبود ، ثم جاء القرآن ليقرر أن الله المعبود الحق إله واحد لا شريك له ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد ، ووضع أساسًا جديدًا مبني على المعرفة والعلوم ، يجرد فيه الإله من صفات التجسيد أو الاتحاد أو الحلول أو التشبيه أو الخيال أو الشرك أو التصور أو التخيل أو التحيز أو مماثلة الأحداث والمحدثات أو وحدة الوجود . وقرب مفهوم الإله إلى الفكر الإنساني مع تنزيه ذاته ، بما أضفى عليه من أسماء حسنى حتى يكون مفهوم الله محيطًا بالإنسان في فكره وفي نفسه وشعوره وفي عقله وقلبه وروحه ، وفي سلوكه الفردي والاجتماعي ، إحاطة تجعل من الله رقيبًا على معتقدات وأعمال كل كائن مخلوق وكل فرد من الإنسانية أين كان وكيف كان في هذا الكون الفسيح الممتد .

وربط القرآن بين عقل الإنسان وروحه وبين الكون المحيط به من خارجه والكون الممتد بداخله ، أي في النفس وفي الآفاق ، ليلحظ ويتأمل ويعقل ويفكر ويتدبر ويتذكر ويفقه ويعلم ويشهد آيات الله المعجزة في الكونين ، بما يزيد من ارتباطه بالله ويقوي إيمانه به وخوفه منه ورجاء فيه وحبه له متحققًا بالأمل في رحمته بما يحقق الاستقامة البشرية في السلوك من خلال مراقبة الله الذي يعلم السر والعلن ، والذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، والذي لا يضل ولا ينسى ، والذي يكون حاضرًا شاهدًا مطلعًا على أمور الإنسان – منفردًا أو في الأسرة أو في الجماعة أو في الوطن أو من خلال صلاته بسائر الشعوب والأمم والأقوام وكما قلنا التوحيد يعني توحيد الله في الاعتقاد في العبادة وفي المعاملات وفي الأخلاق وفي التشريع

وتوحيده في التشريع يعني تطبيق الشريعة الإسلامية وأحكامها في القوانين في النظرية والتطبيق وهو سر قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

ونلاحظ تجلي الربوبية والألوهية في الطاقة وهي النار والنور معها بالنسبة لموسى عليه السلام كما جاء في سورة النمل في القرآن الكريم: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآيات:٧-٨].

وكما جاء في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [الآيات:٩-١٤]. فقد بارك الله في النار أو النور الذي رآه موسى الرسول فقد نودى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الآية، ولما آتاها موسى نودي من حضرة الربوبية ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [طه:١٢]. ثم من حضرة الألوهية: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه:١٤]. والنار أو النور الذي آنس موسى عبارة عن «طاقة» تجلي عندها الله رب العالمين من جانب الطور الأيمن كما جاء في الآية: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢] ومن الشجرة.

إن أفكار التصميم الذكي للكون وما فيه من توافق مذهل ومعجز مع احتياجات الإنسان وما تدل عليه من الغائية (TELEOLOGY) والتي تعني أن الإله الخالق قد صمم الكون على هيئته الحالية وكوكب الأرض في المجموعة الشمسية ليكون مناسبًا لنشأة الحياة بصفة عامة ونشأة الإنسان بصفة خاصة وهو

ما يعرف «بالمبدأ البشري » (ANTHROPIC PRINGIPLE) ، ويعرف أيضًا بـ «برهان التناغم » (FINE TUING ARGUMENT) مما يقول فيه القرآن : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك : ١-٤] .

لقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى النبي محمد كلامه الذي يحويه كتابه الخاتم لكل كتبه وهو القرآن الكريم وكان النبي محمد بفضل الله تعالى على قدر مستوى هذا القرآن في كل ما احتواه واشتمل عليه من معارف وعلوم وأحكام وتشريعات وتوجيه أخلاقي ورموز وأمثال وأمثلة وقضايا علَّمه الله إياها ليعلمها النبي بدوره للناس تبينا لهم لآيات كتاب الله ومقاصدها ومعانيها وتوجيهاتها وتوجهاتها وروحها في ظاهرها وباطنها وسرها وجهرها ومحكمها ومتشابهها .. إلخ

إذ يقول الله تعالى مثلاً : ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦] . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل:٤٤] . إن عظمة محمد تستمد من عظمة هذا القرآن ومقام محمد يستمد من مقام هذا القرآن وروح محمد تستمد من روح هذا القرآن وطاقة محمد الروحية النورية تستمد من طاقة هذا القرآن الذي يعتبر روح ونور .

٠- القدوة محمدية

إن قدوة محمد رسول الله ﷺ ليست في الدين فقط ولكنها في الدين والدولـة ، فالحياة في معية الرسول لا تعرف فوارق البعد الزماني ، لأن الحياة في هـذه المعيـة هي نمط سلوك ، وأسلوب فكر، وتمسك بـالأخلاق الفاضـلة مـع لـين الجانـب والتسامح والمحبة والإخوة لكل فرد في كل عصر لديه تطلع إلى قدوة مات هيلكها حين أدركه الموت كسائر الأحياء الذين يدركهم الموت ، ولكنها بقيت حية بحياة الكتاب الذي حوى أكثر – إن لم يكل كل – الجوانب المتصـلة بهـذه الشخصـية . فالرسول ليس شخصية عادية تنتهي أضواؤها بانتهاء حياتهـا وإنمـا هـو شخصـية تستمد حقيقة الدوام والاستمرارية من حيث اختلاطها بالقرآن الـذي أوحـاه ربـه إليه لأن القرآن حي ينبض بكل أسباب الحياة الحقيقية مـن حيـث هـو روح يمـد الأرواح ونور يهدي القلوب وآيات يستنير بها الفكر ويستضيء بها العقل ، ونظـام كامل متكامل لشئون الدين والدولة معًا وفرقان بين الحق والباطل وبرهان للحـق والحقيقة . أن الظاهرة القرآنية التي حملها واختلط بها الرسول ﷺ ظاهرة لا تتكـرر لا في الشكل ولا في المضـمون وهـي مسـتمرة في الزمـان وصـالحة في المكـان لا يدركها الموت ولا تدركها النهاية التي تدرك الإنسان . ومن هنا فإن بقاء الظـاهرة القرآنية أمر يدركه الإنسان المؤمن في نوعه الممتـد في الوجـود ، وهـي ظـاهرة لا يحتكرها جيل بعينه من الأجيال البشرية المتعاقبة . فالأجيال البشـرية تتعاقـب في

تطور وترقى للمعرفة بينما تظل الظاهرة القرآنية في الأفق الأعلى للمعرفة تتجدد تفسيراتها وتتجدد مفاهيمها لدي الإنسان في نشاطه العقلي والروحي، في الفكر والنظر والتجريب كما عند الراسخين في العلم والمعرفة وعند العلماء والذين يعلمون وكما تختلط شخصية الرسول بالقرآن الكريم فإنها والقرآن يختلطان بالفرد وبالمجتمع اللذان يتفاعلان معهما ويؤمنان بهما ويستمدان القدوة والأسوة من سيرة الرسول وما تقدمه من دروس وقيم وحكم وأخلاقيات للناس من كل الأديان والمعتقدات . فالبيان القرآني في آياته وفي حق رسول الله ﷺ سينعكس في حياة الإنسان فردًا كان أو في أسرة أو في مجتمع أو في دولة . لقد غفل عن هذه الحقيقة كثيرون من الناس ، وفطن إليها بعض الناس ، رأوا أنوار الرسول ﷺ وقد امتزجت بأنوار القرآن ، وتخطوا حواجز المكان في أرض شبه الجزيرة العربية كما تخطوا حواجز الزمان الممتد من وقت البعثة وحتى عصرنا الحالي ، يدركون في كل عصر من عصور البشرية في الأرض عبر تطورها الفكري ونمو معارفها وعلومها وتطبيقاتها . وعبر حضارات الإنسان في الأرض يدركون عناصر الإعجاز والعظمة في هذا القرآن ، وعناصر الطاقة والقدرة في هذا القرآن ، وعناصر الإيمان والتسامح والحرية والإخاء والمحبة والمساواة والكرامة الإنسانية في هذا القرآن .

لقد كان محمد يحب النور والوضوح في كل شيء في حياته . كان يحب الحلم والفضيلة والحق والعدل والإيمان والتسامح والمحبة والتآلف بين الناس والكرم والبر والإخلاص والصبر والرأفة والرحمة وسلامة الصدر وطهارة اليد واللين والشفقة والمحبة والأخوة والتسامح . وسائر القيم الأخلاقية العالية التي جاء بها الإسلام وجاء بها القرآن الكريم متممًا ما جاء به السيد المسيح وجاءت به المسيحية من مكارم الأخلاق وقيم الروح ، وكان يكره ظلام الجهل والجاهلية والكفر والشرك والنفاق والبعد عن الله أو الإيمان به وتوحيده وتنزيهه عن وسائر رذائل الأخلاق .. وكان يدعو الله سبحانه وتعالى أن يحيطه بالنور في كل كيانه ومن

كل جهاته كما أخبرنا الإمام أحمد بن حنبل في مسنده حيث روى عن النبي ﷺ : «اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا وفي بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن أمامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا ، اللهم أعطني نورا » .

إن رسول الله ﷺ سراج منير يضيء الطريق للقلوب والعقول والأرواح والأفئدة من خلال نور القرآن الكريم ، فهو مبين للنور القرآني ومفسر له وهادي به وداعي إليه ومتبع له ومتخلق به وفان فيه .. فعلى كل إنسان مسافر في رحلة الحياة الدنيا إلى الآخرة أن يطيع سيدنا رسول الله كما يطيع الله لأنه لا انفصال بين النورين (الرسول والقرآن) والقرآن يأمرنا بأمر ربنا أن نطيع ونتبع رسول الله ﷺ لأن من أطاع الرسول فقد أطاع الله ومن ادعى حب الله دون إتباع سيدنا رسول الله فهو مدعي وكاذب غير صادق مع نفسه وغير صادق مع الناس وغير صادق مع ربه :﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ [محمد :٣٣] .

ورسول الله فينا قائم بروحه في سراجيته المنيرة مضيئًا بالقرآن كلام الله في الشريعة والحقيقة وفي سيرته وسنته القولية والعملية والحالية والتقريرية ، وهو لذلك كان ولا يزال قدوتنا الدائمة في الحياة في كل عصر : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٢١] . كما أنه المثل الكامل والأعلى للإنسانية جمعاء . ويمكننا أن نقول أنه إذا كان محمد رسول الله قدوة كل المؤمنين وأسوتهم الحسنة وكان المسيح عيسى ابن مريم قدوة للمؤمنين من أتباعه الموحدين وأسوتهم الحسنة فإن الاثنان – محمد والمسيح– يدعوان إلى احترام وحسن معاملة الآخر وإعلاء وسيادة قيم الأخلاق والاحترام وإنزال الناس منازلهم في المجتمع وإلى مكارم الأخلاق وإلى تقوية الروحانيات وإلى المحبة والإخاء والتسامح وإعداد العُدة لليوم الآخر والاستعداد

لموقف الحساب فيه لأن الناس – كما كان يدعو النبيان الاثنان – إخوة في إنسانيتهم وأخوة في إيمانهم بالله الواحد الأحد في التدين المعادي للإلحاد غير المؤمن بالله رب العالمين وبكتبه كلها وبجميع أنبيائه ورسله وحتى موسى ثم عيسى ثم محمد الختم لهم جميعًا .

إن الأنبياء والمرسلين جميعهم مبشرين ومنذرين وهم مع صحائفهم وكتبهم هاديين ومنيرين طريق الله والطريق إلى الله . والنبي محمد ليس استثناءًا مختلفًا عنهم ولا بدعًا منهم فكما كان في التوراة والإنجيل الأصليين هدى ونور فكذلك في القرآن العظيم هدى ونور وكما كان إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هدى ونور فكذلك كان محمد هدى ونور ، بل إن النبي محمد كان آخر منارة هادية إلى (الله) وكان في سراجيته المنيرة نور من الله دال على الله ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥] وفي واقع الأمر فإن الله يهدي لنوره من يشاء ولذلك كان من الناس مؤمن وكافر وموحد ومشرك ومهتدى وضال ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

وكانت الدنيا والآخرة وكان الموت والنشور وكان البعث والحساب وكان النعيم والعذاب وكانت الجنة والنار وليكون الأمر كله لله بدءًا وخاتمًا يفعل ما يريد ويكون ما يشاء ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء يدخل من يشاء في رحمته ويعذب من يشاء وينتهي الأمر ليكون فريق من الناس في الجنة وفريق في السعير مؤمنون أو كافرون ، موحدون أو مشركون ولذلك فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا .. بهذا دعا النبي محمد الناس كافة خوفًا عليهم ورحمة بهم وأسفًا عليهم إن لم يؤمنوا ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦]، ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾

[الشعراء:٣]، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] ، ولكن النبي محمد لم يكن مغيرًا لقدر الله ولا معترضًا على قضاء الله وقد علمه الله ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣] ، وعلمه الله ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٠] ، لقد نزل الله كتابه الخاتم القرآن العظيم على نبيه ورسوله الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه ليبين للناس ما نزل إليهم وليقرأه على الناس على مكث وباعتبار القرآن نذير من النذر الأولى حيث (أزفت الآزفة) أي اقتربت الساعة كما حدَّث النبي وأشار إلى قربها بقرب اصبعيه (كهاتين) في كفه (السبابة والإبهام).

١٠- هذا هو محمد

يقول الله تعالى في القرآن العظيم : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤٥- ٤٦] وقد جمع النبي بين هذه المقامات والوظائف وواجباتها ومسئولياتها وكان مجْمعًا كاملا لها كلها . كان شاهدًا بالشهود والشهادة للوحدة التي تنتظم هذا الوجود ودلالاتها على وحدة الإله خالقها ومتحققًا بلا إله إلا الله محمد رسول الله . رأى من آيات الله في (إسرائه) فيما هو نسبي ومتغير وفيما هو مطلق وثابت في كوننا في الأرض . وكما في (البرزخ) وكائناته الحية في وجوده الموازي لوجودنا والمغاير تمامًا لوجودنا . كما رأى من آيات الله في(معراجه) وآية التوحيد الكبرى ما هو من الحقيقة الفعلية المطلقة في سماوات ومقامات عوالم النور والروح والطاقة وكائناتها في ثبات يقيني بصحة الشهود والمشهود والرؤية والمرئي : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم:١٧] . في حضرة من الأمن ومن النور والسلام تؤكدها التحيات التي نقرأها في كل صلاة.

كذلك وكان محمد مبشرًا بنعيم مقيم في جنات ونذيرًا بعذاب أليم في نيران ، كما كان داعيًا إلى الله وصراطه المستقيم بإذنه وأمره ، سراجًا منيرًا بنور القرآن وهو الهَدى والهُدى الإلهي للإنسان والجان والفرقان بين الحق والباطل والبرهان بين الصحيح والخطأ منيرًا للإنسان الطريق المستقيم الذي لا إعوجاجات فيه تُخرج

الإنسان عن الحق والحقيقة ليتصل بالله حضورًا واستحضارًا بالذكر ومراقبة إحسانه (كأنك تراه) في معية ألوهية : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ومعية ربوبيته: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ ومعية هوية : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وهي المعية العامة لكل الناس . وكلها في تحققها الفعلي ودلالاتها ليست بالمكانية أو التحيز أو التشخيصية الاحتواء أو التحديد أو التجسد أو التشبيه أو الحلول أو مشابهة المحدثات والحوادث أو وحدة الوجود أو الاتحاد الذاتي ، تنزه الله العلى العظيم عن كل ذلك فالقرب منه سبحانه حال معنوي واستشعار روحي قلبي وعقلي وليس قرب مكاني وهو ما تحققه عبادة الصلاة كما شرعها لنا في أدائها محمد رسول الله ﷺ وما يقرأ بها من قرآن وحيث العبد المصلي أقرب ما يكون من ربه سبحانه وتعالى (وهو ساجد) كما حدَّث رسول الله ﷺ وذلك لأن في السجود خضوع كامل وتسليم كامل العبودية لله رب العالمين خضوع يشمل الجسد والدماغ بما فيها من المخ والأعصاب والعقل (مثل نور الله الذي جاء في الآية ٣٥ من سورة النور) للكل الإنساني بعبديته لله وعبوديته وعبودته وما يتواصل معهم من طاقة نورية (كهربية مغناطيسية) هي الشجرة المباركة الزيتونية في المثل المذكور في الآية .. والله أعلى وأعلم .

٠٠ قبس من صلاة النبي محمد ﷺ

في سورة الإسراء

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [الإسراء:٧٩] .

حديث في الخصوصيات الرسولية التي تشكل جزءًا من العلاقة بين الله ورسوله. العلاقة التي ينفرد بها هذا الرسول في قمتها السامية ولا يشاركه أو يدانيه أحد من الناس . ولا حتى الأنبياء والرسل السابقين . فالنافلة بالتهجد ، وهو الصلاة بعد فترة من النوم القصير في الليل ، خاصة بالرسول وحده . والصلاة في الليل نور يبدد ظلمات الليل الفيزيقي والليل المعنوي الذي يشمل كل أنواع الظلمة التي كانت تسود الأرض حين نزل هذا الخطاب الخاص إلى الرسول ، وهي بعينها – مع تغير تفرضه ظروف تعقيدات الحياة بفعل تطورها – الظلمات التي تعم الأرض اليوم كما في ذلك اليوم الذي نزل فيه هذا الحديث القرآني .

الرسول سراج منير . والقرآن نور . ولفظ (بِهِ) الذي جاء بعد التهجد مقصود به هذا القرآن الروحي النوري ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا ﴾ [الشورى]، فالسراج المنير بروحه وذاته يقف في حضرة الإله نور السماوات والأرض يقرأ آيات النور ، فيبدد هذا النور كل ظلام أو ظلمة من الجهل أو عدم المعرفة أو نقص المعلومات والحقائق عن الإلوهية في توحيدها وتنزيهها والعقائد

والمعتقدات بشأنها فيما يعتبر من أديان الإنسـان . ليشـرق الحـق بنـوره في الليـل الساجي بين الناس في حضرة القـرب في الصـلاة التـي فرضـت أصـلاً في حضـرة القرب في المعراج وكانت هي بعـد ذلـك وسـيلة المعـراج إلى حضـرة القـرب أو الصلة التي تقيم هذه الآصرة من القرب عـلى الـدوام في كـل لحظـة مـن لحظـات أنفاس هذا الرسول ﷺ . ولكل الناس الذين يؤدون هذه الصلاة .

والصلاة في المقام العادي وسيلة للقرب والعروج إلى حضرة الإلهية . وهي في هذا المقام بالذات الذي جاء به النص القرآني وسيلة لغاية أخـرى هـي فـوق هـذا القرب أو إن شئت قلت : من دواعيه وخواصه وضروراته ، هذه الغايـة هـي بلـوغ درجة من القرب يصفها القرآن بأنه المقام المحمود . والمقام المحمود مقام ينالـه فرد واحد هو الرسول الخاتم ﷺ يوم القيامة بعد البعث ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ فالرسول قد نال مقام القرب الأعظم في المعـراج وفيـه فرضـت الصـلاة وفيها تقرب واقتراب وقرب ، ومنهـا اسـتمر وجـود الرسـول في هـذا المقـام مـن القرب. ليظهر لكل الناس في مقامه المحمود واضحًا جليًـا يـوم القيامـة ويحمـده عليه كل الناس.

هذا في الصلاة العادية . أما في هذا التهجد الليلي الذي كلـف بـه الرسـول فـإن الأمر أمر حضرة أكثر قربًا يبعث عليها الرسول ويحيا فيها أو في ظلها يـوم القيامـة وهي حضرة «المقام المحمود» ، والذي قال فيه المفسرون الكثير مثل قـولهم إنـه الشفاعة ، وإنه المقام الذي يحمده فيه جميع خلق الله ... إلخ . وهـو مقـام يشـتمل على هذه المعاني وقد يشملها ويفوقها في القدر والطبيعة والحالة بما تسـتريح معـه روح الرسول ونفسه ويحمد فيه ربه على تميزه به ووجوده فيه ، سـر قولـه تعـالى في القـرآن العظـيم : ﴿ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴾ [الضـحى:٥] . إن حقيقـة هـذا المقـام المحمـود لا يعلمهـا إلا الله سـبحانه وتعـالى ورسـوله صـلوات الله عليـه وسلامه ، وهو ناتج عن تخلٍ وتحلٍ عظيمين حققهمـا الرسـول في تهجـده بالليـل

زيادة عن عروج القرب في الصلوات الأخرى وهو أمر اختص به الرسول . ويمكن أن نستشف جوانب من حقيقته باستيعابنا لصلاة الرسول التهجدية بالليل ؛ كيف كان يطيل فيها القيام وقراءة القرآن حتى تتورم قدماه ، وكيف كان يتخلى عن الخصائص الأرضية والدنيوية والأخروية على السواء ويتحلى باستشعار وجود الله في حضرة تكون فيها ذاته نورًا أو سراجًا منيرًا ، يتلو نور الله الموحي إليه من روح الله النوراني جبريل ، فلا تكون هناك ظلمة أو جهالة كما في ليل الدنيا وجهالتها ، وإنما نور على نور يبدد كافة أشكال ومراتب الظلمات في الأرض ويسمو بهذه الروح النورانية إلى آفاق في القرب فيها هي بلوغ هذا المقام المحمود . وإذا كان المقام المحمود هو الشفاعة ، فالمقصود عندئذ الشفاعة العامة الكبرى للرسول ﷺ . ذلك أن الله يأذن لمن يشاء بشفاعة جزئية كالذي نفهمه من آية سورة طه ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩].

وفي سورة المزمل

﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل:١-١٠] .

يروى المفسرون في سبب نزول بدايات هذه السورة – وبدايات السورة التي تليها ، سورة المدثر – روايتين :

الأولى : أنها نزلت بعد الجهر بالدعوة وإيذاء المشركين للنبي ﷺ واجتماعهم في دار الندوة يدبرون الكيد للرسول ودعوته ، الأمر الذي أقلق النبي فالتف في ثيابه وتزمل ونام مهمومًا .

الثانية : أنها أول ما نزل من القرآن بعد سورة العلق حين جاء جبريل بأول آيات التنزيل القرآني والرسول في غار حراء ثم فتر عنه الوحي مدة حتى كان بالجبل الذي فيه الغار مرة أخرى فنظر فإذا جبريل في السماء فأدركت الرسول منه رجفة وهوى إلى الأرض ورجع إلى أهله يرتجف ويقول : «زملوني.. دثروني..» ففعلوا .. وظل يرتجف مما به من رهبة المشهد وروعته فإذا جبريل يناديه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر:١].

ونحن نميل إلى ترجيح الرواية الأولى التي يتمشى ما روي عن سبب نزولها ، مع طبيعة السير التاريخي للأحداث ومعانيها . فقيام الرسول لنصف الليل ، أو ما ينقص أو يزيد . تاليًا للقرآن في صلاته الليلية يقتضي بالبداهة قرآنًا يتلى . فإذا أخذنا بما يروى في السبب الثاني فإنه يعني أنه لم يكن قد نزل في ذلك الوقت إلا آيات من سورة العلق أو آيات قليلة أخرى ، وهو الأمر الذي لا يتمشى مع طول القراءة التي كان يرتلها الرسول في صلاته الليلية بهذه المقادير الزمنية التي أوضحها القرآن من قيام الليل .

فالتفسير الأول يتمشى مع طبيعة الأمور والأحداث آنذاك . وذلك أن نداء القرآن للرسول بالمزمل والمدثر لم يكن يعني – في فهمنا والله أعلم – أن الرسول لم يكن يعلم تبعات الوحي الذي كان سينزل عليه ، وأن القرآن لذلك وجهه ليترك حياة الدعة والراحة والنوم إلى حياة الجد والجهاد نتيجة تزمله وتدثره بالثياب بعد نزول الوحي أول مرة ورؤيته ﷺ لجبريل في السماء ... نعم إن في القرآن توجيهًا بهذا المعنى للرسول ولكن من منطلق آخر غير منطلق هذا السبب الذي يروي أن آيات المزمل والمدثر نزلت بسببها (الرواية الثانية) . فنحن نعرف أ، الرسول ﷺ كان قد اعتاد حياة السهر والعبادة والتحنث والتفكر والجد والنظر الفكري ، وما يتصل بذلك من إرهاق جسماني ، أثناء فترة خلوته متحنثًا في غار حراء قبل الدعوة .. وأنه غالبًا ما كان يقضي شهرًا – يوافق شهر رمضان – من كل عام في هذه الخلوة الفكرية والتأملية ، والرياضة الروحية ، يعمل فكره في التأمل والسياحة الروحية حتى

صفا له وقته وفكره وقلبه متصلاً بـالكون وأسـراره ، والوجـود وغاياتـه، والكائنـات وإعجازها ، وحياة الناس التافهة في اهتماماتها وتعلقاتها ، وهو ينظر ﷺ في خلوته ، من منطلق شيء أسمى وأعلى وأعظم وأنفس وأهم وأخطر من المسائل التي كانت تشغل بال الناس ، وينشغل الناس بها انشغالاً يضلهم عن سر القوة العظمى الكامنة وراء هذا الوجود العظيم ، وآياته والغاية منه ومن وجودهم فيه .

لقد تعود الرسول حياة السهر والاجتهاد الفكري وتربية النفس ومشقة الجسد قبل الدعوة ، ولذلك فالأرجح عندنا أنه لما عـرف بالتـدبيرات الكيديـة العدائيـة للدعوة ولشخصه ولأوائل المؤمنين – والتي كانـت تـدبر في دار النـدوة والنتـائج الخطيرة التي كان يمكن أن تترتب عليها – وتزمل بثيابه أو تدثر ونام مهمومًا ، نزل القرآن ليقرر بشأن رياضته الروحية أمرًا فيه وصل حياة الرسول بما اعتاد عليه فعلاً في الطريق المحدد المرسوم للدين الجديد الذي بدأ الجهر به في مكة ومـا يقتضـيه من استعداد روحي ونفسي وبدني كبير . أمر الله الرسول من خلال عملية الإعـداد والاستعداد الروحي والنفسي والفكري والبدني ، أن يتدبر آيات القرآن ويتلوها في صلاته في أجزاء طويلـة مـن الليـل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾. حتى يستطيع أن يتحمل عبء القول الثقيل في معناه وفي تبعاتـه ومسـئولياته ، وفي تطبيقاته الفردية والاجتماعية على السـواء ، ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾. أي أن ساعات الليل وأوقاته التي فيها التفرغ والصفاء والخلوة مـع كـلام الله هـي أكثر ثقلاً في الميزان الروحي والصلة بالله تبارك وتعالى ، وأكثر إنتاجًا للأثر المرجو من صلاة الليل ، وهي لذلك أيضًا ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ ، أي يرتقي خلالها الفكر ويتركـز فيها الذهن ويصفو العقل على تدبر معاني الآيات المتلوة في هذا الوقت مـن صـفاء الليل حيث تسكن النفس إلى بارئها ، وتسكن بكلام بارئهـا إلى استحضـار القـرب من مقامه العظيم ومن حيث تلاوة كلامه الذي يكون تأثيره التأملي أكبر على العقـل

الحاضر المتدبر لمعاني هذا الكلام القرآني المتلو في الصلاة والمشهود في واقع الوجود والحياة .

لقد انبلج النور بنزول آيات القرآن ، على رسول الله وبها ظهر الحق ، وتحدد الطريق ، وبرزت الغاية ، وعمر البيت بذكر الله ، ورفع السقف الحاجب عن الاتصال بالله ، وكشف الغطاء الحاجب عن رؤية قيومية الله ، واتصلت روح الرسول بروح القرآن المبلغ بواسطة الروح الأمين ، وجاء البيان يوضح للرسول أنه اختير لأداء أخطر رسالة عرفها الإنسان في حياته وحتى تقوم ساعة حساب الناس . اختير الرسول ﷺ لتلقي كلام الحق روحًا من أمر الله ، قرآنًا عظيمًا في بيان الحق والحقيقة ، هو الكلمة الإلهية الأخرة يحملها آخر مصطفى قبل اليوم الآخر، المصطفى الذي أعده ربه إعدادًا كاملاً لتلقي الوحي وإبلاغه كما نزل وكان قيام الليل عاملاً مساعدًا في هذا الإعداد . أما النهار ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾ ، والسبح – في اللغة – هو الطفو على سطح الماء ، والمقصود هو الاتصال بسطح الحياة الدنيا دون الانغماس في عمقها ومشاغلها في النهار وهو وقت الجد والعمل للدنيا أساسًا كقاعدة عامة . وبذلك لا يتعمق الرسول في أمور الدنيا ويغطس في بحرها فتشغله شئونها عن شئون ذكر الله وتسبيحه والاتجاه إليه بالكلية ، وهو التبتل المطلوب من الرسول لاستمرار مستواه الروحي كمصطفى قائم بتلقي وتبليغ كلام الله القرآني ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ ، لأن الاسم «الله» دال على الربوبية وعلى الإلوهية وعلى الذات الإلهية ، والذي ليس كمثله شيء في كل شيء . وهو ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾ ، هو رب هذا الكون وكائناته ، إله واحد لا شريك له ، فلا تخف – يا محمد – من كيد الكائدين لك أو للدعوة التي تدعو بها فإن وكيلك ووليك وحافظك وحافظ الذكر القرآني الذي نزل إليك ، هو الله سبحانه وتعالى الذي يتصرف في أمور الأحداث المتصلة بهذا الدين وبالمؤمنين به . ويمكر الكافرون بك وبالدعوة وبالمؤمنين ، ويمكر الله بالكافرين والله خير

الماكرين .. أما أنت أيها المزمل فأسلوبك الحالي في مواجهة هؤلاء الذين يكيدون لك وللدعوة ، هو الصبر الجميل والهجر الجميل حتى يتم الله أمر هذا الدين ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾ ، وفي نهاية سورة المزمل يقرر القرآن ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

إن الله يعلم أن الرسول ﷺ يقوم مع بعض أصحابه للتهجد والعبادة أقل من ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه . والله المتصرف في شئون الخلق ليلاً ونهارًا عنده تقدير الزمان وتقدير الأفعال في الزمان من حيث لا تأخذه سنة ولا نوم ، ومن حيث هو الحي القيوم ، ويعلم أن أصحاب الرسول لن يطيقوا قيام الليل كله أو معظمه، أو ربما يطيقونه هم لكن لا يطيقه الذين من بعدهم لاعتبارات كثيرة ضرب القرآن أمثلة لها فقط ، ولذلك خفف عنهم لاعتبارات تتصل بالطبيعة البشرية أحيانًا ، ولأسباب تتصل أحيانًا أخرى بطبيعة الحياة ومشاغلها ، وبالدعوة ومقتضياتها وأعبائها وأحداثها المحلية والعالمية ... والأمر المهم هو التمسك بالفرائض التي لا قوام أو قيام للنفس العالية ذات الهمة والعزم إلا بأدائها ، والتمسك بالتكاليف الأخرى الواجبة ، كالزكاة ، وغير الواجبة ، وإنما تتصل بقوة عقيدة وانتماء الأفراد للدعوة وللمجتمع ، كإقراض الله قرضًا حسنًا ، أي المساهمة المالية في شئون التكافل الاجتماعي . والنتيجة في كل ذلك تعود في حقيقة الأمر على النفس البشرية ذاتها ، لأن الله غني عن العالمين ، لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية ، وإنما العائد هو للإنسان من أجل سعادته في الحياة الدنيا ، ونجاته في الحياة الآخرة.

وكانت عبادات النبي ﷺ دائمة مستمرة متواصلة في الليل والنهار ، سئلت

السيدة عائشة ل : كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يخص شيئًا من الأيام – أي ويترك العمل في أيام – فقالت : لا ، كان عمله ديمة ، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع[1]؟!

ولم يدع رسول الله ﷺ نوافله وتطوعاته طيلة عمره كما جاء عن أم سلمة ، قالت : ومات رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صلاته – أي التطوع – وهو جالس وكان أحب العمل إليه ما داوم عليه العبد وإن كان شيئًا يسيرًا [2].

وكان له ﷺ أكمل ذوق الحلاوة في العبادة وألذ راحة ونعيم بها . وقد كان يقول ﷺ : قم يا بلال أرحنا بالصلاة [3]. ويقول ﷺ : وجعلت قرة عيني في الصلاة[4].

وكان منهاجه ﷺ في العبادة : أنه إذا عمل عملاً أثبته وداوم عليه . كما جاء عن عائشة ل أن رسول الله ﷺ قال : أُكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل ، وكان ﷺ إذا عمل عملاً أثبته[5].

وكان ﷺ يواظب على قيام الليل ، وكان أغلب قيامه لصلاة الليل في أول النصف الثاني من الليل ، تقول السيدة عائشة ، كان ينام أول الليل ويحيي آخره [6].

وكان ﷺ يكثر من التسبيح في الليل والنهار ، يقول ربيعة بن كعب كنت أخدمه

(١) رواه أبو داود .

(٢) رواه ابن حيان في صحيحه .

(٣) رواه أحمد وغيره .

(٤) رواه أحمد وغيره .

(٥) رواه أبو داود .

(٦) رواه الشيخان.

نهاري ، فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله ﷺ فبت عنده فلا أزال أسمعه يقول سبحان الله سبحان ربي ، حتى تغلبني عيني فأنام [١] .

وكان ﷺ يكثر من الاستغفار في الليل والنهار في الصلوات ووراء الصلوات وفي سائر مجالسه وأحواله ، ويقول : والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة [٢] .

وكان ﷺ يواظب على صلاة الضحى ، وكان تارة يصليها ركعتين وهو أقلها ، وتارة أربعًا وهو الأغلب ، وتارة ستًا ، وتارة ثمانية ، وتارة اثنتى عشرة ركعة وذلك أفضلها وأكثرها .

وكان إذا صلى الفجر تربع في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس [٣]، وكانت له نوافل مطلقة بعد المغرب ، فتارة يصلي من بعد المغرب إلى العشاء [٤]، وتارة يصلي بعد المغرب ست ركعات ويقول : إن من واظب عليها غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر [٥]، ويقول : من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة [٦] .

والمعية التي حدَّث بها النبي محمد الصديق أبي بكر وهما في الغار هي (معية الإلوهية) وهي أعلى وأسمى وأكبر وأشمل مستويات ومقامات المعية والوجود فيها . وقد كان النبي محمد متحققًا بها ومستشعرًا لها ومنعمًا ومحتميًا بحماها

(١) رواه الطبراني .
(٢) رواه البخاري .
(٣) رواه مسلم .
(٤) قال المنذري رواه النسائي بإسناد جيد .
(٥) رواه الطبراني .
(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وقال غريب ، انظر الترغيب .

ومشمولاً بحمايتها وموصوفًا بعصمتها ومحاطًا بأعينها وعيـون عنايتهـا ومحـيط رعايتها وأقدار حفظها وقضاء الله حفيظها ... إلخ .

وفي إطار هـذه المعيـة الإلهيـة للنبـي محمـد كانـت كـل عوامـل وموجبـات (العصمة) التي يقول عنها رب العزة تبارك وتعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة:٦٧] من أهل الشر كلهم ومن شرهم وكيـدهم ومكـرهم أيًـا كانت دياناتهم أو عقائدهم فكلهم داخلون في قوله تعالى (الناس) الذين يعصـم الله بمعيته نبيه منهم ومن شرهم وضررهم ومكرهم وكيدهم ولـذلك يقـول الله تعـالى أيضًا لنبيـه محمـد : ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠] فمعية الله وحفظـه لرسـوله أفشـلت كل تخطيطات ومؤامرات ومكائد ومحاولات المكر والإضرار به ﷺ وحتى قتلـه أن الله تعالى ينصر رسله والذين آمنـوا في الحيـاة الـدنيا ويـوم يقـوم الأشـهاد كمـا تخبرنا الآية ٥١ من سورة غافر في القرآن العظيم .

فالصلاة تحقق معية وسعة وإحاطة وقرب وتبرز مشمول علـم الله بكـل شـيء فيما يظهر أو يخفى وبكل الأحداث والشئون والأفعـال والأعمـال والتحركـات والتغيرات في عالمي الشهادة والغيب ، في تفصيلاتها في جزئياتها ودقائقها وكلياتهـا صغيرها وكبيرها مع وجود الله الواجب الوجود الذي يرى ويسـمع : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:٤٦] لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يخفى عليه شـيء في الأرض ولا في السماء ، وقد تقترن المعية بالمحبوبيـة أي حـب الله للعبـد كمـا كان أمر محمد صلوات الله وسلامه عليه وفيها يتحقق الإنسان العبد العابـد لربـه بما يصفه الحديث القدسي عن التقـرب إلى الله والقـرب منـه والحـب «**ولا يـزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سـألني لأعطينـه وإن**

استغاثني لأغيثنه... » الحديث .

وفي المعية والمحبوبية أسرار ومكاشفات وحالات ومشاعر وأحاسيس نابعة من القلوب التي تفقه والعقول التي تعرف والنفوس المُلهمة تقواها ، لا يعلمها إلا أصحابها المتحققين بها لا يدركها غيرهم أو يطلع على أسرارها غيرهم . إن طاقات الإنسان تعتبر ناتجًا من نتاج (العقل) النابع من (الروح) وهي طاقة من الاسم (النور) وطاقته التي نفخ الله منها في الإنسان بعد أن خلقه وسواه وعدله وهيأه وركبه في الصورة التي أراد بما في ذلك المخ والجهاز العصبي المركزي بكل وظائفه وسيظل هذا الإنسان يزداد علمًا ومعرفة بتطبيقاته التكنولوجية في المجالات الممكنة والمتاحة له ، المادية الطبيعية الفيزيقية بصورة كبيرة ، والنفسية بصورة أقل ، والعقلية بصورة أقل بكثير ، والروحية بالقليل من العلم المتوفر له في هذا المجال ، الذي يقول فيه القرآن الكريم ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] لقد استطاع الإنسان أن يعمل بالعلم المادي الفيزيقي وتطبيقاته الكثير من الأعمال المعجزة والخارقة والتركيبات الآلية المذهلة يستعملها ويستغلها بالموجود والمتاح من الخامات والمواد الأولية والأسباب وغيرها في الشر كما في الخير وفي الإضرار كما في النفع وفي الإفساد كما في الإصلاح ومفتقرًا إلى توجيه القيم الأخلاقية الدينية .

ومن هنا انتهت ببعثة محمد ﷺ وخاتم النبيين أزمنة المعجزات الحسية والمادية الخارقة للطبيعة وقوانينها للرسل والأنبياء السابقين ليؤمن بها ويتأثر بها من رأوها ، لقد أرسل الله محمدًا مُعلمًا للإنسانية ومهذبًا لأخلاق الناس ومتممًا لمكارم الأخلاق التي دعا إليها موسى وعيسى عليهما السلام برسالة معرفية علمية قوامها وقيامها (القرآن) المعجزة المعرفية والعلمية المحفوظة والخالدة

التي تتزود من آياتها ومعانيها في تأويلها وبيانها للحقائق في الآفاق والأنفس وفي معارفها وأحكامها في فحواها ومقاصدها وفي شرعتها ومنهاجها ، الإنسانية جمعاء في كل مكان وكل زمان من أزمنة عصورها في وجودها في هذا الكوكب أو في غيره متى خلصت وصدقت النوايا عند كل إنسان لا يتبع هواه أو أهواؤه أو معتقداته الدينية الموروثة من إملاء المتبوعين في الأزمنة المختلفة من الرؤساء الدينيين ، ولو كانت قاصرة في معلومها أو مُحرفة في مضمونها أو بعيدة عن الحق والحقيقة في دلالاتها أو بها من الأساطير والخرافات ما يرفضه العقل ويناقضه العلم اليقيني إنسان لا يبغى إلا الحق والحقيقة ، والمعرفة بما يسعده ويحييه حياة طيبة مادية وروحية ، قيمية وأخلاقية ، نفسية وعقلية ، فردية وأسرية ومجتمعية ودولية .

لقد كان محمد بشرًا رسولاً يوحي إليه من ربه في بشريته وسراجيته المنيرة وكان معه (القرآن) نور وروح وطاقة يتلقاه ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ [النمل:٦] ، وهو دعوة وحجة وشرعة ومنهاج وأحكام وأخلاق ودين ودولة ودنيا وأخرى ﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]، وقد خاطب محمد صلوات الله وسلامه عليه الإنسانية جمعاء بما أعذر الله به الإنسان تحسبًا لوجوده الأخروي وما فيه ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء:١٥] وقوله : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت:٤٦] .

كما خاطب سبحانه وتعالى رسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [هود:١٢١-١٢٢] أي مجيء ساعة القيامة عندما يصل الإنسان إلى المستوى الذي يتحدث عنه ويصفه القرآن الكريم في قوله : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ

نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٢٤] وهي مؤشرات لنهاية التاريخ ونهاية الوجود الإنساني وحضارته في الأرض .

إن ما ذكرناه عن معجزة (القرآن) لا ينفي إن كان لمحمد ﷺ كثير من المعجزات والخوارق الحسية والمادية التي تضمنتها سيرته وأحداثها وأثبتها الثقات ووثقوها وحققوها بطريق التواتر .

إن طبيعة محمد ﷺ في حياته في الأرض كانت تغاير في القدرات الروحية طبيعة بشرية الإنسان العادي وتعلو عليها كثيرًا ، وهناك في سيرته وأحداثها أمثلة كثيرة على ذلك أذكر منها على سبيل المثال فقط لا الحصر ، مواصلة النبي للصوم ونهيه المسلمين عن ذلك مفسرًا الأمر بما روته لنا كتب السنة عن السيدة عائشة أم المؤمنين ل من قوله ﷺ : «إني ليست كهيئتكم إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني» وما روي عنه في النوم : «إن العينان تنامان والقلب لا ينام» ، وهي حالة للرسول صارت له بعد البعثة ونزول الوحي بالقرآن وتعني تطورًا في مستوى حياة الرسول الروحية وتشير إلى نوع من الوعي والإدراك يتعدى الحواس (العينان تنامان) ليظل الوعي خارجهما أو زائدًا عنهما ، يعمل (والقلب لا ينام) أي العقل وهو ما يُعرف حاليًا بالإدراك الزائد على الحواس Extra Sensory Perception.

كما كان ﷺ يرى من خلفه في الصلاة وروي ذلك عن أبي هريرة كما قال أنس بن مالك : كان رسول الله يُقبل علينا بوجهه قبل أن يُكبر فيقول : «تراصوا واعتدلوا فإني أراكم من وراء ظهري» [(١)]. كما روت السيدة عائشة أنه كان يرى في الظلام كما يرى في النور، ورأى روح القدس (الروح الأمين جبريل) وهو خلق النور في هيئته الطاقية النورية الشاملة سادًا بين الأفق بمئات الأجنحة، ورآه مجسدًا أيضًا في هيئة بشرية هي هيئة دحيه الكلبي وقد كان يسأل النبي عن الإسلام

(١) رواه الإمامان البخاري ومسلم وروي مثله أحمد والترمذي .

والإحسان وموعد الساعة دون أن يعرفه الصحابة الموجودين . كذلك أخبر النبي أصحابًا له بأحداث تحدث في المستقبل الغائب عنه وعنهم وقد ذكر القرآن العظيم بعضًا من ذلك كما في : ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾ [الروم] ، وعن فتح مصر : «فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحم أو قال : ذمة وصهر . وما رواه أبو بكر من قول النبي عن الحسن بن علي : «أن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» [١]، وعن أنس بن مالك أن النبي نعى جعفرًا وزيدًا قبل أن يجيء خبرهما وعيناه تذرفان[٢] . كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه عن أشراط الساعة وعن أوضاع المسلمين في عصور وأزمنة تقدم عليهم في الدنيا كقوله : «توشك أن تتكالب عليكم الأمم كما تتكالب الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال : لا بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل وقد أصابكم الوهن.. قالوا وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت..» الحديث .

وقوله ﷺ : «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء» . وغريبًا من الغُربة .. وغير ذلك كثير ومشهور ومعروف ، وموثق .

وكان النبي متمتعًا بظواهر من الإدراك الزائد على الحواس (Extra Sensory Perception – E.S.P) كما في الجلاء البصري الذي تحقق به بعد الإسراء وعودته إلى مكة وشرحه لأوصاف وتفاصيل بيت المقدس .

والكثير غير ذلك مما لن تذكره كله هنا حتى لا يطول بنا الكلام وإنما نذكر أمثلة بسيطة فقط منه .

فقد روي محمد بن حاطب عن أمه أم جميل بنت المحلل قال : كنت طفلاً

(١) رواح أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم في صحيحه .

(٢) رواه البخاري وأحمد والحاكم في المستدرك .

فانصب القدر من على النار عليَّ فاحترق جلدي فحملتني أمي إلى النبي ﷺ وقالت: هذا ابن حاطب احترق كما ترى ، فتفل النبي جلدي ومسح بيده على المحترق وقال : «**اذهب البأس رب الناس**» . فصرت صحيحًا لا بأس بي .

كذلك فجَّر الله من بين صوابعه الماء عيونًا وقد حدث ذلك عدة مرات كما روي الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما وحدَّث به جابر بن عبد الله وأنس أيضًا . وكان مرة بالزوراء وهو مكان عند السوق بالمدينة المنورة هذا ولما أراد أبو جهل أن يرميه ﷺ بالحجر وهو بجوار الكعبة يصلي رأي على كتفيه ثعبانين فانصرف مرعوبًا .

كما كان ﷺ حين مسح الشاة الجدباء درَّت لبنًا وقد حصل ذلك عند أم معبد الخزاعية حيث دعا النبي بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : «اللهم بارك لها في شاتها» . فدرَّت لبنا ولما جاء زوج أم معبد عرف أن الأمر أمر النبي الذي بعثه الله من قريش في مكة .

وكذلك ظهرت بركة النبي وكراماته على مرضعته حليمة السعدية في كل شيء ، ظهرت في إدرار ثديها وغزارة حليبها الذي كان لا يكفي ولدها وظهرت في سكون ولدها الطفل وقد كان كثير البكاء مزعجًا لأمه يؤرقها ويمنعها من النوم فإذا هو شبعان ساكن جعل أمه تنام وتستريح وظهرت في شياههم العجفاوات التي لا تُدر شيئًا فإذا بها تفيض من اللبن الكثير الذي لم يعهد من قبل .

وروي جابر عن أخبار الشاة المسمومة التي سممتها اليهودية من خيبر وبعد أن أكل النبي ﷺ قال لأصحابه «إرفعوا أيديكم» وأخبر اليهودية كذلك وقد دعاها فحضرت ، وأخبرها أن ذراع الشاة التي في يده أخبرته أنها مسمومة ولم يضره ذلك وقد عفا عن اليهودية ولم يعاقبها ، وهو الأرجح وإن قيل في بعض المراجع أنه أمر بقتل اليهودية قصاصًا لمقتل بشر بن البراء الذي مات مسمومًا من أكل من الشاة .

وكذلك شفا النبي امرأة معاذ بن عفراء من البرص ، وحين سقطت حدقة قتادة (أي عينه) يوم أحد رفعها النبي وردَّها إلى مكانها . وأيضًا حنين جذع النخلة إليه وهو مشهور ومتواتر وأخرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعفه عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعائشة وابن بريدة وغيرهم .

ثم تسبيح الحصى في يده وهو ما سمعه صحابته ومنهم عمر بن الخطاب ونبوءته بأن كلاب الحوأب ستنبح عائشة أم المؤمنين في المستقبل ... إلخ .

ولما كان أبو جهل قد عزم على قتل النبي فقد حدَّث قومه بذلك بأنه سيحمل حجرًا مما يطيق حمله يضرب به النبي ﷺ حين يسجد في صلاته . ولما أصبح أبو جهل أخذ حجرًا كما وصف لقومه ثم جلس لرسول الله ينتظره . وإذا برسول الله ﷺ كما كان يغدو وقام يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل . فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل للحجر ثم اقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا ومرعوبًا فقام إليه رجال قريش وسألوه ما باله فقال : «قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة (أي ضربه بالحجر) فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت قبل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهمَّ بي أن يأكلني» . وقال ابن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : «ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه»[1] .

وفي معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون انقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن الأسدي فأتى رسول الله ﷺ فأعطاه جذلاً من حطب وقال : «قاتل فعاد سيفًا في يده طويل القامة شديد المتن أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى للمسلمين وكان ذلك السيف يُسمى (الفوق) ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد

(١) سيرة ابن هشام ، الجزء الأول .

حتى قُتل في حروب الردة وهو عنده .

ومن معجزات الرسول أن الشيطان لا يتمثل بصورته (من رآني في المنام فقد رآني حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بي) وكان يرى في الظلمة كما يرى في الضوء (كما حدثت السيدة عائشة أم المؤمنين) ولم يكن له ظل (كما روي الصحابي أبو هريرة).

وأحب أن أضيف إلى هذه الأمثلة من معجزات رسول الله ﷺ معجزة نجاته من مكيدة الكفار بقتله يوم الهجرة وهم واقفون حول باب بيته وقد فشلوا فشلاً ذريعًا فخرج رسول الله ﷺ من البيت واخترق صفوفهم وأخذ حفنة من تراب فجعل يذروه على رؤوسهم وهو يتلو الآية : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:٩] وقد طمس الله على أبصارهم فلم يروه عند خروجه ذاهبًا إلى بيت الصديق أبي بكر .

ومعجزة كشفه لسر عمير بن وهب الجمحي الذي كان أسَّر به لصفوان بن أمية في حجر الكعبة وهما وحدهما تمامًا وهو عزمه على قتل النبي . ولما واجه عمير النبي في المدينة وقد ذهب إليها لتنفيذ جريمته وواجهه النبي وأخبره بما حصل بينه وبني صفوان بن أمية في الحجر عند الكعبة وذكر له أن صفوان تحمل دينك وعيالك على أن تقتلني والله حائل بينك وبين ذلك، وعندها شهد عمير أن محمد رسول الله لأنه ﷺ أخبره بما حصل بينه وبين صفوان في خلوتهما التي لم يحضرها أحد وأيقن أن ما أعلمه إلا الله ، فشهد له بالرسالة (وقد أمر النبي فأفرج عن وهب بن عمير الذي كان أسيرًا عند المسلمين في المدينة بعد موقعة بدر) .

هذه كلها أمثلة فقط وليست على سبيل الحصر من المعجزات الباهرة الخارقة للعادة الموثقة والمروية من الرواة الثقات وروت كلها بطريق التواتر والصحيح وفي الأحاديث الصحيحة لم يشكك فيها أو ينكرها أحد عبر الأجيال والعصور لا

من أهل السير أو الآثار أو التاريخ أو أخبار وأحداث ومعجزات الأنبياء والرسل المتبعين بالتحقيق والتدقيق لها أو لكرامات الصالحين أو غيرهم وسواء من جانب المؤمنين أو غير المؤمنين بالنبي محمد خاتم رسل الله ﷺ.

معجزة الإسراء

وأخيرًا أحب أن أبين باختصار بعض معالم وحقائق معجزة إسراء النبي محمد والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى صراحة في القرآن العظيم في مطلع سورة الإسراء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء:١].

إن الإسراء هو ظاهرة نادرة من ظواهر الانتقال بالجسدين معًا (الروحي) و(الفيزيائي) والتي يصفها المشتغلون بالروحية الحديثة بأنها تمثل ظواهر مركبة من الانتقال أو الارتفاع التلقائي، وهي تعني في النهاية الانتقال بالجسد والروح معًا، ويسمون ذلك: (Transportation).

إننا يمكننا اعتبار العلم الروحي الحديث طورًا جديدًا من العلم الإنساني في الروح، طابعه الوصف الوضعي المتصل بالتجربة غير العادية. وذلك لم يتسنَّ للعلماء والفلاسفة القدماء حيث لم يكن العلم الحديث قد تبلور في أزمنتهم مثلما تبلور في القرنين الأخيرين وبما يعني أن الروحية الحديثة والبارسيكولوجي أصبحت أكثر إقناعًا من مراحل العلم الروحي وأطواره وميادينه القديمة لما يشتملان عليه من بنيان علمي متماسك يميز التطورات الحديثة في العلوم الأخرى بالمقارنة مع أطوارها القديمة. لقد ساعد العلم، الإنسان على تقدمه المستمر في كافة مناحي الحياة ومن ثم لا يجب أن يتباطأ الإنسان في فهم تكوينه النفسي والعقلي والروحي. إن التقدم هو سنة قوانين التطور ومن ثم فإننا نؤمن بتقدم واضح في نواحي العلوم كلها – رغم استمرار اتساع دائرة المجهول لنا – كما

نـؤمن بتقـدم مماثـل في الأبحـاث الروحيـة وأبحـاث مـا وراء الطبيعـة والباراسيكولوجي .

فقد ألقى العلم بعض الأضواء على حقـائق العـالم الآخـر التـي يتحـدث عنهـا القرآن حديثًا علميًا هو قمة في المستوى والمحتوى العلمي والمعرفي ذاته وإن كان لا يزال يحتاج إلى التفسير والاستيعاب والتأويل والفهم والتدبر من جانب الإنسان المؤمن ولعل طوائف العلماء من المؤمنين سـيمكنهم في القريـب كشـف أسـرار العالم الروحي عن طريق البحوث والدراسات والتجارب العلمية حتى يتبين لكـل الناس أن القرآن العظيم هو الحق من رب العالمين والذي أوحاه إلى خاتم الأنبيـاء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

إن الطرح بالروح والجسد يحدث للبشر داخل دائرة السرعة العادية في الزمـان العادي أي في أقل من سرعة الضوء ولكن إسراء النبي صـلوات الله وسـلامه عليـه كان خارج دائرة السرعة العادية والزمان العادي وبسرعة الضوء أو ما يزيـد عليهـا حيث البراق = البرق = الضوء [1] .

وهذا هو الفارق الأساسي بين الطرح الذي يمارسه البشر العاديين وبين طـرح أي إسراء النبي محمد ﷺ الذي جمع معه حضـرته بـين الـوعي والإدراك الحسـي وبين الوعي والإدراك الزائد على الحـواس (E.S.P) كمـا تجـلى مـثلاً في مشـاهد النبي لأحوال أهل البـرزخ وغيرهـا مـن المشـاهد وكمـا في تحققـه ﷺ بـالجلاء البصري الذي وصف عبره تفاصيل المسجد الأقصى بعـد عودتـه مـن إسـرائه إلى مكة .

إن الطاقة الروحية النابعة من النفحة الربانية الروحية ، وسواء كانـت متواصـلة

(١) كما نستشف من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وكما أخبرنـا الأسـتاذ الـدكتور محمـد فتحي الزيات أستاذ الرياضيات بكلية المعلمين في حائل بالمملكة العربية السعودية .

مع وسائط في الإنسان كالمخ أو القلب أو الجهاز العصبي المركزي... إلخ ، لا زالت يحوطها الجهل الإنساني بها والغموض بشأنها لأن علم الإنسان بها لا يزال في دائرة «القليل» . ولن يتأتى للعلماء أن يفسروا إسراء النبي ﷺ إلا عندما تتطور العلوم وترتقي المعلومات المادية والروحية وتزداد ، في تناسق وتكامل بينهما . وما ذكرناه عن الإسراء ليس إلا على قدر فهمنا وعلمنا الضئيل ويحتاج دائمًا إلى الزيادة بالتصحيح أو الإضافة مع تطوير وترقي العلوم المادية واللامادية (الروحية) حتى يتبين الصواب والحق فيه.

ويجب أن نلاحظ أن إسراء النبي محمد ﷺ كان بقدرة الله سبحانه وتعالى وليس بقدرة بشرية كما يحصل لغيره من البشر ، حيث صحبه روح القدس فيه . وقد حصل للنبي خلال الإسراء من المشاهد والوقائع ما لم يحصل لغيره من البشر أو الأنبياء أو الرسل ، كما أنه ﷺ أَمَّ الأنبياء في الصلاة في بيت المقدس ، كما اطلع على الموجودين في حياة البرزخ وأحوالهم بين النعيم والعذاب والبرزخ وجود حياتي موازي لوجودنا في كوننا ولكنه مختلف ومغاير في قوانينه وأبعاده ويمثل حاجزًا بين الحياتين الدنيوية والأخروية وله قوانينه الخاصة لم يخترقه ويطلع عليه في واقعه وأحداث فيه أي نبي أو رسول وأي إنسان غير محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ثم حين راح يصف بيت المقدس للكفار بعد عودته إلى مكة ، بقدراته التي منحها الله له في الجلاء البصري وهو من الظواهر التي تفسر الإدراك الحسي الزائد أو الإدراك الزائد على الحواس الذي كان يتحلى ويتميز به النبي (محمد) ﷺ Extra Sensory Perception (E.S.p).

وإذا كان الطرح أو الإسراء لا يحتاج إلى وسيلة خارجية للانتقال فغالبًا ما يكون (البراق) الذي أشارت إليه الأحاديث المروية عن النبي (محمد) ليست إلا رمزًا عبَّر به النبي لقومه آنذاك بما يستطيعون أن يفهموه ويستوعبوه عن كيفية

الانتقال التي كانت تستغرق منهم في ذلك الوقت أيامًا عديدة يستعملون فيها وسائل انتقالهم المعروفة المتاحة لهم وهي الإبل والخيل والحمير والبغال ... ومن هنا نقول إن إشارة النبي إلى البراق وأوصافه تتمشى مع هذه المفاهيم والمعارف وإن كانت في حقيقة الأمر تشير إلى سرعة خارقة تم بها الإسراء هي سرعة البراق أي البرق أي الضوء أو ربما ما هو أكبر من هذه السرعة والله أعلم .

إن الطرح الروحي أو الطرح الجسدي أو الطرح الروحي الجسدي لا يحتاج إلى وسيلة انتقال مادية خارجية ولذلك فقد نسب الله سبحانه وتعالى الإسراء المحمدي (الطرح) إلى نفسه في نزاهته فقال (سبحان الذي أسرى) وكما له وعظمته وقدرته في علو قدره ولم ترد في القرآن الكريم الذي ذكر صراحة معجزة الإسراء أي إشارة إلى وسيلة انتقال مادية خارجية نقلت النبي ومعه روح القدس جبريل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، والقرآن كما نعلم كلنا هو الكتاب الذي يُرَدُّ إليه كل علم وكل معلوم وكل حديث .

فقد كان إسراء النبي في عبديته بروحه وجسده دون واسطة مادية وعلى ذلك يكون ما جاء في الأحاديث التي رواها الثقات رضي الله عنهم جميعًا متعلقًا بالبراق هو تفسير بسيط وتوضيح رمزي قابل للفهم من جانب العرب في ذلك الوقت حدَّث به النبي ﷺ على قدر فهمهم وتقبلهم للكيفية التي تم بها الانتقال من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهي المسافة التي كانوا يقطعونها في وقت طويل بوسائلهم في الانتقال التي ذكرناها ولم يكونوا يعلمون شيئًا عن الإسراء أو الطرح وكيفيته .

لقد كان الهدف من تجربة الإسراء التي تمت بالروح والجسد ، أن يرى النبي ﷺ آيات من آيات ربه ليطمئن قلبه ويتحقق بالعلم والمعرفة وبالحقائق الكونية والقدرات الروحية التي تعلو قدرات الجسد الطبيعي للإنسان بل قد تحمله إلى أبعاد

أخرى غير الأبعاد التي يعرفها العلماء في الكون الطبيعي فضلاً عن قدرة الله التي لا حدود لها وهو الواحد الأحد الذي يملك هذه القدرة التي لا يدانيه فيها أحد غيره في تنزهه عن المكان والزمان، ومشابهة المحدثات وتقييده بأي قيود وأبعاد.

لقد انتقل النبي ﷺ بجسده وروحه في تجربة الإسراء ويدل على ذلك قول الله تعالى في سورة الإسراء ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] . أي النبي كان في كامل إدراك حواسه ووعيه العقلي الجسدي ووعيه الروحي في نفس الوقت متمتعًا بحاستي السمع والبصر، ولفظ (عبده) الذي جاء في الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ يدل على ذلك .

أما تعبير (ليلاً) فغالبًا ما يكون المقصود منه ظلمة الحقائق الغيبية التي تغيب عن عقل البشر العادي وهو في حالته البشرية العادية الطبيعية في الدنيا والتي تعني أن هذه الحقائق آيات من الغيب خافية عنا لا نعلمها أو نعرفها منها ما هو روحي ومنها ما هو مادي ونحن لا ندركها كما لا ندرك عماء ظلمة الليل التي لا يخاللها الضوء الذي به يكون الإبصار والرؤية والمعرفة . وآيات لا يطلع عليها إلا صاحب التجربة نفسه، قد يبوح وقد لا يبوح بها، يكتسب بها علوم ومعارف جديدة غير تلك التي يعرفها البشر والعلماء منهم من حقائق هذا الكون وحقائق قدرات الإنسان الجسدية والعقلية والنفسية والروحية وإمكاناتها . وإذا كان النبي ﷺ قد انتقل في إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فإن الانتقال بالجسدين المادي والروحي هو عملية ثابتة الآن عند الروحيين وتعرف بـ(Transportation). وقال بها مثلاً موريس شيريل في كتابه «أضواء علمية على العالم الآخر» .

السرعة في الإسراء

الإسراء انتقال لعبد الله ورسوله الخاتم بجسده وروحه وقد أكَّد الأستاذ

الدكتور محمد فتحي الزيات[1] أن الإسراء تم بسرعة الضوء ، وذلك بعدة معادلات رياضية أجراها انتهى فيها إلى أن الزمن في الإسراء كان صفرًا والمسافة كانت صفرًا بخرق لقوانين الزمن والمسافة المعروفة للعلماء ، وبجسد النبي الطبيعي وروحه . يقول الأستاذ الدكتور محمد فتحي الزيات : «إن رسول الله ﷺ قد اسري به بأنه ركب البراق ، والبراق يشير اشتقاقه لغويًا إلى البرق ، والبرق يتحرك بسرعة الضوء وتم ذلك والجسم في حالته المعتادة بعد أن تم تهيئته من قبل الله سبحانه وتعالى لتحمل تلك السرعة الخارقة» .

ويستطرد الدكتور الزيات : «إن حقيقة هذه الرحلة وتلك المعجزة مرتبط بإدراك العقل الإنساني لحقيقة المادة والطاقة والزمن ، وهذا قد يأتي بتفسير رحلة الإسراء وما هو الناموس الذي خرق في هذه الرحلة . ونعلم أن فوق القانون خالق القانون الذي يستطيع أن يجعل القانون يعمل ويستطيع أن يجعل القانون لا يعمل. فجاءت المعجزات التي حدثت للرسل خرق للنواميس والقوانين الفيزيائية الطبيعية الأرضية . ومعجزة الإسراء هي خرق لقانون الزمن والمسافة» . انتهى .

والقرآن العظيم لم يحدد لنا «الكيفية» التي تم بها إسراء (طرح) النبي وإنما وضحت لنا هذا الأمر أحاديث النبي التي أراد من خلال بيانها لأوصاف وخواص البراق وكيفية حركته أن يوصل لنا حقيقة السرعة التي كان يتحرك بها البراق دون أن يصعب الأمر على قومه آنذاك الذين كانت رحلاتهم من مكة إلى المسجد الأقصى تستغرق وقتًا طويلاً وأيامًا عديدة يستعملون فيها وسائلهم المتاحة لهم .

ونحن الآن نعلم أن طرح الروح والجسد للبشر العاديين – ولا دخل للدين فيه – حالاته قليلة ومحدودة لا تقارن بإسراء النبي (محمد) وأحداثه ومرائيه فيما هو مشهود للنبي من آيات الله ويرجع ذلك إلى فارق القدرات الشخصية بين البشر

(١) أستاذ الرياضيات بكلية المعلمين في حائل بالمملكة العربية السعودية وهو مصري .

العاديين وبين النبي المصطفى الذي أسري به الله سبحانه بقدرته ليريه من آياتـه في الوجود مما لم يره غيره ولن يراه خاصة فيما اطلع عليه النبي (محمـد) مـن خـلال الجلاء البصري والسمعي في البرزخ والأحياء الموجـودين فيـه ، وهـو عـالم غيـر عالمنا ووجود موازي لوجودنا لا يستعصى (Parallel Existence) وجوده على قدرة الله تعالى .

وحيـاة البـرزخ أشـار إليهـا القـرآن العظـيم في قولـه : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

لقد كان عبد الله ورسوله محمـد ﷺ في وعـي وإدراك كـاملين خـلال إسـرائه متحققًا بالسمع والبصر كما جاء في الآية الأولى من سـورة الإسـراء . كـان محمـد صلوات الله وسلامه عليه متمتعًا بوعي عقلي كامل يدخل فيه الشعور والإحسـاس في بشريته الجسدية ، كما كان متحققًا بوعي قلبي عالم وفاقه أعده الله به عند شـرح الصدر أو شق الصدر ، كما كان متحققًا بمسـتوى الـوعي الروحـي الـذي يـدخل ضمن ما يصفه القرآن الكريم بأنه «الأخفى» الذي يعلمه الله سبحانه وتعـالى وهـو سر من أسرار «الغيب» الذي يخفى على العلماء الماديين اليـوم . كمـا كـان النبـي متمتعًا (كما قلنا) بإدراك زائد على الحواس Extra Sensory Perception.

والدكتور حسين هيكل له رأى في إسراء ومعراج النبي محمد ﷺ جاء في كتابه «حياة محمد» تحت عنوان (الإسراء ووحدة الوجود) يقول فيـه : «ففـي الإسـراء والمعراج في حياة محمد ﷺ الروحية معنى سام غاية السمو . معنى أكبر مـن هـذا الذي يصورون والذي قد يشوب بعضه من خيـال المتكلمـة الخصـب حـظ غيـر قليل. فهذا الروح القوي قد اجتمعت فيه في ساعة الإسراء والمعـراج وحـدة هـذا الوجود بالغة غاية كما لها . لم يقف أمام ذهن محمد وروحه في تلك الساعة حجاب مـن الزمان أو المكان أو غيرهما من الحجب التي تجعل حكمنا نحن في الحياة نسبيًا محدودًا بحدود قوانا المحسة والمدبرة ، العاقلة . تداعت في هذه الساعة كل الحدود أمام بصيرة

محمد واجتمع الكون كله في روحه ، فوعاه منذ أزله إلى أبده وصوره في تطور وحدثـه إلى الكمال عن طريـق الخيـر والفضـل والجمـال والحـق في فعاليتهـا وتغلبهـا عـلى البشـر والنقص والقبح والباطل بفضل من الله ومغفرة . وليس يستطيع هذا السمو إلا قوة فـوق ما تعرف الطبائع الإنسانية».. انتهى .

٠- من مواهب الرسول الروحية

لقد تعددت مواهب الرسول الروحية ويمكننا إيجاز بعضها فيما يلي[١] :

١- الرؤيا في المنام .

٢- الرؤيا في اليقظة .

٣- الإلهام والكشف .

٤- الجلاء السمعي والبصري .

٥- الإدراك فوق الحسي .

أولاً : الرؤيا الصالحة في المنام :

تقول السيدة عائشة أم المؤمنين أن أول ما بُدء به رسول الله الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وروي عنها أنها قالت : قال لي رسول الله ﷺ : «أريتك في المنام قبل أن أتزوجك مرتين» . والحديث رواه الإمامان البخاري ومسلم ، والإمام أحمد . كذلك رأى النبي ﷺ في منامه غزوة بدر وانتصاره فيها : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ

(١) يراجع كتاب «حياة محمد الروحية» للدكتور علي عبد الجليل راضي عليه رحمة الله وناشره مكتبة النهضة المصرية .

﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال:٤٣] ورأى ﷺ في منامه كل ما حدث في غزوة الفتح قبل حدوثها . ودخوله مكة منتصرًا ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ [الفتح:٢٧] ، إن كل ما كان يراه النبي ﷺ في منامه من رؤى كان صادقًا وهو كثير وثابت وموثق وهو نوع من المواهب الروحية التي يقول بها حاليًا علماء الروحية الحديثة ، الباراسيكولوجي ، وقال عنها النبي نفسه : «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» .

ثانيًا : الرؤيا في اليقظة :

يصف النبي مشهد جبريل في يقظته في قوله : «حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتًا من السماء يقول : يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فرفعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء» . أخرجه ورواه الإمام البخاري . وفي حديث آخر رواه الإمامان مسلم وأحمد قال النبي : «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتًا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس ما بين السماء والأرض .. فرعبت منه .. فرجعت فقلت .. زملوني .. زملوني ... » وفي حديث آخر قال للسيدة خديجة أم المؤمنين «أنه رأى ملكًا هبط عليه وكلمه وسمع صوته وقال أنه جبريل» .

وتؤكد لنا كتب السيرة الموثقة والموثوق بها أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يرى جبريل عليه السلام في هيئة بشرية وكان يراه في حالات معينة في صورته الحقيقية الملائكية النورية. لقد كانت للرسول قدرة على رؤية الملائكة (وهم خلق النور) ورؤية أحداث ومناظر مختلفة بالإضافة إلى رؤيته لجبريل عليه السلام وأشخاص ومشاهد لا يراها غيره ، وذلك كله ثابت من الوقائع التي عايشها وحدَّث بها في أحاديثه .

وقد أخرج أحمد في مسنده عن نبوءة الرسول ﷺ بشهادة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما قوله : «لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل عليَّ قبلها فقال لي : إن ابنك هذا حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها ، قال : فأخرج تربة حمراء» . وكان ةﷺ يرى الجن وروي في ذلك كل من الإمام مسلم والإمام أحمد أحاديث . وقد روي البخاري ومسلم وأحمد والترمذي أن الرسول كان يرى ما سيصيب أمته من الفتن فكان كثيرًا ما يقول : «هل ترون ما أرى» فقالوا: لا قال : «فإني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر» .

وروي أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه قوله ﷺ : «ما رأيت ةفي الخير والشر كاليوم قط أنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما دون الحائط» . وعلى كل حال فإن رؤياه ﷺ كثيرة يصعب حصرها أو إيرادها هنا .

ثالثًا : الإلهام :

هو أحد الطرق التي كان يتبعها الوحي في توصيل رسائله إلى النبي والتي سماها بعض الأئمة والفقهاء والعلماء «النفث في الروع» والاتصال عن طريق الإلهام يحدث بانبعاث فكرة داخلية يشعر معها المُلهم شعورًا أكيدًا بأن عقله قد وعى شيئًا جديدًا عليه وبذلك الإلهام يطمئن قلبه إلا أن هذا الوعي الجديد يوحي به بالإلهام من لدن عزيز حكيم ويعتبر الإلهام موهبة روحية عالية يهبها الله لمن يشاء من عباده وفي هذا المعنى يقول الرسول : «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» . ومن ذلك على سبيل المثال :

١- استقبل الرسول وهو جالس مع نسائه رسالة بالإلهام فسألهن «كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوأب..» ثم أشار إلى عائشة واستطرد قائلاً : «فإياك أن تكونين أنت يا حميراء» . وقد حصل ذلك للسيدة عائشة فعلاً في خلافة الإمام علي بن أبي طالب حين خرجت السيدة عائشة تعارضه فنبحتها الكلاب في مكان

يُسمى الحوأب وتطيرت بذلك لما تذكرت سؤال النبي لها فصاحت وقتها قائلة : ردوني .. ردوني .

٢- أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأنه سيقتل أبي بن خلف الجمحي فخدش يوم أحد خدشًا خفيفًا فكانت ميتته (وفاته) فيه .

٣- أخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش ومواضع مصارعهم رجلاً رجلاً فلم يتعد واحد منهم ذلك الموضع الذي حدده النبي .

٤- وعن الصديق أبي بكر قال : «أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن (ابن علي بن أبي طالب) فصعد به على المنبر فقال : ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين» (رواه الإمام البخاري وأبو داوود والترمذي والنسائي) .

٥- وعن أبي سعيد الخدري قال : أخبرني أبو قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر : «تقتلك الفئة الباغية» (في اقتتال أنصار معاوية وأنصار علي بن أبي طالب) (رواه البخاري ومسلم والبيهقي) .

وهناك أحاديث شريفة كثيرة صحيحة توضح مدى تقدم وسمو الإلهام الذي كان يتمتع به النبي صلي الله عليه وسلم أذكر فيها علي سبيل المثال فقط ما رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والبزار والإمام مسلم «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي . » وقوله صلي الله عليه وسلم «ويل للعرب من شر قد اقترب ». وقوله : « لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض . » وقد كان النبي يفسر الإلهام بقوله «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وكذلك روي الإمام أحمد في مسنده وأخرجه الإمامان البخاري ومسلم وأبو داود والبزار من أمثلة . أن الباحث والمنقب في تاريخ الأمة الإسلامية وتراثها يجد فيها من الأولياء والعلماء والصالحين الملهمين ما لا يتوافر على الإطلاق لدى أي أمة أخرى ، وأنا شخصيًا

عشت ولا زلت أعيش ليالي كثيرة تتدفق عليَّ فيها الأفكار والمعلومات في موضوعات دينية بالإلهام الذي لا أعرف ممن يأتي وكيف يأتي وتدفعني دفعًا مُلحًا إلى القيام بالليل من مضجعي لتدوينها قبل أن أنساها أو تتلاشى من ذاكرتي وفكري .

وفي كتابه «إحياء علوم الدين» ذكر الإمام أبو حامد الغزالي أمثلة لإلهام الرسول منها : «أنه أنذر عثمان بأن تصيبه بلوى بعدها الجنة وبأن عمار تقتله الفئة الباغية وأن الحسن يصلح الله به بين فئتين من المسلمين عظيمتين وأخبر عن رجل قاتل في سبيل الله أنه من أهل النار فحصل أن ذلك الرجل انتحر في قتل نفسه وأخبر ﷺ بمقتل الأسود العنسي الكذاب ليلة قتله وهو باليمن بصنعاء وأخبر عمن قتله وأخبر بمقتل أبي بن خلف الجمحي الذي خُدش يوم أحد خدشًا خفيفًا فكان موته فيه . وأخبر يوم بدر بمصارع صناديد قريش وسماهم» .

إن (الإلهام) يعتبر من ظواهر نشاط العقل الزائد على الحواس (E.S.P) والتي لا تفسرها النظرة المادية البحتة لأنها مناقضة لها . وخلال أحد حوادث الإلهام والوحي للنبي محمد التي ذكرها القرآن العظيم في الآية الثالثة من سورة التحريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ ، فالذي ذكره النبي من أن العليم الخبير أنبأه بالحديث وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أظهره عليه يمكن أن يكون بالإلهام أو بالوحي .

رابعًا : الجلاء السمعي والبصري :

تحكي لنا كتب السيرة أنه ﷺ ظل ثلاث سنين يسمع صوت جبريل عليه السلام ولا يسمعه غيره ولا يرى شخصه وفي أثنائها كان يعلمه الشيء وهو غير مبعوث بعد وعندما بدأ البعث وخرج ﷺ من غار حراء يريد بيته وهو مندهش مما

رأى فاجأه صوت جبريل مرة أخرى وهو يهبط من الجبل وسمعه يقول له مناديًا : «يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل» . ولما تعود بعد ذلك على لقاء جبريل عليه السلام فكثيرًا ما كان يحدثه جبريل سواء كان وحده أم جالسًا مع غيره ولكن كان هو وحده الذي يسمعه وكم من مرة قال للسيدة عائشة : «ها هو جبريل يقرئك السلام» .

وواقعة عمير بن وهب الذي ذهب إلى المدينة متوشحًا سيفه ليقتل النبي ﷺ فأخبره النبي بالغرض الحقيقي الذي جاء من أجله وهو قتل النبي وقال : «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلتُ : لولا دين عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمدًا فتحمَّل لك صفوان لدينك وعيالك على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك فيعترف عمير قائلاً : هذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك إلا الله» . فقد ألهم الله النبي وحيًا بالمؤامرة التي تحاك ضده فرآها وسمعها بما أنعم الله عليه عز وجل من الجلاء السمعي والبصري وهو ما لم يتوافر لغيره . وتظهر موهبة الجلاء البصري جلية فيما حدَّث به النبي عن وصف بيت المقدس بعد عودته من الإسراء والذي قال عنه : «فجلا الله لي البيت.... » وانطلق يصفه بتفاصيله للحاضرين .

خامسًا : الإدراك فوق الحسي :

كان محمد صلوات الله وسلامه عليه متمتعًا ومتحققًا بقدرات الإدراك فوق الحسي أو الإدراك الزائد على الحواس المعروفة (Extra Sensory (E.S.P Perception. وهي خاصية روحية رفعته في بشريته إلى مقام ومستوى غير عادي من السمو الروحي – إلى جانب سموه الأخلاقي – ولكن دون أن يؤثر ذلك على تحققه بالعبدية والعبودية لله رب العالمين الذي أعطاه هذه النعمة تفضلاً ورحمة منه سبحانه ولذلك كان صلوات الله وسلامه عليه ويرفض أن يعظمه الناس

والمؤمنون ويرفعونه فوق بشريته العبدية والعابدة لرب العالمين ويقول : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله». وتطروني يعني تعظموني .

أما الإدراك فوق الحسي فصورته الأمثل كانت فيما تحقق به وعبَّر عنه بقوله : «إن العينان تنامان والقلب لا ينام» – لقد كان في بشريته متميزًا عن سائر البشر مختارًا من الله لتلقي الوحي ومصطفى من الله للإبلاغ رسالة وقراءة قرآن وتبيين ما نزل إليه من كتاب ربه للناس وفي حقيقته هذه يقول الله تعالى في كلامه الآخر وكتابه الخاتم ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] ، وكان هو ﷺ يقول : «إني لست كهيئتكم إني أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني» . وذلك بمناسبة نهيه المسلمين عن مواصلة الصوم .. فغذاؤه كان غذاءًا روحيًا في الأساس ، وإذا كان الجسم محمدي البشري يحتاج إلى النوم الحسي فينام (العينان تنامان) فإن الروح محمدي السراج المنير لا يحتاج إلى النوم فلا تنام روحه (والقلب لا ينام) بسر قوله تعالى في القرآن العظيم ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩١] . وقد جاء هذا الإدراك فوق الحسي للنبي بعد البعثة واصطفائه بالنبوة واختياره لإبلاغ الرسالة وتلقيه وحي القرآن من لدن الحكيم العليم وهي حالة تمثل نموذجًا أمثل من حالات الإدراك فوق الحسي (E.S.P) والتي كان مرشدنا الروحي الإمام أبو العزائم يصفها في قوله : «متى صحت حياة الروح ذكرت الله قائمًا وقاعدًا ونائمًا لأن الجسد لابد له من النوم والروح لا تنام إذا صحت حياتها الروحانية ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٩١] ومن أحياه الله بالحي القيوم لا يموت وإن مات جسده ومن مات بالإرادة أحياه الله بالفضل حياة طيبة» .. انتهى .

٠٠- عن الثقات وأئمة الحديث

تذكر لنا روايات السيرة أن الرسول ﷺ كان يعالج علاجًا روحيًا بعدة طرق منها [١]:

١- وضع اليدين والدعاء للمريض والنفث ، كما ذكر ذلك سعد بن أبي وقاص وجرير والسيدة عائشة أم المؤمنين ، وأبي جحيفة وابن عباس وما رواه عثمان بن حنيف وحبيب بن فديك وعلي بن أبي طالب .

٢- الريق وخلافه كما حدَّث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي (بصق) تفل في عينيه يوم خيبر وكان به رمد فأصبح باردًا ، وكما ذكر وروي سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وذكرت أسماء بنت أبي بكر الصديق وبعدها أعطى الراية لعلي.

٣- إجراء عمليات كما حدث وروي سعد بن أبي وقاص عن إصابة عين قتادة حتى وقعت على وجنته فردَّها النبي فكانت أحسن عينيه .

وما جاء في صحيح البخاري على لسان السيدة عائشة أم المؤمنين من أن جبريل عليه السلام نفسه كان يعالج النبي . وجاء في صحيح مسلم عن عثمان بن

(١) المرجع السابق للدكتور علي عبد الجليل راضي رحمه الله .

أبي العاص الثقفي أنه شكا إلى رسول الله وجعًا يجده في جسده منذ أسلم فقال له رسول الله ﷺ : «ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل باسم الله ثلاثًا وقل سبع مرات أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر» فشفي عثمان بن أبي العاص الثقفي مما كان يعاني منه في جسده .

إن النبي محمد لأنه ﷺ كان رحمة للعالمين . كان داعيًا إلى الله بإذنه سبحانه ومُشرع بشرع الله (القرآن) ومُعلم وقائد وسياسي ومتعلم للقرآن المعجز ومبينه للناس وكان قائدًا ورب أسرة وأديب وطبيب وعابد ومتحدث كما كان ﷺ إنسانًا متصفًا بالكمال ومكارم الأخلاق وحسن التعامل ، وكذا في بيته ومع زوجاته وأصحابه ومع الخصوم والشباب والأطفال والأبطال والملوك والخدم والعبيد وفي عمله وتجارته ... إلخ . وكان صلوات الله وسلامه عليه لا ينطق بالقرآن عن هوى بل كان وحيًا يوحي وكان في جميع أحواله قلبًا وقالبًا يمثل القرآن العظيم وبذلك وصفته السيدة عائشة ل . ولما سأله أصحابه أن يدعو على المشركين قال : «إني لم أبعث لعانًا وإنما بُعثت رحمة»[1] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]

هذا المقام من الرحمة مقام أعم وأشمل من رحمة الرسول بالمؤمنين ورأفته بهم. فالعالمين لفظ يشمل المؤمنين وغيرهم من أنواع ومراتب المخلوقات كافة . والحق أن هذا الرسول بشخصه رحمة لكل الناس ، وبرسالته القرآنية التي جاء بها ، رحمة لكل الناس ، ولفظ العالمين جاء في القرآن في عدة مناسبات مثل كون الله رب العالمين كما في الفاتحة ، وبنو إسرائيل مثلاً فضلهم الله على العالمين كما في سورة البقرة ، ومحمد

(١) رواه الإمامان البخاري ومسلم في صحيحهما ، وفي القرآن الكريم ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

ﷺ رحمة للعالمين كما في سورة الأنبياء ، وهكذا .... ويبدو أن لفظ العالمين يقصد به البشر أجمعين ، إذا اعتبرنا هذا اللفظ في القرآن على معنى واحد في دلالته . بل واللفظ في بعض الاستعمالات يقصد به البشر المعاصرين لمن فضله الله على العالمين ، أي الناس وقت هذا التفضيل وليس كل الناس في كل العصور ، وذلك كما في تفضيل بني إسرائيل والسيدة مريم على نساء العالمين في ذلك الوقت ، فلا يعقل أن يكون بنو إسرائيل قد فضلوا على العالمين في كل الأزمنة والعصور والأوقات بالمعنى الذي يسع البشر وغير البشر من خلق الله تعالى في هذا الكون العظيم من جن وملائكة ، وما قد يوجد من مخلوقات أخرى ذكية . ومحمد ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين على المعنى الشمولي للفظ العالمين – كما في رب العالمين – لأنه أرسل للناس كافة وللجن أيضًا ولأي مخلوق ذكي في الكون الفسيح . وقد ذهب البعض إلى أن لفظ العالمين هو جمع العالم . والعالم الخلق كله ، فيكون المقصود سائر المخلوقات من الملائكة والجن والإنس والوحوش والطيور وغيرها .. والنبي رحمة للإنسانية جمعاء ؛ لأنه جاء يخلصها بالمنهج القرآني من جاهلية الظلمات التي رانت على قلوبهم ، وخاصة من أهل الكتاب الذين منهم من حرفوا التوراة والإنجيل ، مفسدين بذلك عقيدة التوحيد الحقة للنبي المسيح عيسى بن مريم والعبادة الخالصة التي تستظل بالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه أي شائبة من شرك خفي أو أخفى وبذلك وضح وبين الطريق الحق المؤدي إلى الجنة في الآخرة والسعادة في الدنيا فارقا بين هذا الطريق وطريق الباطل المؤدي إلى النار في الآخرة والضلال في الدنيا . بالإضافة إلى كونه ﷺ صاحب المقام المحمود يوم القيامة ، والذي قيل فيه إنه مقام الشفاعة الكبرى التي أذن الله له بها . ورحمة النبي بالإنسان هي أكبر درجات الرحمة حيث راعى في الإنسان جانبه الجسدي واحتياجاته ، وجانبه العقلي أو الروحي واحتياجاته ولم يطلب من الإنسان أن يكون ماديًا صرفًا ولا روحيًا صرفًا ، وإنما كائنًا وسطًا بين المادة والروح ، أي بين دواعي الجسد ودواعي الروح ، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدًا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدًا . رحم الإنسان باحترام عقله وتفكيره الحر ، وبتقدير

كرامته وحريته ومساواة كل إنسان بالآخر في الإنسانية التي ترجع لأصل واحد هو آدم وهو من تراب الأرض . ورحم الأمة عندما طلب منها أن تكون متمسكة بما يجعلها خير أمة أخرجت للناس ، وهو أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتقيم الصلاة عبادة لله وحده وتؤتي الزكاة تكاملاً منها مع الضعفاء والفقراء والمحتاجين من الناس باعتبار أن كل الناس متساوون في الإنسانية وفي الحقوق المشروعة الأصلية اللصيقة بالصفة الإنسانية . ورحم الشعوب في كل الدنيا حين طلب منها أن تتعارف وتتعاون في ظل من تقوى الله وبهدف سعادة البشر أجمعين في إطار من السلام النفسي أولاً والسلام المجتمعي والعالمي ثانيًا . وتعدت رحمة الإنسان إلى الطير والحيوان حين أمر بالرفق بهما حتى فيما أحله الله للإنسان من الاستفادة من الغذاء الحيواني أو الطيري . وفيما حدَّث به من أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، ورحم عوالم الجن بأن بين لها طريق الإسلام المؤدي إلى السلام والسعادة في الدنيا ، وإلى الجنة والثواب في الآخرة .

والمؤكد أن رحمة الرسول شملت البشر أجمعين وشملت الجن ، وكلا النوعين يعيش على الأرض ، حتى ولو استطاع فريق من كل النوعين من اختراق أجواء الفضاء المحيطة بالأرض إلى الكواكب القريبة في المجموعة الشمسية أو أحد توابعها – كالقمر بالنسبة للأرض – بسلطان من العقل أو الروح . ويكون لفظ العالمين عندئذ شاملاً للإنسانية جمعاء وللجن أجمعين . ورحمة الرسول بهذين النوعين من المخلوقات الذكية المدركة هي رحمة في العقيدة ورحمة في العبادة ورحمة في الأخلاق والسلوك ورحمة في المعاملات الفردية والاجتماعية والعلائق الجماعية .. رحمة في السلام والحرب على السواء . أما إنه رحمة في ذاته وشخصه فذلك كائن في الدنيا بمعانٍ معينة وذلك بالاقتداء ، وكائن في الآخرة في مقام الشفاعة العظمى التي يرحم بها حضرته سائر الناس وسائر الجن . وأما إنه رحمة

في العقيدة فلأنه جاء بعقيدة التوحيد الخالصة من أنواع وأصناف الشرك كافة الظاهر منها والخفي . جاء يوجه البشرية إلى حقيقة أساسية في وجودها . حقيقة تمثل الركيزة الأساسية في نظرتها إلى الكون الذي تحيا في إحدى مجراته وفي نظرتها إلى الغاية من وجودها هي ذاته وتطور هذا الوجود في تنظيمات مدنية وحضارية متعاقبة . وتلك النظرة تستند إلى فكرتين أساسيتين :

١- وجود إله .

٢- لا إله إلا هذا الإله .

من هاتين القاعدتين جاءت الرحمة الضرورية المترتبة عليهما بكل ما تشملانه من معانٍ ومقتضيات ، هذه الرحمة الضرورية المتمثلة في التوجه إلى هذا الإله بالخضوع والعبادة والطاعة ، وما يرتبط بذلك من كون هذا التوجه بالخضوع والعبادة والطاعة لهذا الإله وحده فقط دون غيره . وإذا كان التوحيد في العقيدة هو القاعدة الأساسية في وجود الفرد والمجتمع على السواء ، فإن النتيجة المترتبة على ذلك هي الاتجاه الكلي؛ النفسي والشعوري والفكري ، بالعبادة والخضوع والطاعة لهذا الإله الواحد وحده دون غيره وذلك كان يقتضي أمرًا مهمًا هو انعكاس هاتين القاعدتين في أمرين بالغيِّ الأهمية وهما:

١- السلوك الأخلاقي .

٢- التنظيم الاجتماعي .

أما الأمر الأول : فقد كان الرسول مستويًا على قمته ، ويشهد القرآن ذاته بهذا المستوى الرفيع من الأخلاق الذي كان يتمتع به الرسول ﷺ ، والذي ترويه لنا كتب السيرة عنه في شخصه كفرد وفي أسرته وفي رحاب المؤمنين القريبين من حضرته والفقراء الذين يريدون وجه الله في دنياهم ، ثم بالنسبة للمسلمين كافة ، والناس عامة ، حتى الذين كانوا لا يؤمنون بالرسول ودعوته القرآنية كما تجلى

الأمر في وقائع فتح مكة. وقد نزل القرآن ليقرر ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]. وفسر الرسول ذلك فيما روي عنه أنه قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي قوله: «أقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحسنكم أخلاقًا» إلى غير ذلك من نصوص القرآن والسنة القولية والعملية التي بنى عليها النظام الأخلاقي القرآني كله، والذي يشكل أعظم ما يمكن أن تعرفه البشرية من قواعد السلوك الأخلاقي للفرد والأسرة والمجتمع. وقد وصفت السيدة عائشة الرسول ﷺ قائلة: «كان خلقه القرآن»، وهذا يكفي في بيان القدر العظيم من الأخلاق الذي كان يتمتع به هذا الرسول في ذاته وهو القدوة الحسنة لسائر الناس كل الناس.

وأما الأمر الثاني: وهو التنظيم الاجتماعي، فقد كفل لأول مرة في حياة البشرية على الأرض أساسيات كرامة الإنسان وحريته واستعلائه بالإيمان ووضع قواعد العدالة والرحمة والإخاء والمحبة والتعاون المثمر البناء في الخير، وقواعد المساواة بين الناس وأسس التفاضل بينهم وهي كلها أسس ربانية القيمة والمصدر والمحتوى، تقوم على التقوى، ومعناها سلامة الضمير وسلامة الصدر وخشية الله وقوة الصلة بدين الله ومبادئه وأحكامه وشرائعه ... كما وضع قواعد الأمن والأمان للأفراد المسلمين وغير المسلمين، وقواعد الصلة بين الحكام والمحكومين وإطارها السليم الذي يجب أن يبنى عليه، بما يحققه ذلك من إيجابيات في الوضع الاجتماعي كله... وهي أمور تفتقدها أعداد هائلة من أفراد البشرية الذين يعيشون في ظل استعباد النظم الشيوعية – يوم كانت – كما لم تصل إلى مستواها النظم الرأسمالية الديمقراطية نتيجة طغيان المادية والمال وجماعات الضغط المختلفة المصالح، وإن كانت حققت أشواطًا لا بأس بها في مجال الحرية لأصحابها والتقدم الحضاري لا يمكن إنكارها، ونحتاج نحن المسلمين إلى نظرة تأخذ إيجابيات الحضارات المعاصرة وتترك سلبياتها لتسير في طريق التقدم والتنمية والرحمة للإنسان وبالإنسان. كما كان يرجوه محمد صلوات الله وسلامه عليه.

أدب التعامل مع رسول الله

إن الإسلام هو الدين الواحد الصادر عن الإله الواحد الحق الذي بعث به كافة أنبيائه ورسله وكل كتبه وكمل واكتمل في إصداره الآخر في القرآن العظيم وبالنبي الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه والذي يطول عنه الحديث ويطول عنه الكلام لا يستطيع أحد أن يوفيه قدره أو يدرك ويعرف حق وحقيقة مقامه ومنزلته عند ربه الذي رفع ذكره ووضع عنه وزره ويقول له في القرآن العظيم : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح:١-٣] ويقول : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٨-١٠] ، وفي سورة الحجرات يقول الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:٢-٥] .

وفي هذه الآيات وفي هذه السورة جملة من الآداب يجب أن يراعيها المسلمون في حضرة رسول الله على النحو التالي :

١- النهي عن أن يسبق أحد النبي بأمر ما قولاً أو عملاً أو يبدي رأيًا في أمر ما قبله بل عليهم انتظار ما يقوله أولاً فذلك من تقوى الله سر قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات:١] .

٢- النهي عن رفع الأصوات في حضور النبي والنهي عن مخاطبته كما يخاطبون أقوامهم وتنبيههم إلى أن هذه التصرفات من شأنها أن تضيع حسناتهم بدون أن يشعروا . والتنويه بأن الذين يخفضون أصواتهم في حضرة النبي هم أتقياء مخلصون ولهم مغفرة وأجر عظيم ، سر قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحجرات:٢-٣] .

٣- النهي عن منادات الرسول وهو في حجرات بيوته حينما لا يجدونه في المسجد فهذا جهل بمقامه وعدم تعقل منهم والأفضل لهم أن ينتظروا حتى يخرج هو إليهم ، سر قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الحجرات:٤-٥] .

وفي سورة الكوثر يقول الله تعالى لرسوله محمد: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ ، والكوثر غالبًا هو الخير الكثير وشانئك هو مبغضك والأبتر هو مقطوع النسب وفي سورة الشرح في القرآن العظيم يقول الله تعالى للنبي : ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴾ ، وآيات القرآن العظيم غير التي ذكرننا كثيرة يمكن الرجوع إليها كلها في

المصحف الشريف وإن كنت أضيف إلى ما ذكرته عن الأدب معه ﷺ أمثله من آيات القرآن العظيم منها قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾، أي لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه ، وانظر أدب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة لما تقدم بين يديه كيف تأخر ، فقال : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين رسول الله ﷺ وكيف أورثه الله مقامه والإمامة بعده .

فمن الأدب أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهي ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك في هذه الآية ، وهذا باق إلى يوم القيامة لم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته وبعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم .

ومن الأدب معه ﷺ ألا ترفع الأصوات فوق صوته كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾، وأفاد أنه ينبغي أن لا يتكلم المؤمن عنده ﷺ كما يتكلم العبد عند سيده أي بل يكون صوته دون صوته مع سيده ، وإذا كان رفع الأصوات فوق صوته ﷺ موجبًا لإحباط الأعمال ، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ﷺ ، وروي أن أبا بكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يا رسول الله لا أكلمك إلا كأخي السِّرار – أي الكلام الخفي الذي يراد كتمه – وأن عمر **ط** كان إذا حدثه حدثه كأخي السراري ، ما كان يسمع النبي ﷺ حديثه بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

وروي أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ ، فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد ، فإن الله عز وجل أدب قومًا فقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ ، ومدح قومًا فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ

﴿ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ ، وذم قومًا فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ الآية، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا ، فاستكان لها أبو جعفر .

ومن الأدب معه ﷺ أن لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا ، قال تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾، وفيه قولان للمفسرين :

أحدهما : لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضًا بل قولوا : يا رسول الله – يا نبي الله ، مع التوقير والتواضع .

والثاني : أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا إن شاء المدعو أجاب وإن شاء ترك ، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بدٌّ من إجابته ، ولم يسعكم التخلف عنها البتة فإن المبادرة إلى إجابته واجبة والمراجعة بغير إذنه محرمة .

ومن الأدب معه ﷺ أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع مع خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهبًا في حاجة له حتى يستأذنه كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾.

والقرآن مملوء بالآيات المرشدة إلى الأدب معه ﷺ لما قال المشركون : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ ، أجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة فقال : ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾.

ولما قالوا : ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ ، أجاب تعالى عنه فقال : ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴾.

ولما قالوا : ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ ، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾.

ولما قالوا : ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ ، أجاب تعالى عنه فقال : ﴿ بَلْ جَآءَ

بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ، فصدقه ثم ذكر خصمائه فقال : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾.

ولما قالوا : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ ، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

ولما حكي الله عنهم قولهم : ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ﴾، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴾ ، وقال ردًا لقولهم : ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ : ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

ولما قالوا : يلقيه إليه الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴾.

ولما تلا عليهم نبأ الأولين قال النضر بن الحارث : ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.

ولما قال الوليد بن المغيرة : ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾ ، أجاب تعالى عنه فقال : ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ، تسلية له عليه الصلاة والسلام .

ولما قالوا : محمد قلاه ربه ، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾.

ولما قالوا : ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾.

ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولاً من البشر بقولهم الذي حكاه تعالى عنهم :

﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ ، وجهلوا أن التجانس يورث التآنس ، وأن التخالف يورث التباين ، أجاب الله تعالى عنه فقال : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ ، أي لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة ، لكن لما كان أهل الأرض من البشر وجب أن يكون رسولهم من البشر .

١٠- فضله الثابت بكتاب الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ ﴾

صفات متناهية في العظمة يصعب على إنسان الزيادة عليها في وصفها ، فهي تصف نفسها بنفسها ، وتوضح أبعادها مدلولاتها ، وكون الله تبارك وتعالى يتحدث بها كفاية لنا في فهمها . وقراءة﴿أَنفُسِكُمۡ﴾ بفتح الفاء يتمشى أكثر مع سياق النص فيما جاء به من أوصاف . والنفاسة هنا قرينة الاصطفاء والاختيار لهذا الإنسان ليكون خاتم الرسل من عند الله للناس كافة . والله أعلم حيث يجعل رسالته . لقد اختار الله لهذه الرسالة الخاتمة نفس من أنفس النفوس وعقل من أنفس العقول وروح من أنفس الأرواح . اجتمعت كلها لتكون مجموعة من الصفات والخصائص لم تتوافر في بشر من الناس أو بشر من الصفوة المختارة من أنبياء ورسل الله .

بهذه الصفات والخصائص ـ وغيرها مما أخبرنا به القرآن ـ تميز هذا الرسول بما كان يتصف به من أخلاق على نحو ما وضح لنا القرآن في :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ ﴾ ، خصائص وصفات تسمو بها هذه الشخصية الفريدة إلى قمة الكائنات الحية كلها ، وكلها سبب ونتيجة للصلة القوية بالله عن معرفة هي أرقى درجات المعارف ، فهو صلوات الله وسلامه عليه:

١ـ عزيز عليه ما عنتم .

٢ـ حريص عليكم .

٣ـ بالمؤمنين رءوف رحيم .

يحز في نفس هذا الرسول أن تشقى هذه الإنسانية التي أرسل إليها هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذن الله في حياتها الدنيوية ، وأن تتألم نتيجة ذلك بالعذاب في حياتها الآخرة ، ويعز على هذا الرسول ﷺ أن يعلم أن جزاء الضالين هو الألم والعذاب يوم الحساب وما فيه من مشقة وعنت نتيجة الانحراف الإنساني في الحياة الدنيا بعيدا عن هدى الله . وهذه المشاعر النبوية من الألم والحزن والشفقة لا تنتج إلا عن نفس زكية أعلى ما تكون التزكية ... نفس لا تكنُّ إلا الحب لكل الناس دون تفرقة أعلى ما تكون لمحبة ... نفس تريد الخير كل الخير والسعادة الدائمة للإنسانية جمعاء أعلى ما تكون السعادة وأعظم ما يكون الخير ... نفس تحرص على ألا يصيب أهل الأرض من البشر أي شر عاجل أو آجل ، دنيوي أو أخروي ... نفس تعمل على هداية الإنسانية وإخراجها من أنواع الضلالات كافة إلى نور الهدايات الساطع حتى تنجو مما يعلمه هذا الرسول من عذاب واقع ليس له من الله من دافع لكل من انحرف عن جادة الطريق ؛ طريق الله المضيء بنور القرآن العظيم . ولما كان الرسول هاديا للإنسانية فإنه لم يدع قط على أحد من الناس بأي شر يصيبه لينتقم منه لما تعرض له من إيذاء على يد غير المؤمنين . بل على العكس كان يدعو في صالح هؤلاء ولا يدعو عليهم أبدا ، وروى عنه ﷺ قولته المأثورة :

«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» ، أي خُلُقٍ هذا الذي يتمتع به هذا الرسول ﷺ حتى يخص هذه الإنسانية غير العالمة بالدعوة لها حتى ينجيها من غضب الله وعذابه الشديد ... إنه الخلق العظيم الذي يدركه ، بأبعاده الحقيقية ، الله سبحانه وتعالى ، ويعلم الناس من نماذجه التطبيقية ما يرونه في سلوك النبي في حياته اليومية مع كل الناس ، مؤمنين وغير مؤمنين ، إن خلق هذا الرسول وعلم هذا الرسول جعله حريصا على الناس كافة وعلى أمته خاصة﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ أما الذين آمنوا بالله وبه وبالقرآن ، فقد أحبهم وأحبوه ، لان لهم قلبه ، ورق لهم فؤاده ، وامتلأت بالخير لهم مشاعره ، وحملت لهم نفسه الرأفة والرحمة بهم على نحو ما يوضح القرآن في ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾في الآية :﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

القرآن والنبي الخاتم

القرآن يمثل الحقيقة في ذاتها في كل وجه من وجوه هدايته الإعجازية في العقيدة وفي العبادة وفي المعاملة وفي قيم ومكارم الأخلاق وفي العلاقات الاجتماعية والتشريعات المتصلة بها ، وفي تحرير العقل وفي النواحي العلمية وفي التربية والسلوك وفي أسس قوة المجتمعات البشرية وفي الحجة المعجزة بالهداية والبيان ، وهو يحيط في دعوته بالعالمين ، لا تحده حدود مما اصطنعها الإنسان . وكذلك الفرد المصطفى من الله ، يحيط في التبليغ القرآني بالوسعة القرآنية ذاتها (رحمة للعالمين) وبشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا للناس كافة.

والمعجزة القرآنية في حقيقتها هي معجزة معرفية ، هي معجزة المثالية في قمتها في كل ميدان من الميادين التي أهلت البشرية لولوجها . والإنسان العاقل هو الإنسان الذي خصه القرآن بالذكر (آدم العاقل) والفرق بين الإنسان العاقل الأول، آدم ، وبين الإنسان الكامل ، الآخر في الظهور بين المصطفين ، محمد ، هو الفرق بين إيجاد المخلوق الإنساني العاقل المتعلم الأسماء كلها الأول الذي يملك القدرة على الاتصال بحقائق الكون وطاقاته في أول الطريق نحو معرفة الإله المعبود الواحد ، وبين الإنسان الكامل الخاتم في الاصطفاء والمراد أزلا أن يتصل فعلا بالشهود ، بحقائق الكون وطاقاته في نهاية الطريق المؤدي إلى معرفة الإله

الواحد المعبود وهو محمد ﷺ.

وإذا كان آدم العاقل بتعلمه الأسماء يمثل البداية المتواضعة للمعرفة والعلـم ، فإن محمدا يمثل النهاية العظمى في المعرفة بالإله عن شهود تجاوز طاقات الكون كلهـا ، وخاصـة الطاقـة الكهربيـة المغناطيسـية[1] وصـولا إلى النهايـات لمتاحـة للمعرفة الإنسانية التي ظل الإنسان يترقى في السـبيل المـؤدي إليهـا عبـر تاريخـه الممتد في الأرض وحتى عصرنا الحالي وما سيليه حتى قيام الساعة .

لقد كان القرآن الكريم شرعة ومنهاجا لحيـاة البشـر في واقعهـم في كـل زمـان ومكـان ، أمـا الأسـرار المكتنـزة في القـرآن حـول الوجـود في القـوى والطاقـات والإنسانيات والكونيات ومختلف الكائنات والسـنن الكونيـة فقـد اكتفـى النبـي محمد بما علم منها ولم يطرح موضوعاتها التـي لم تكـن العقـول وقتهـا تسـتطع أن تتقبلها وحتى لا تثير جدلا يفسد قضية الدين . فالقرآن معجـزة محمـد الكبـرى لم يأتي ليعلمنا أسرار الكون ولكنه جاء بأحكام التكليـف واضـحة وأسـرار الوجـود مكتنزة حتـى ترتقـي العلـوم والمعـارف الإنسـانية ويتسـع فهـم العقـول وتتقـدم الحضارات ولذلك يقول : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص ٨٧-٨٨] أي أنه كلما تقدم الزمن وارتقت وازدادت المعارف والعلـوم الكونيـة والإنسـانية ظهر أعجاز القرآن حيث أشار منزل القرآن إلى الآيات الكونيـة والإنسـانية في هـذا القرآن بما يظهر إعجازه وتوافق مفردات الكون وهو الكتاب المنظـور مـع آيـة أو آيات في القرآن وهو الكتاب المسطور والإثنان مصدرهما الله الواحد الأحد .

إن الرسالات التي سبقت الإسلام كانت محدودة الزمـان والمكـان والأقـوام الموجهـة إلـيهم أمـا القـرآن الكـريم فزمنـه ممتـد إلى يـوم القيامـة ومكانـه كـل

(١) باعتبار هذه الطاقة هي ـ في فهمنا ـ الشجرة المباركة الزيتونة اللاشرقية واللاغربيـة التـي وردت في سورة النور في الآية ٣٥ .

المجتمعات ومحيطه الناس كافة ولذلك فهو يقدم حقًا إعجازا لكل جيل ليظل معجزه في كل عصر . إن الكتب الإلهية التي تنزلت على الرسل السابقين على محمد كانت المناهج فيها والدعوة هي غير المعجزة فالتوراة كانت منهج موسى وكانت معجزته العصى ، والإنجيل كان منهج عيسى ولم يكن معجزته التي شملت شفاء المرض وإبرائهم وهكذا زبور داود وصحف إبراهيم . أما القرآن الذي نزله الله على محمد فقد تميز بأنه المنهج والمعجزة والدعوة والحجة ولذلك أضاف على المناهج التي سبقته وصحح ما حذف منها أو أضيف عليها أو اختفى من أصولها ولم تحفظ كما حفظ الله القران الكريم:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر :٩] وأكمل دعوتها وحجتها وأهدافها ونظمها وعقائدها .

وقد طلب الكافرون والملحدون والمشركون من النبي محمد أن يأتيهم بقرآن غير هذا ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس :١٥] ، فلو كان القران من عند غير الله : ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء :٨٢] ومن المعروف والثابت أن من الناس والعلماء والباحثين والدارسين من يغيرون الحقائق المعلومة ويلوون الثوابت المؤكدة لتتمشى مع معتقداتهم أيا كانت وتحقق فائدتهم ومصالحهم الذاتية المخالفة للحقيقة وقد كشف الدكتور إدوارد سعيد في كتابيه «المستشرقون» و«تغطية الإسلام» مدى تحريف المعارف الغربية للحقائق الموضوعية لخدمة مصالح ذاتية .

لقد اختار الله عبر تاريخ الإنسان في الأرض أفراد من النوع الإنساني أهَّلهم بخصائص عالية جدا من الطاقة الروحية واختارهم لحمل وتلقي وحي أو رسالات الإله وتبليغها للإنسان في الأرض ، ومن آخرهم الأنبياء والرسل موسى وعيسى عليهما سلام الله، مما نعرفه من تاريخ الرسل والأنبياء . واختار الله من

هؤلاء الأنبياء والرسل فردا يحمل وحي الرسالة الإلهية الآخرة إلى الإنسانية جمعاء، يبلغها بالقرآن ـ كلام الله وفحوى هذه الرسالة ويتحقق هو بها ـ بما أوتيه من طاقة روحية عالية .

وبهذا الإنسان الكامل تحققت الغاية من وجود الكائنات العاقلة ، واكتمل الدين ، وكملت صور الهدى الإلهي للإنسان ، فليس معه أو بعده نبي ، وإلى حين قيام ساعة حساب الناس ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] .

إن طاقتي الإنسان العقلية والروحية تشدانه إلى المعرفة ... وهو توَّاق بطبعه إلى المعرفة في الطريق الطويل المؤدي إلى الله في النهاية . وكل رصيد الإنسان ـ عبر العصور المختلفة ـ من المعرفة وتطبيقاتها هو جزء بسيط جدًا أو شيء قليل جدًا من المعرفة العظمى الكلية الشاملة التي يتصف بها الله والمحيطة بكل ما هو مخلوق أو هو حادث أو هو كائن أو هو في شأن . ومعرفة الإنسان هي معرفة يحاول بها إيجاد تفسير للكون ولطاقاته ولقوانينه ، وللإنسان ولطاقته ولقوانينه التي تحكم وتنظم وجوده العضوي والروحي (العقلي) ووجوده الفردي والاجتماعي في أشكال التنظيمات الدولية أو الأممية . وتاريخ الإنسان المدني والحضاري هو في الحقيقة تاريخ المعرفة وترقيها وتقدمها وتطبيقاتها المتنوعة ، متصلة كلها بمحاولات التفسيرين العلمي والفلسفي للكون وقواه وما وراءه من قوة عظمى .

ولما كان الإنسان متميزا بحرية الاختيار والعقل والإرادة والقدرة ... إلخ فإنه صار بذلك مالكا لقدرات توجيه نتائج معرفته ونتائج تطبيقات هذه المعارف (التكنولوجيا) نحو الخير أو نحو الشر ، أي نحو سعادة الإنسان وسلامة في حاضره ومستقبله ، أو نحو تعاسة الإنسان وتدميره في حاضره مستقبله ﴿وَهَدَيْنَٰهُ

ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ [البلد : ١٠] .

وسيظل الإنسـان يعمـل في نطـاق هـذه الحريـة وهـذه الحركـة المسـتمرة في اكتساب المعرفة حتى العصر الذي يجد فيه التطابق التام بين مكتشـفاته المعرفيـة وبين تقريرات القرآن الموحي به إلى النبي الخاتم ، وهو العصر الذي سـتظهر فيـه عظمة هذا القرآن ، أو (القرآن العظيم) بعد السبع المثاني من القرون [١]، أي القرن الخامس عشر من هجرة خاتم المرسلين ، والله أعلم .

إن المعجزة القرآنية تكمـن في توجيـه الإنسـان لاسـتعمال قدراتـه العقليـة أو الروحية في طريق المعرفة من اجل توحيد الله ، والمعجزة محمدية تكمن في تبيـين وشهود هذه الأَحَدِيَّة في الآيات الكونية الكبرى والحق كله يكمـن في القـرآن كلـه بالضبط كما يكمن في الكون كله المنظور وغير المنظور . والإنسان يكتشـف عـلى مر العصور الحقائق في الكون وفي القرآن ، ويفسر القوانين التي يأتيان بها ، وهو قد يصل إلى الحقيقة من الحقائق في كليهما ، أو إلى عدد من الحقـائق صـغيرا كـان أو كبيرا ، ولكنه لن يحـيط بكـل الحقـائق فيهمـا لأن عمـره يقصـر دون ذلـك ولأن المجهول يبدو أكبر كلما ازدادت المعارف الإنسانية ذاتها .

إن الحق الذي قد يثبت بالعلم التجريبي أو الرياضي هو انعكاس للحق الثابت بالأسلوب النظري في القرآن ، ووحدة الحق هذه تنبع من كون مصدر الحق واحد سواء بالنسـبة للطبيعـة أو القـرآن ، وهـو الله سـبحانه وتعـالى في كتابيـه المسـطور والمنظور أي القرآن والكون .

لقد حفظ الله لنا سيرة وصفات وأقوال وأعمال إنسان بشـر هـو خـاتم النبيـين وخاتم المرسلين وسراجا منيرا قدوة لنا ومثل أعلى للأخلاق العظيمة هـو محمـد رسول الله وخاتم النبيين لنحيـا معـه في عصـرنا كمـا عـاش معـه جيـل الصـحابة

(١) في إطار فهم من الفهوم المتعلقة بالسبع المثاني ، والله أعلى وأعلم بمدى صحته .

الأولون الذين صحبوه وعاصروا شريعته وأسسوا معه أول دولة مدنيـة قانونيـة في تاريخ الإسلام على هدى من قواعـدها ومبادئهـا وأسسـها يجـب أن تعمـل لبنـاء أوطاننا ودولنا. وشخصية الرسول القدوة لا تخضع لفوارق يعد الزمان واختلاف المكان وتطورات التمدن والعمران بل هي شخصية لا تنتهي أضـواؤها وأنوارهـا بانتهاء حياتها الجسدية بالموت لأنها شخصية باقيـة برسـالتها ودعوتهـا وبروحهـا الطاهرة الخالدة يتأس بسراجيتها المنيرة وبشريتها الأدميـة في سـيرتها ونموذجهـا الأخلاقي السامي كل إنسـان فتمـده بقـوة في العقيـدة الإيمانيـة وطاقـة في العمـل المتقن البناء ودافعا للعبادة الخالصة التي تقوي الصلة بالله وتحسن الصلة بالخلق من خلال نموذجها الحضاري القائم عـلى المحبـة والإخـاء والتسـامح والتعـاون والاتحاد والسلام كما كان عيش معه أهل معيته الذين ذكـرهم القـرآن الكـريم في سورة الفتح ومن كان مثلهم في كل زامن ومكان متحليا بصفاتهم .

١٠- يسوع المسيح يقول[(١)]

«إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة روح الحكمة والقوة وروح الخوف والمحبة روح التعبد والاعتدال مزدان بروح المحبة والرحمة روح العدل والتقوى روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه ... وما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم . صدقوني أني رايته وقدّمت له الاحترام كما رآه كل نبي لأن الله يعطيهم روحه نبوة» انتهى .

وكان السيد المسيح عليه السلام يقول أيضا : «إلعن إلى الأبد كل من يفسد إنجيلي الذي أعطيتني عندما يكتبون إني ابنك لأني أنا الطين والتراب خادم خدمك ولم احسب نفسي قط خادما صالحا لك لأني لا أقدر أن أكافئك على ما أعطيتني لأن كل الأشياء لك أيها الرب الإله الرحيم ... يارب ارحم العالم وعجل بإرسال رسولك لكي يسلب الشيطان عدوك مملكته...» [(٢)] ، ويقول عليه سلام الله :

(١) عن إنجيل القديس برنابا الحواري والرسول الذي صحب يسوع المسيح وكتب عنه ما كان يمليه . وإنجيل القديس برنابا يضاهي أصح ما تلقاه يسوع المسيح من ربه كما أنه متوافق مع القرآن العظيم في الأمور الدينية .

(٢) الفصل (٢١٢) من إنجيل القديس برنابا .

«...فمتى جاء رسول الله يجيء ليطهر كل ما أفسد الفجار من كتابي.» [1]، وفي الفصل الثاني والسبعين من الإنجيل نفسه يقول السيد يسوع المسيح عليه السلام : «... لست أنا الذي خلقكم بل الله الذي خلقكم يحميكم أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيء الطريق لرسول الله[2] الذي سيأتي بخلاص للعلام ولكن احذروا أن تُغشُّوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي ويبخسون إنجيلي.» وفي الفصل الثاني والثمانون يقول السيد المسيح عليه السلام : «إني حقا أرسلت إلى بيت إسرائيل نبي خلاص ولكن سيأتي بعدي مسيا المرسل من الله لكل العالم الذي لأجله خلق الله العالم وحينئذ يُسجد لله في كل العالم وتنال الرحمة ...» . وذلك مصداقا لما جاء في القرآن العظيم :﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦] وأحمد هو محمد والمحمود كلهم من (الحمد) ومقامه المحمود في الآخرة الذي يحمده الناس عليه لما ينالوا من خير عظيم .

ومصداقا لقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ : ٢٨] وقوله تعالى :﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧ ـ ١٠٨] .

وفي غير إنجيل القديس برنابا في التوراة والإنجيل الأصليين وهما غير متداولين الآن جاء فيهما ذكر محمد رسول الله وأصحابه الذين معه كما حدَّث القرآن في آخر سورة الفتح (الآية :٢٩) كالآتي :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:٢٩]

(١) الفصل (١٢٤) من إنجيل القديس برنابا .

(٢) وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه .

وكما حدَّث في (الآية ١٥٧) من سورة الأعراف كالآتي : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ وقد كان محمد بالمؤمنين رؤوف رحيم أما من تولى عنه وعن اتباعه فقد وجهه ربه في القرآن إلى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[التوبة :١٢٩] فمهمة النبي محمد كانت إبلاغ الرسالة لا السيطرة على الناس كما يقول ربنا في القرآن العظيم : ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾[الغاشية : ٢١-٢٢] فقد جاء محمد للناس كافة بالحق من الله في كتاب لا ريب فيه هدى للمتقين وترك الناس لعقولهم المميزة الصحيحة وقلوبهم المبصرة ومشيئتهم الحرة وفكرهم المستقل واختيارهم الحر ، دون تأثير من اي أحد عليهم، ليختاروا ما يشاؤون من إيمان أو كفر وتوحيد أو شرك وبيَّن لهم نبي الله محمد أنهم محاسبون ساعة الحساب في اليوم الآخر بعد البعث والقيامة بالثواب على سعيهم في الحياة الدنيا ينالون بعده الجزاء الحق المناسب بالثواب أو العقاب دون أن تزر وازرة وزر أخرى وإنما بموازين القسط ليوم القيامة وكما يقول القرآن العظيم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة :٧-٨] . كما يقول: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[الأنبياء:٤٧].

لقد جاء محمد صلوات الله وسلامه عليه بالحق من ربه في القران الكريم ولكن القرآن يقول :﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ [المؤمنون : ٧٠] ويقول :﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف :١٠٣] وأحب أن اذكر هنا أن الكنيسة الكاثوليكية كانت قد استنت عام ١٤٤٢م مبدأ يقول بأنه : «ليس ثمة خلاص خارج مملكتها» وقد استخلص من ذلك عالم

اللاهوث السويسري الدكتور هانز كونج (HANS KONG) وهو كاثوليكي معاصر شغل منصب رئيس مؤسسة الأخلاق العالمية منذ عام ١٩٩٥م ومدير معهد الأبحاث المسكوثية العالمية بجامعة توبيجن (TOBINGEN) بألمانيا ، استخلص نتيجة مفادها بطلان مقولة أنه «لا أنبياء خارج الكنيسة» خلافا لما انتهى إليه مجلس الفاتيكان الثاني (١٩٦٢ـ ١٩٦٥) من مقررات .

وأشار الدكتور هانز كونج إلى أن الإسلام هو كعهده دائما طريق حقيقي للخلاص ومن ثم لا يمكن للكنيسة أن تستمر في إنكار أن محمدا يعد نبيا حقيقيا بكل معنى الكلمة ويرى كونج أن محمدا هو المرشد القائد على طريق النجاة . ولكن نتيجة لذلك فقد عزل الفاتيكان هانز كونج من منصبه وحرَّم عليه تدريب مادة الديانة المسيحية خاصة وأنه كان وما زال يعتقد أن يسوع المسيح إنسان بشر ورسول وليس إلها أو ابنا للإله . وقد طلب هانز كونج من خصومه الساخطين في الكنيسة الكاثوليكية ـ بعد أن نشر كتابه الجديد «المسيحية والأديان العالمية» ـ أن يحاولوا فهم الإسلام وأن يؤدوا واجبهم ولو مرة واحدة تجاه هذه الديانة العالمية التي طال تجاهلها حتى الآن . وجملة تقرير الدكتور هانز كونج إن الغربيين والمستشرقين لا يعرفون إلا النذر اليسير جدا عن الإسلام اللهم إلا باستثناء قلة ضئيلة من المثقفين .

لقد جاء محمد رسول الله وخاتم الأنبياء للناس كافة وللذين تلقوا رسالات الرسل من قبل وحتى موسى وعيسى الذين يقال لهم أهل الكتاب ، جاءهم محمد رسول الله يبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب ويعفو عن كثير وجاءهم بكتاب خاتم لكل الكتب السابقة وهو نور وهداية وحق وكتاب مبين ومصدقًا لما سبقه من الكتب الإلهية في أصولها.

كتاب :﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة :١٦]

وهـم لا يجهلونـه بـل إن﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :١٤٦] يعرفـون محمـدا ﷺ صـلوات الله وسـلامه عليه بالنعوت المسطورة في التوراة والتي مـن جملتهـا أنـه يصـلي إلى القبلتـين ويعرفـون رسالته وزمن ظهوره ومكتوب في التوراة والإنجيل أنه الحق ومطلوب منهم أن يؤمنـوا به ...

ويذكر لنا فضيلة الإمام محمد متولي الشعراوي في تفسيره للقران : «إن كعـب الأحبار كان جالسا وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كـان موجـودا فسـأله عمـر : أكنتم تعرفونه يا كعب ؟ أي كنتم تعرفون محمـدا ﷺ ورسـالته وأوصـافه ؟ فقـال كعب وهو من أحبار اليهود : «أعرف كمعرفتي لابني ومعرفتي لمحمد أشد» فلما سألوه لماذا ؟ قال : «لأن ابنـي أخـاف أن تكـون امـرأتي خـانتني فيـه أمـا محمـد فأوصافه مذكورة بالدقة في التوراة بحيث لا نخطئه» . انتهى .

فأهل الكتاب يعرفون رسول ﷺ ويعرفون زمنه ورسالته والذين اسلموا مـنهم وآمنوا فعلوا ذلك عن اقتناع أما الذين لم يؤمنوا وكفروا بما جاء بـه رسـول الله ﷺ فمنهم الذين عرفوا ولكنهم كتموا ما يعرفونه ولـذلك يقـول الله عـنهم :﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :١٤٦] . انتهى .

وعد لبلاد العرب بنزول الوحي في مكة وأن سيكون لها مجدًا عظيمًا [1]:

ففي سنة ٧٠١ق.م وفي أرض السبي في بابل تنبأ النبـي إشـعياء بالإسـلام دينـا ودولة وبمكان ظهوره ففي سفر إشعياء في العهد القديم يتضح تمام بما لا يدع أي مجال للشك أو التأويل البشارة بمكة المكرمة ومجدها العظيم المنتظر :

(لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار لتترنم ، سـكان الجبـال

(١) كتاب «البشارات في كتب أهل الكتاب» للزميل العالم القدير الأستاذ محمد السادات والناشر الهيئة المصرية العاملة للكتاب .

ليهتفوا ويمجدوا السيد ، وليعلنوا حمده في الجـزر ، السـيد سـيخرج جبـارًا ويثيـر الحمية كرجل حرب ، ويهتف ويدوي ويسيطر على أعدائه) **إشعياء : ٤٢/ ١١ـ١٣**

وخلاصة هذه البشارة وبما يتضح منها جليا أن الديار التي سكنها قيدار الجـد الأكبر للعـرب ـ وأولاده وذريتـه سـيعلو شـانها ويرتفـع صـوتها بـالتكبير والأذان والشهادة بوحدانية الله وأحديته مع الشهادة لنبوة محمد ﷺ ورسالته وستترنم ديار العرب بذلك ويهتف بذلك من ورائها وبعدها من آمن بذلك من الإنسـانية جمعـاء سواء كانوا سكان جبال أم سكان جـزر ممجـدين الله ورسـالة رسـوله ـ وان هـذا الرسول الذي سيخرج على العالم من ديار قيدار وذريته سيكون فارس حـرب يثيـر الحمية يهتف مدويا بتكبير الله ووحدانيته وأحديته والدعوة إلى رسـالته وسـيقوى ويسيطر على أعداء دعوته .

ومن المتعارف عليه والمستقر والثابت تاريخيًا انه لم يخرج إلينا من الديار التي سكنها قيدار وأحفاده من العرب من ادعى الرسـالة والنبـوة وهتفـت بـه ومجدتـه ومدحته الإنسانية (وليعلنوا حمده في الجزر) بان قرنـت اسـمه ورسـالته بالشـهادة بوحدانية الله : (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) آناء الليـل وأطـراف النهار وهزم أعداء دعوته وقوى وسيطر عليهم سـوى محمـد ﷺ وأن أول ظهـور دعوته ورسالته كان في ديار مكة المكرمة التي سكنها جده الأكبر قيدار .

إن دلائل نبوة محمد ﷺ كانت مستقرة ومتظافرةً عند كثيـر مـن علمـاء النصـارى، وحكامهم ، ولذلك أذعنوا له وإن لم يؤمنوا به ، ولا أدل على ذلك مـن موقـف «هرقـل» وأسئلته الدقيقة التي تبين أن خبره ﷺ موجودٌ في كتبهم على وجه التفصيل ، وقد أعلن أنه نبي الله حقا ، ولكنه امتنع عن اتباعه إيثارًا للملك ـ كما يزعم .

ولم ينكر هؤلاء الحكام نبوته ، بل أرسل بعضهم وفوده لمطابقة أوصافه وأخباره بما جاء في كتبهم . وغاية ما ذكر عنهم ـ كما ذكر عن «هرقل» و«المقوقس» ـ أنهم يظنون أنه

سيخرج من الشام ، كما هو شان الأنبياء السابقين لا من أرض العرب .

الزعم بأن الإسلام دين كذب وأن محمدا لم يكن على حق :

لقد تحدث الكاتب الإنجليزي «كارلايل» في كتابه «الأبطال» ترجمة : المرحوم «محمد السباعي» في فصل مستفيض عن حياة الرسول محمد ﷺ ، وفيه يقول : «من العار أن يصغي أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين . إن دين الإسلام كذب ، وأن محمدًا لم يكن على حق . لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة.

فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ، ظلت سراجا منيرًا أربعة عشر قرنًا من الزمان ، لملايين كثيرة من الناس ، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين ، وماتت ، أكذوبة كاذبة ، أو خديعة مخادع ؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفًا وعبثًا ، وكان الأجدر بها ألا توجد .

هل رأيتم رجلاً كاذبًا ، يستطيع أن يخلق دينًا ، ويتعهده بالنشر بهذه الصورة ؟

إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتًا من الطوب ، لجهله بخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبينه إلا كومة من أخلاط هذه المواد ، فما بالك بالذي يبني بيتًا دعائمه هذه القرون العديدة ، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة من الناس ؟

وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمدًا رجلاً كاذبًا متصنعًا ، متذرعًا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع ... وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق .

وما كلمته إلا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ... وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

أحُب محمدًا ، لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن الصحراء مستقل

الرأي لا يعتمد إلا على نفسه ، ولا يدعى ما ليس فيه ، ولم يكن مكابرًا ولا ذليلاً ، فهو قائم في ثوبه المرقع ، كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم ، وقياصرة الروم ، يرشدهم إلى ما يجب عليهم لهذه الحياة ، والحياة الآخرة .

وما كان محمد بعاشق قط، ولا شاب قوله شائبة لعب ولهو، فكانت المسائل عنده مسألة فناء وبقاء ، أما التلاعب بالأقوال والعبث بالحقائق فما كان من عادته قط (١) .

ويقول الكونت «هنري دي كاستري» : أما صدق الرسول وسمو رسالته ، فقد أخذ كثير من رجال الكنيسة ومن رجال الاستعمار يشككون فيهما ، وبرغم الوضوح الواضح في صدق الرسول وفي سمو الرسالة الإسلامية ، فإن رجال الدين المسيحيين ورجال الاستعمار لا يزالون يبدأون ويعيدون في ترداد التشكيك . إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت : «والعقل يحار كيف يتأتي أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظًا ومعنى ، آيات لما سمعها عتبة بن ربيعة حار في جمالها ، وكفى رفيع عبارتها لإقناع عمر بن الخطاب ، فآمن برب قائلها ، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب بسورة مريم ، وما جاء في ولاية يحيى ، وصاح القسيس : إن هذا الكلام وارد من موارد كلام عيسى !» .

وقال «كوزان دي بير سوفال» : «فلما كان اليوم الثاني طلب النجاشي جعفر ، وأشار إليه بتلاوة ما في القرآن عن المسيح ففعل ، واستغرب الملك لما سمع أن المسيح : عبد الله ورسوله ، وروح منه ، نزل في أمه مريم ، وأعجب أشد الإعجاب بهذه المعاني وحَمى المسلمين ، ولم يُسلمهم إلى رسل قريش ، ولم ينفهم من بلاده .

---

(١) انظر : عبد الحليم محمود . أوربا والإسلام . ص٦١ . ٦٢ . دار المعارف . القاهرة ط٣ . ١٩٨٦م .

٥٠- نساء النبي ﷺ أمهات المؤمنين

إن التفضيل الذي حباه الله نساء النبي والتكريم الذي حباهن الله به هو بسبب كونهن زوجات الرسول وليس لأشخاصهن . ولذلك سماهن القرآن وناداهن بنساء النبي ، بينما خاطب القرآن النبي ﷺ في نسائه قائلا له :﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب :٢٨] فهن في حد ذواتهم وبالنسبة لأنفسهن زوجات ونساء عاديات ... ولكنهن أصبحن بمقتضى صلتهن الزوجية بالنبي ﷺ ، نساء متميزات على العالمين ، لسن كأحد غيرهن من النساء ، ولذلك كان العذاب بالنسبة لهن ـ لو كان سيقع ـ مضاعفًا عنه بالنسبة لسائر المؤمنات ، وكان الثواب لهن أضعاف ثواب النساء العاديات ؛ لأنهن كن يعايشن آيات الله تتلى في بيوتهن ، وكذلك الحكمة النبوية كانت تقال في بيوتهن . وكل الصفات والخصائص التي ميز بها القرآن نساء النبي ، وكل آداب التوجيه المتعلقة بهن كانت بسبب كونهن زوجات النبي ؛ أي كانت بسبب الصلة التي تربطهن بهذا الرسول الكريم ذي الخلق العظيم، وخاصة كونهن أمهات المؤمنين ونساءه ؛ أي نساء النبي ﷺ :﴿أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب :٦] أي أمهات المؤمنين . وحرم الله بسبب حبه للنبي وتكريمه له ، على غيره أن يتزوج احد من نسائه من بعده ليحفظ مكانة هذا النبي من أن يمسَسْها بشر من الناس.

وفي سورة التحريم نزل ما نعرف من تقرير القرآن :﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ

أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾ [التحريم :٥] وهذه الخصائص من الرفعة النفسية والروحية هي المقومات الأساسية التي ينبغي أن تتحلى بها من تكون زوجة للنبي حتى يمكنها أن تعايش هذا الرسول في مستواه الروحي الذي كان يتمتع به ، وحتى تستطيع أن تصبر على حياة الدعوة وحياة الوحي وحياة تلاوة القرآن والحكمة النبوية وحياة الذكر والعبادة والتسبيح ... وكلهم قوام الصلة الروحانية العالية التي كانت تربط هذا النبي المختار بربه سبحانه وتعالى .. ولذلك قرر القرآن الحقيقة الخالدة في شان هذا النبي ﷺ عندما تظاهرت عليه اثنتان من زوجاته هما عائشة وحفصة ، فقرر أن﴿ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم :٤] .

أي عظمة تلك التي يكون فيها إنسان بهذا القدر من الرعاية والحماية والنصرة من الإله تبارك وتعالى ، لمجرد أن زوجات هذا الرسول مالت قلوبهن إلى ما يكرهه هذا النبي ، وعلم الله مشاعر نبيه النفسية وإيذاء اثنتين من زوجاته ، له فنزل التقرير القرآني الخالد السالف الذكر مجلجلا مدويا بما تقرر﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم :٤] .

والعلاقة التي يبرزها القرآن ويركز عليها فيما بين النبي وأزواجه هي علاقة «المؤمنات» بالمختار رسولا من عند الله . وهي كما يظهر من كافة التقريرات القرآنية علاقة سامية تقتصر على الإطار الرباني الذي يضفي على هذه العلاقة سمات الروحانية والأخلاقيات والقيم العالية التي تتعدى نوزاع الغريزة وحدها التي تحكم العلاقة العادية بين الأزواج وزوجاتهم . وقد فات المستشرقين الذين تناولوا حياة الرسول مع زوجاته أن يفهموا هذه الظاهرة ، وذلك عن عدم علم وإلمام بآيات الذكر الحكيم المنزلة بالبيان العربي الغريب عليهم ، هذا إذا افترضنا

حسن النية عندهم ، والذي نشك في توافره .

من أجل هذه العلاقة الربانية الأساس والجوهر ، الروحية المقصد والطبيعة ، كانت التوجيهان القرآنية ؛ هؤلاء الزوجات في مقام غير عادي ، مقام يعلو ويغاير مقام سائر النساء﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ ﴾ [الأحزاب :٣٢] مطلوب منهن أعباء وواجبات وأخلاقيات وسلوكيات تغاير مثيلها عن سائر النساء ... وذلك كله تعظيما لشخص النبي ﷺ وحفاظا على مقامه ومشاعره التي يعتبر العرض فيها عنصرا جوهريا . هو عنصر جوهري عند العاديين من الرجال ، فما بالك بأشرف الرجال وأحبهم إلى الله تبارك وتعالى ! هذا الطابع الروحاني الرباني الذي يسموا بعلاقة الرسول من نوازع الغريزة إلى سماء الروحانية والقيم والأخلاقيات والسلوكيات المرتبطة بطاعة الله ، وذكر الله وعبادته وتسبيحه واستيعاب مفاهيم الآيات القرآنية والحكمة التي تتلى في بيوت النبي في الخلوة محمدية . وهذه حكمة أن تكون زوجات النبي من اللائي يتلى في بيوتهن آيات الذكر الحكيم والحكمة النبوية التي ينطق بها النبي في خلوته المنزلية لا يشغله شاغل من شواغل الدعوة في واقع الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها هذا النبي في ذلك الوقت من تاريخ الأرض وفي هذه البقعة المباركة من امتداد الأرض الجغرافي . ويبدو أن ذلك هو أحد الأسباب الأساسية في ان بعضا من زوجات النبي كن فقيهات في الدين كالسيدة عائشة رضي الله عنها . وسورة الأحزاب فيها بعض من آيات الذكر الحكيم نزلت قرآنا يوضح هذه السمة البارزة التي شرحناها في علاقة النبي بزوجاته فهي تقرر في الآيتين ٢٨ و٢٩ ما يلي :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ـ٢٩] . أي معنى أسمى من هذا المعنى الذي تتجلى فيه بوضوح فكرة التوجه الكلي من زوجات النبي إلى الله ورسوله والحياة الأخرى ، وليس إلى زينات

الأرض وزينة الحياة الدنيا .. وبعد هذا يقرر القرآن في آيات متتالية من نفس السورة ـ سورة الأحزاب ـ القواعد الأساسية في أوضاع زوجات الرسول باعتبارهن زوجات محمد رسول الله ﷺ :﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب : ٣٠ـ٣٢] . ثم تأتي الغاية من ذلك كله .. وهي غاية ذات سبب هو اتصال هؤلاء الزوجات بشخص النبي وبيته ويسميهم القرآن :﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب : ٣٣] أي أهل بيت رسول الله﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب :٣٣ـ٣٤] . أن محمدا ليس أبا أحد من رجالكم ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب :٤٠] . وحقيقة محمد ﷺ كانت جامعة بين بشريته ونبوته ورسوليته وسراجيته المنيرة ومن هنا فإن منزلة محمد ﷺ لا تحتاج إلى وصف أو صفة أو تعريف أكثر من أنه (رسول الله وخاتم النبيين) وهي الحقيقة المحمدية التي نزلت بها الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

حكمة رائدة

إن الرسول ﷺ لم يتزوج إحداهنَّ إلا لأسباب دينية ، ومقاصد أخروية لا تمت إلى الشهوة بسبب ، ولا تتصل إلى الميل للنساء بصلة . لقد كانت الأوضاع والعادات والظروف وطبيعة العلاقات والصلات في المجتمع الذي بعث الله فيه محمدًا تقتضي بل تفرض عليه أن يكسب الدعم والتأييد من سادات العرب وأساطين الرجال من كبرى وأقوى القبائل في الجزيرة العربية للانحياز إليه وإلى نصرته ونصرة دينه وإبلاغ رسالته ونصرته على معارضيه والكافرين به والمشركين

بربهم وحتى إقامة دولته وهكذا مثلاً صاهر النبي أبا بكر وعمر وعلي ابن أبي طالب وعثمان بن عفان وغيرهم لأنه كانت تقاليد العرب احترام المصاهرة وفي مناوئتها أو محاربتها سبة وعار على أنفسهم.

وهكذا مثلاً كان الأمر مع أم سلمة من بني مخزوم وهي إلى أبي جهل وخالد بن الوليد وضع أم حبيبة بنت أبي سفيان ومع جويرية وصفية بالنسبة لقبيلتي بني المصطلق وبني النضير .

هذا عدا أن هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحِكَم ، وهي نشر الأحكام الخاصة بالنساء والتي لا يستطيع تبليغها الرجال ، كالطهارة والغسل والحيض ، والنفاس ، والولادة والرضاع إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يستطيع إفهامها النساء ـ على وجهها الأكمل ـ سوى النساء .

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المؤمنين ـ على اختلاف طبقاتهم في ذلك الحين ـ امرأة واحدة ، بل عدة نساء ، من عدة قبائل ، وبذلك يتم ما أرداه الله تعالى من إظهاره نوره وبسط شرائعه . يزكهن النبي ويربيهن ويعلمهم الشرائع والأحكام ويثقفهن بثقافة الإسلام فيعدهن لتربية البدويات والحضريات العجائز منهن والشابات فيكفين مؤنة التبليغ في النساء والمرأة لم تشغل محمدًا عن دينه ودعوته ورسالته والمبادئ التي دعا لها .

وقد أوشك أن يطلق نساءه أو يخيرهن في الطلاق لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة فقد آثر معيشة الكفاف والقناعة على إرضاء نسائه بالتوسعة التي كانت في وسعه ولكنه كان زاهدًا طوال حياته في زينة الحياة الدنيا.

وقد ثبت أنهن أذعن عنه ﷺ علما وفضلا وفقها . ولو كان ﷺ يريد بالتعدد ما يريده سائر الملوك والأمراء ـ من التمتع واللذة ليس غير ، لانتخب الحسان

الأبكار والكواعب والأتراب ، ولم يتجه صوب هؤلاء الثيبات المكتملات .

فقد عاشرهن السنين الطوال . فلم تفلت من لسانه الكلمة النابية . بل الكلمة الرقيقة . ولم تبد على سماته النظرة القاسية بل النظرة الحانية .

وما من رجل ـ بالغ من المروءة والرقة وسعة الصدر ما بلغ ـ إلا واستحال رضاه إلى غضب في ساعة ما . وبدا منه التذمر والضجر إزاء تصرف ما ـ وبدرت منه بوادر الشر ونذر السوء حيال عمل ما .

ولكن الرسول ﷺ الذي أوتى جماع الفضائل ، وبعث ليتمم مكارم الأخلاق .. الرسول الذي أرسل من البشر ليعلي من أقدار البشر ، ويرفع من شأنهم ويسمو بنوعهم لم يكن كذلك .

إن محمدًا لم يتزوج بكرًا قط غير عائشة رضي الله عنها ولم يكن زواجه بها مقصودًا في بداية الأمر حتى رغبته فيه خولة بنت حكيم التي عرضت عليه الزواج بعد وفاة السيدة خديجة ، فقد بقي محمد إلى نحو الخامسة والعشرين لم يتصف في طلب الزواج الحلال وهو متيسر له وكان متصفًا طوال هذه الفترة من حياته بالطهر والعفة لم يستبح لنفسه ما كان شباب الجاهلية يسبيحونه لأنفسهم من اللهو والمتعة ، ولما تزوج محمد في تلك السن كان زواجه بسيدة في الأربعين اكتفى بها إلى أن توفيت وهو يجاوز الخمسين عامًا وفي كل زيجاته اختار أحسابًا في حاجة إلى التآلف أو الرعاية ولم يختر جمالاً مطلوبًا للمتاع وكان في استطاعته بعد وفاة السيدة خديجة وهو نبي أن يجمع فتيات ابكار اشتهرن بجمالهن في مكة أو المدينة أو غيرهما في الجزيرة العربية .

ولم يكن وفاء النبي للسيدة خديجة وفاء إنسان للذات الحس أو ذكرى متاع جميل لأنه فضلها على عائشة في صباها وهي أحب نسائه إليه وكانت عائشة تغار

منها في قبرها ولم يكتمها قط أنه يفضلها عليها ، قالت له مرة «هل كانت إلا عجوزًا بدلك الله خيرًا منها» فقال لها مغضبًا : «لا والله ما أبدلني الله خيرًا منها آمنت بي إذ كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء» وهذا وفاء قلب إنسان لم يمحو ذكراها.

وأما زينب بنت جحش ابنة عمته التي زوجها زيدًا بن حارثة بأمرة وعلى غير رضا منها لأنها أنفت وهي ما هي في الحسب والقرابة من النبي – أن يتزوجها غلام عتيق ، فزواج النبي بها كان له أسبابه في التشريع الديني الخاص بالتبني وكان حلاً لمشكلة زوجية مستعصية وقد كان من اليسير على النبي أن يتزوجها ابتداءًا ولا يروضها على قبول زيد وهي تأباه . فقد كانت ابنة عمته يراها من طفولتها ولا يفاجئه من حسنها شيء كان يجهله يوم عرض عليها زيدًا وشدَّد عليها في قبوله ، وقد تجافى الزوجان بعد ذلك وتعذر التوفيق بينهما وتكررت شكوى زيد من إعراضها عنه وترفعها عليه وإغلاظ القول له . فكان ما كان من الأحداث بأمر الله الذي وضحه القرآن.

لقد كان البيت النبوي في مكة قبل الهجرة يتألف منه عليه الصلاة والسلام ومن زوجته السيدة خديجة بنت خويلد (التي كانت أرملة قد تزوجت مرتين من زوجين قبل النبي) وقد تزوجها وهو في الخمس وعشرين وهي في الأربعين لم يتزوج معها غيرها حتى وفاتها وكان له منها أبناء وبنات . الأبناء لم يعش منهم أحد والبنات هن (زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة) التي تزوجها علي بن أبي طالب ومنها كان الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم .

فإن سائر زوجاته عليه السلام وباستثناء عائشة بنت أبي بكر الصديق والصاحب في المعية الإلهية في خلوة الغار وسند النبي في الدعوة، كان لزواجه بهن

سبب من المصلحة العامة أو من المروءة والنخوة. وكـذلك زينـب بنـت جحـش التي كان زواجه بها عن كره منه وحرج لتقدير تشريع إسلامي بتحريم التبنـي بـأمر الله سبحانه وتعالى وكما بيناه في الصفحة السابقة (صفحة ٢٤٠) من كتابنا.

فأم سلمة كانت كهلة مسنة يوم خطبها ، كما قالت له معتذرة إليه لإعفائـه مـن تكليف نفسه أن يتزوجها، جبرًا لخاطرها بعد موت زوجها عبد الله المخزومي من جرح أصابه في غزوة أحد. ولما برح بها الحزن لوفاتـه واسـاها رسـول الله قـائلاً : «سلي أن يؤجرك في مصيبتك وأن يخلفك خيرًا».

فقالت : «ومَنْ يكون خيرًا من أبي سلمة؟» فأوجب عـلى نفسـه خطبتهـا لأنهـا تعلم أنه خير من أبي سلمة ، ولأنـه يعلـم أن أبـا بكـر وعمـر خطباهـا فترفقـت في الاعتذار ، وهما أعظم المسلمين قدرًا بعد النبي عليه السلام.

وجويرية بنت الحارث سيد قومه كانت إحدى السبايا في غزوة بني المصـطلق فتزوجها النبي ليعتقها ويحض المسلمين على عتق أسراهم وسباياهم تفريجًا عنهم وتأليفًا لقلوبهم ، فأسلموا جميعًا وحسن إسلامهم ، وخيَّرها أبوها بين العـودة إليـه والبقاء في حرم رسول الله فاختارت البقاء في حرم رسول الله .

وحفصة بنت عمر مات زوجها، فعرضها أبوها عـلى أبـي بكـر فسـكت وعـلى عثمان فسكت. وبثَّ عمر أسفه للنبي فلم يكن للنبي عليـه السـلام أن يضـنَّ عـلى وليه وصديقه بالمصاهرة التي شرف بها أبا بكر من قبله، وقال : «يتزوج حفصه مَنْ هو خير من أبي بكر وعثمان» .

ورملة بنت أبي سفيان تركت أباها لتسلم وتركت وطنها لتهاجر مع زوجها إلى الحبشة ، ثم تنصَّر زوجها وفارقها وهي غريبة هناك بغير عائل . فأرسـل النبـي إلى النجاشي في طلبها لينقذها من ضياع الغربة وضياع الأهل وضياع القرين. فكانـت

النجدة الإنسانية باعث هذا الزواج ولم يكن له باعث من المتعة والاستزادة من النساء . وكان للنبي مقصد جليل من وراء هذا الزواج الذي لم يفكر فيه حتى ألجأته النجدة إلى التفكير فيه ، وهو أن يصل بينه وبين أبي سفيان بآصرة النسب عسى أن يهديه ذلك إلى الدين ، بما يعطف من قلبه ويرضى من كبريائه.

وكان إعزاز مَنْ ذلُّوا بعد عزة : سنة النبي عليه السلام في معاملة جميع الناس ولا سيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقد الحماة والأقرباء ، ولهذا خيَّر صفية الإسرائيلية سيدة بني قريظة بين أن يُلحقها بأهلها وأن يعتقها ويتزوج بها ، فاختارت الزواج منه عليه السلام .

وأما سودة بنت زمعة فهي أولى النساء اللاتي تزوجهن بعد وفاة خديجة وكان زوجها الأول هو ابن عمها توفي وتركها أرملة ومن أسبق النساء إلى الإسلام وآمنت وهجرت أهلها فضمها النبي إليه حماية لها وتأليفًا لأعدائه .

إن الإنسانية ستذكر لمحمد صلوات الله وسلامه عليه أنه اتسم بالطهر والعفة في شبابه فلم يستبح قط لنفسه ما كان شباب الجاهلية يستبيحونه لأنفسهم من اللهو المطروق لكل طارق ، في غير مشقة عندهم ولا معابة.

وستذكر أنه بقي إلى نحو الخامسة والعشرين لم يتعسف في طلب الزواج الحلال وهو ميسَّر تيسُّره لكل فتى وسيم حسيب منظور إليه بين الأسر وبين الفتيات .

وستذكر أنه لما تزوج في تلك السن كان زواجه بسيدة في الأربعين اكتفى بها إلى أن توفيت وهو يجاوز الخمسين وظلت ذكراها في قلبه طوال حياته .

وستذكر أنه اختار أحسابًا في حاجة إلى التآلف أو الرعاية لم يختر جمالاً مطلوبًا للمتاع.

وستذكر أن الرجل الذي وصفه المغرضون والكارهون والمنكرون لنبويته بما وصفوا من تغليب لذات الحس لم يكن يشبع في بعض أيامه من خبز الشعير ، ولم يجاوز حياة القناعة قط لإرضاء نسائه وإرضاء نفسه، ولو شاء لما كلفه إرضاء نفسه وإرضاؤهن غيرَ القليل بالقياس إلى ما في يديه.

ستذكر الإنسانية كل هذا وهو ثابت في التاريخ وموثق ومؤثوق به لا يغيب عن أحد.

خاتمة

وفي الختام ، وبعد أن عشنا في هذا الكتاب مع (محمد) رسول الله ﷺ تتضح الحقيقة الخالدة المتمثلة في أن محمدا رسول الله هو احد المحاور الثلاثة التي يدور حولها الدين الإسلامي وهي الله والرسول والقران . وإذا كان المحور الثلاثي يتكون من الله ورسوله والقرآن فإن الطاعة لله سبحانه وتعالى تقترن دائما بالطاعة لرسوله ﷺ كما تقترن الطاعة لرسول الله ﷺ بالطاعة للقرآن ونصوص القرآن الذي هو كلام الله الموحي به إلى رسوله باللفظ والمعنى يوضح هذه العلاقة في كثير من آياته التي نورد منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات التالية :

١ـ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[آل عمران :١٣٢] .

٢ـ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾[النساء :٦٩] .

٣ـ ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾[النساء :٨٠].

٤ـ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة : ٩٢] .

٥ـ ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النور :٥٤] .

٦ـ ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[محمد :٣٢] .

٧ـ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[النساء :١٣] .

٨ـ ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[النساء :١٤] .

٩ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ﴾[النساء : ١٣٦] .

١٠ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال:٢٠] .

١١ـ ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ ﴾[الأنفال :٤٦] .

١٢ـ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب :٧١] .

وشان الرسول في هذا هو شان السابقين عليه من الأنبياء والرسل إذ يوضح لنا القرآن أن الله أرسل رسله إلى البشر ليوجهوهم نحو عبادة الله وحده ، والإيمان به وباليوم الآخر وأوجب الله لذلك على البشر طاعة الأنبياء والرسل :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [النساء : ٦٤] ولما كان محمد ﷺ هو الرسول الخاتم وكان القرآن هو كتاب الله الخاتم ، ولما كان محمد ﷺ مرسلاً إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا فإنه يكون من البديهي والمفروض على كل فرد من أفراد الإنسانية أن يؤمن برسالته وبالكتاب الذي نزل عليه في إطار الطاعة لشخصه النبوي وللمنهج الذي جاء به هذا الكتاب خاصة وأن الكتابين اللذين سبقا القرآن،

وهما التوراة والإنجيل ، قد بشَّرا بنصوص واضحة لا تحتمل التأويل بهذا الرسول الخاتم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] وخاصة أيضا وأن الله سبحانه وتعالى قد أخذ على الرسل والأنبياء السابقين جميعهم الميثاق ، بان يؤمنوا بمحمد وينصروه إذا أدركوا زمان رسالته وهو ما يوضحه القران في تقريره التالي :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] .

ومن ناحية أخرى فإنه يكون من الواجب على المؤمنين بالله ورسوله والقرآن أن يؤمنوا بكافة الأنبياء والرسل السابقين وآخرهم النبي موسى ومن بعده النبي عيسى المكمل للناموس الموسوي والكتب التي نزلت عليهم وهو الأمر الذي يقرر القرآن في شأنه﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١٣٦] . وسبيل الرسول هو سبيل المؤمنين به وبالإله الذي أرسله وبالكتاب الذي أنزله الله على قلبه .

وفي إطار طاعة الرسول يمكننا أن نفهم عاقبة عدم الطاعة ، ويمكننا أن نفهم عاقبة من يشاقق الرسول ، وهي عاقبة وضحها لنا القرآن في سورة النساء :﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء :١١٥] ، والعاقبة هنا خاصة بالذين شاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى ، فألئك صنف من الناس عرفوا الحق في قلوبهم واستيقنته نفوسهم ، وقبلته عقولهم ، لكنهم لأسباب كثيرة جحدوا هذا الحق الذي عرفوه

واتضح لهم جليًا ولم يكونوا سلبيين تجاه الرسول ورسالته ، وإنما اختـاروا سـبيلا مضادا لهذا الرسول ولدعوته ، فعادوه معاداة إيجابية عديدة المسـالك والمظـاهر .. ولمنهاجه .. هؤلاء يتركهم الله تبارك وتعالى يستمرون في سبيلهم الذي اختـاروه في الحياة الدنيا .. وهم لن يضروا الله ورسوله شـيئا .. ولكـن يضـرون أنفسـهم .. لأن مصيرهم في الحياة الآخرة هو العذاب الأليم في النار وهو مصير سـيء للغايـة يقول الله في القـران الكـريم عـن أهلـه : ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء :١١٥] فهؤلاء صنف من الناس تؤثر على أفكـارهم وتـؤثر عـلى سـلوكهم مصالحهم الشخصية البحتة ، أو إملاءات الرؤساء والآباء الدينين الذين يحتكرون المفاهيم الدينية ويعبـدون الأتبـاع لهـم وينـدفعون في الحيـاة مـن وحـي المركـز والمصلحة والسيطرة والسلطة والحقد والتعالى .. يعـادون الحـق وقـد عرفـوه في نفوسهم.. يكشـف القـرآن مـؤامرتهم وبـاطن نوايـاهم حـين يقـرر لنـا في شـأنهم ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [النمـــل :١٤] فهم قد عرفوا الحق ولكنهم كرهوه وحاربوه .

وعندما يقرر القرآن في شان الرسول : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى :٥٢] ثـــم يقـــرر في شـــأنه أيضـــا ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص :٥٦] . فإنه يقرر أمرين مختلفين في شأن الهدايـة . الأولى هدايـة البيـان والإبلاغ الحق ، والثانية هداية الإتباع . فالرسـول يهـدي النـاس جميعـا إلى الحـق القرآني ببيانه كما أوحى إليه وبإبلاغه للناس كافة ، هو دوره الذي أدّاه ﷺ تمامـا ، وقال في شأنه في حجة الوداع «اللهم هل بلغت اللهم فاشـهد» . أمـا الهدايـة التـي تتصل بالسلوك والاقتداء وهي هداية الاتباع ، فهذه أمرها إلى الله تبارك وتعالى ، هو الذي يملكها وحده بمشيئته التي لا تدخل فيها من جانب أي مخلوق . فـإرادة الله

سابقة على إرادة الإنسان لأن الإنسان لا يحقق ما يريد ويشاء إلا أن يريده ويشاؤه الله بدءا بسر﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الإنسان :٣٠] والله محيط بالمستويات المختلفة في عمق الوعي الإنساني الظاهر والباطن في مستويات البعد النفسي والعقلي في الإنسان ذاته . وليس يعني ذلك أن الإنسان مسيَّر في إرادته التي لا يملكها في الحقيقة .. فالإنسان له إرادة حُرَّة تعمل في استقلال ذاتي ؛ أي في استقلال في إطار الذات الإنسانية الحرة الواحدة ، والتي تختار وتفعل ما تشاء كما خلقها الله وهيأها الله ولكن الإنسان لا يدرك الكيفية التي تتصل بها إرادته الحرة بإرادة الله تبارك وتعالى ، لسبب بسيط وهو أن الإنسان لا يدرك ذات الله تبارك وتعالى ، ومن ذلك لا يدرك الكيفية التي تسبق بها إرادة الله إرادته هو ، ومن عدم الإدراك هذا ينبع الشعور والإحساس بالحرية والاستقلالية في أرادة الإنسان . أي أنه هو مستقل في أطار الأبعاد التي يعيش فيها ويأتي فيها لنشاطه الفكري والجسماني ، وحركته الفكرية والجسمانية نابعة من مصادر دافعة عديدة تتصل بتركيبه الفسيولوجي ذاته وصلته بالبيئة التي يتصل بها ، فأفكاره ومعتقداته وسلوكياته نابعة من مصدر داخلي ذاتي يتصل بالحقائق الخارجية يكونان معا السلوك الفردي الذي يبدو مستقلا ويبدو معه الإنسان حرّا ذا إرادة فعالة وإيجابية في الحياة ، وفي هذا التركيب الفسيولوجي الإنساني يعتبر المخ هو المحرك الأساسي ، وهو يكتسب خصائصه من الوعي العقلي والروحي من خلال طاقات عديدة موجودة هي من خلق وإيجاد الله وصنعه .

هذه الطاقات تعتبر عنصرا خارجيا مستقلا عن الإنسان ، ومن ثم فإن إرادة الإنسان الحرة ترتبط في حركتها بمصادر من الطاقة لا دخل لإرادة الإنسان فيها . أو بمعنى آخر إرادة الإنسان لم توجد هذه الطاقات ولم تتدخل لتقيم الصلة بين هذه الطاقات والحركة الإنسانية الفكرية والسلوكية الجسمانية ، كما تنبع من نشاط

المخ والجهاز العصبي بصفة عامة في تسوية الله للإنسان ونفخ الروح فيه وحدها وهذه الطاقات بدورها لم توجد مستقلة في الكون وإنما لها بداية وجودية في الزمان. هذه البداية الوجودية متصلة بالموجود الأول الواجب الوجود لذاته [1]، والذي يعتبر موجد الإرادة الإنسانية الحرة المستقلة والسبب في وجود هذه الإرادة في هذه الحالة من الحرية والاستقلال ، هذه الطاقات المختلفة نشأت ووجدت من مصدر يتصف بالقوة والمتانة المطلقة والإرادة الحرة المطلقة والاستقلال المطلق والوحدانية المطلقة .. والقوة صفة للقوي . والقوى اسم من أسماء الله الحسنى والله رمز على الذات . والذات هو الوجود الواجب الذي يفتقر إليه كل وجود مغاير ونفس الشيء بالنسبة للإرادة التي هي صفة للمريد . والمريد اسم من أسماء الله الحسنى ، وكذلك الاستقلال حيث إن الله لا يتخذ عضدا فهو واحد لا شريك له كما أنه لم يُشهد أحدا خلق الكون ، فالإنسان إذن حُرّ الإرادة . ولكن أرادته مرتبطة بنشاط وفعل طاقات معينة ليست من خلقه هو . وقد أعدَّ الله الخالق الإنسان ذاته بكيفية خلقية يمكنها أن تتجاوب مع هذه الطاقات ليمارس نشاطه في حرية واستقلال . وهذه الطاقات في تفاعلها مع الكيان الإنساني تؤدي دورا وظيفيًا محددا بالنسبة لعلاقتها بهذا الكيان ، ومصدر هذه الطاقات هو (الله) الاسم العَلم الدال على الذات كما قلنا والمعبر عنه باللغة العربة بلفظ الجلالة «الله» الذي هو اسم علم على الذات ، تماما كما يُرمز إلى الذات بأسماء أخرى باللغات الأخرى وإن اختلف أحيانا المضمون الذي يفهمه الإنسان بلغته عن الذات تبارك وتعالى الذي جاء في القرآن أو في أحاديث النبي محمد ومن هنا فإن الإنسان حين يريد فإنه تسبقه إرادة الله سبحانه وتعالى ، وحين يختار يسبقه اختيار الله تعالى وحين يشاء

(١) واجب الوجود لذاته هو (الله) الذي لا يحتاج لسبب أو لعلة أو لغيره في وجوده على عكس ممكن الوجود .

فإنه تسبقه مشيئة الله تبارك وتعالى . ذلك كله يلقي ضوءا عـلى مـا يقـرره القـرآن في نصوص مثل :

١ ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الإنسان : ٣٠] هكذا مطلق المشيئة والإرادة .

٢ ـ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[البقرة : ٢٥٥] هكذا في العلوم .

٣ ـ ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[الأنعام : ١٢٥] هكذا في الهداية إلى الدين الحق .

٤ ـ ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف : ٢٣ـ٢٤] هكذا في السلوك في المستقبل بالنسبة للإنسان .

ولما كانت الطاقات الطبيعية لا وعي لها سواء بعقل أو روح ، ومع ذلك فإن لها أنشطة معينة محسوبة ومقدرة ، فإن المصدر الذي يهديها إلى سلوكها هو الله موجدها سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[طه :٥٠] والذي يملك العطاء يملك السلب ، ومن ثم فإن هذه الطاقات تحتاج دائما إلى التأثير الأساسي والتدخل المستمر لله الحي القيوم لتظل تؤدي وظائفها في الكون ... وهي تستمد قوتها الطاقية من اسم من الأسماء هو القوي ... كما تستمد في خصائصها ووظائفها من الاسم الإلهي المقابل ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى ذو تأثير إيجابي مستمر في الكون كله وهو يعلم لذلك كل صغيرة وكبيرة مما يظهر ومما يبطن في هذا الكون﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس :٦١] . ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[لقمان :١٦] وإدراك هذه الحقيقة أمره بسيط إذ أن خالق الشيء أو صانع الشيء يعلم دقائقه الداخلية والخارجية علما شاملا

محيطا ... وهكذا الله الخالق مع خلقه وهي الحقيقة التي يقول فيها القران :﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ [الملك :١٤] هكذا بالنسبة للكون وهكذا بالنسبة لكل الكائنات بما فيها الإنسان .

فكما كان يقول فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق الدكتور عبد الحليم محمود : «فإن حب سيدنا رسول الله هو إيثار ما يجب واتباع هديه والعمل بسنته وإيثار هذه الأمور على الآباء والأبناء وغيرهم ممن يحبهم الإنسان وفي هذا يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري : «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» كما وإن طاعة رسول الله مقدمة على طاعة كل إنسان لنفسه في كل أمر من أمور الدين والدنيا وقد بين الله هذا المعنى في القرآن الكريم في غير موضع فقال مثلا :﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠] ، وقال : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء : ٦٥] ، والتحكيم ـ كما يستطرد فضيلة شيخ الأزهر الراحل الدكتور عبد الحليم محمود ـ إذا كان للرسول ﷺ في حال حياته فإنه لسنته وتعاليمه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى حتى أنه ليمكن أن يقال إن الرسول حي بين أظهرنا في أقواله وأفعاله وأحواله تقود من اتبع هديه والتزم بسنته إلى قداديس الخلود» . انتهى .

يقول الله تعالى : ﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥ ﴾ [آل عمران:١٠١] إننا في دنيانا متحققين ومتميزين بأمرين :

(١) تتلى علينا آيات الله في كتابه القرآن العظيم.

(٢) فينا رسوله .

إن الحقيقة التي تشير إليها الآية السابقة هي أن رسول الله الذي كان موجودًا في زمانه لا يزال فينا في زماننا ليس بشخصه البشري الذي مات وتوفاه الله وإنما بحقيقته الروحية النورانية (سراجًا منيرًا) وبموضوعه في سنته وأخلاقه وتوجهاته في أوامره ونواهيه وفي النور الذي أنزل معه (القرآن العظيم) . إن معنى (وفيكم رسوله) في الآية تجعلنا في استشعار مستمر وتيقن حقيقي واتباع دائم لحضرة رسول الله فيما جاء به ودعا إليه من الصراط المستقيم والهدي المستديم في القرآن العظيم وفي سنته القولية والعملية والحالية والتقريرية بقدر ما نستطيع وبقدر حبنا لربنا ولرسوله في يقين : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١] وفي يقين : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» ، كما روي البخاري ، أن النبي الرسول (فينا) بقدر ما نعرف ونذكر من الصفات البشرية والخصائص النبوية والرسولية وإشعاعات النور الهادي في سراجيته المنيرة وما معه من نور كتاب الله باتباع لهديه دون سواه حتى لا يرتفع صوتنا على صوت رسول الله ولا يختلف طريقنا في الدنيا عن طريقه ولا توجهنا عن توجهه وحتى لا نكون في (شقاق) معه ﷺ لأن ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

إن من أبرز صفات النبي محمد ﷺ في بشريته والتي استحق بها وصف ربه له ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]. الصفات التالية :

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان ، وبلاغة القول ، وكان من ذلك بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل ، سلامة طبع ، ونصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معان ، وقلة تكلف ، أوتى جوامع الكلم ، وخص ببدائع الحكم ، وعلم ألسنة العرب ، يخاطب كل قبيلة بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، اجتمعت له قوة

عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها ، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي .

وكان الحلم والاحتمال ، والعفو عند المقدرة ، والصبر على المكاره ، صفاتٌ أدبه الله بها ، وكل حليم قد عرفت منه زلة ، وحفظت عنه هفوة ، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبرا ، وعلى إسراف الجاهل إلا حلما ، وقالت عائشة : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها [١]، وكان أبعد الناس غضبًا ، وأسرعهم رضًا .

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره ، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر ، قال ابن عباس : كان النبي ﷺ أجود الناس ، وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[٢] ، وقال جابر : ما سئل شيئًا قط فقال : لا [٣].

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل ، كان أشجع الناس ، حضر المواقف الصعبة ، وفر عن الكُماة والأبطال غير مرة ، وهو ثابت لا يبرح ، ومقبل لا يدبر ، ولا يتزحزح ، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فَرَّة ، وحفظت عنه جولة سواه ، قال علي : كنا إذا حمى البأس واحمرت الحَدَقُ ، اتقينا

(١) صحيح البخاري : ١/ ٥٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ١/ ٥٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ١/ ٥٠٢ .

برسول الله ﷺ فما يكون احد أقرب إلى العدو منه[1] ، قال أنس : فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعا ، وقد سبقهم إلى الصوت ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ، في عنقه السيف ، وهو يقول : «لم تُرَاعوا ، لم تُرَاعو» [2] .

وكان أشد الناس حياء وإغضاء ، قال أبو سعيد الخدري : كان أشد حياء من العذراء في خِدْرها ، وإذا كره شيئا عرف في وجهة [3]، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد ، خافض الطرف ، نظره غلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، لا يشافه أحدًا بما يكره حياء وكرم نفس ، وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيء يكرهه ، بل يقول : «ما بال أقوام يصنعون كذا» .

وكان أعدل الناس ، وأعفهم ، وأصدقهم لهجة ، وأعظمهم أمانة ، اعترف له بذلك مجاوره وأعداؤه ، وكان يسمي قبل نبوته الأمين ، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام ، روى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له : إنا لا نكذبك ، ولكن نكذب بما جئت به ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام :٣٣] [4] وسأل هرقل أبا سفيان ، هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال : لا .

وكان أشد الناس تواضعا ، وأبعدهم عن الكبر ، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك ، وكان يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويجيب دعوة العبد ، ويجلس في أصحابه كأحدهم ، قالت عائشة : كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، ويعمل بيده

(١) انظر : الشفاء للقاضي عياض ١/ ٨٩ ، ومثل ذلك روى أصحاب الصحاح والسنن .

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٢٥٢ ، وصحيح البخاري ١/ ٤٠٧ ، و«لم تراعوا» : لم تفزعوا ولم تخافوا .

(٣) صحيح البخاري ١/ ٥٠٤ .

(٤) مشكاة المصابيح ٢/ ٥٢١ .

كما يعمل أحدكم في بيته ، وكان بشرًا من البشر يَفْلِي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه [(١)].

وكان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ورحمة بالناس ، أحسن الناس عشرة وأدبًا ، وأبسط الناس خلقًا ، أبعد الناس من سوء الأخلاق ، لم يكن فاحشًا ، ولا متفحشًا ، ولا لعانًا ، ولا صخابا في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، وكان لا يدع أحدا يمشي خلفه ، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس ، ويخدم من خَدَمَه ، ولم يقل لخادمه أف قط ، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه ، وكان يحب المساكين ويجالسهم ، ويشهد جنائزهم ، ولا يحقر فقيرًا لفقره . كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : عليّ ذبحها ، وقال آخر : علي سلخها ، وقال آخر عليّ طبخها ، فقال ﷺ «وعليّ جمع الحطب» ، فقالوا : نحن نكفيك . فقال : «قد علمت أنكن تكفوني ولكني أكره أن أتميز عليكم ، فإن الله يكره من عبد أن يراه متميزًا بين أصحابه» ، وقام وجمع الحطب [(٢)] .

كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخَّاب ولا فحاش ، ولا عتاب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يقنط منه. قد ترك نفسه من ثلاث : الرياء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحدًا ، ولا يعيره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه ، كأنما على رءوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا . لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم حديث

(١) مشكاة المصابيح ٢/ ٥٢٠ .

(٢) خلاصة السير ص٢٢ .

أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب مما يعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق .

وعلى الجملة ، فقد كان النبي ﷺ محلى بصفات الكمال المنقطعة النظير ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، حتى خاطبه مثنيًا عليه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم :٤] وكانت هذه الخلال مما قرب إليه النفوس ، وحببه إلى القلوب ، وصيره قائدًا تهوى إليه الأفئدة ، وألان من شكيمة قومه بعد الإباء ، حتى دخلوا في دين الله أفواجاً .

وهذه الخلال التي أتينا على ذكرها خطوط قصار من مظاهر كماله وعظيم صفاته في بشريته ، أما حقيقة ما كان عليه من الأمجاد والشمائل في نبوته ورسوليته وسراجيته المنيرة وروحه العالية الفريدة، فأمر لا يدرك كنهه ، ولا يسبر غوره وليس له فيها (مِثْل) ، ومن يستطيع معرفة كنه أعظم بشر في الوجود بلغ أعلى قمة من الكمال ، استضاء بنور ربه ، حتى صار خلقه القرآن ؟

وإنه بهذه الصفات والشمائل وبغيرها التي اتصف بها وتميزت بها شخصيته في بشريته وسيرته وأحداثها في دعوته ورسالته وفي عظمته في إنسانيته ورحمته بالناس ورأفته بهم أسوق بعض الأمثلة لشهادات علماء ومفكرين ومثقفين وفلاسفة وأدباء من غير المسلمين قالوا قولة الحق إنصافًا للنبي محمد واعترافًا منهم بعظمة شخصه وتأثيره الكبير في دنيا الإنسانية.

* «**الخالدون مائة.. أعظمهم محمد**» . (مايكل هارت) عالم الفيزياء والفلك.

* «**يكفيه فخرًا.. أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق، وفتح لها الطريق إلى التقدم والرقي**» . (ليو تولستوي) الأديب العالمي الروسي.

* «**لقد تنبأت لدين محمد، أنه سيكون مقبولاً وملائمًا لأوربا في الوقت الحاضر**»

. (جورج برنارد شو) الكاتب المسرحي.

* «**محمد أقلا إليه ، وأعظم من إنسان .. إنه نبي**» . (ألفونس لامارتين) الأديب والشاعر الفرنسي.

* «**محمد بطل في صورة رسول، ورسالته صوت حق صادق**». (توماس كارليل) المؤرخ البريطاني.

* «**عظمة محمد الحقيقية.. جاءته من الله ، ومن وحي الله إليه**» . (إميل درمنجم) المستشرق الفرنسي.

* «**هو أول من أسند إلى المرأة... دورًا حقيقيًّا في الحروب**» . (ر.ف. بودلي) الكاتب الأمريكي.

* «**كان سحر بيانه شيئًا إلهيًّا.. يغزو القلب ويأسر اللب**». (اتيين دينيه) الفنان الفرنسي.

* «**محمد أعظم العباقرة الذي عرفهم التاريخ**». (كارين أرمسترونج) الكاتبة البريطانية.

* «**حكم دولة الإسلام بالعدل، ولم يترك عند وفاته دينارًا ولا درهمًا**» . (واشنطن آرفنج) المؤرخ الأمريكي.

* «**إيمان محمد العميق في وجود الإله الواحد، أحدث انقلابًا كليًا في النوع البشري**». (الكونت هنري ديك استري) الكاتب الفرنسي.

* **اللورد هيدلي: «كان محمد مثابرًا ولا يخشى أعداءه لأنه كان يعلم بأنه مكلف بهذه المأمورية من قبل الله ومن كلفه بهذا العمل لن يتخلى عنه، وأن أخلاقه الربانية اقتفت العبره بأن جائزها هو من عند الله وعلى الصراط المستقيم»** واللورد هيدلي

أسلم في حياته.

* **رينيه جينوه** المتعمق في الدراسات الفلسفية والدينية والصوفية . وقد أسلم في حياته ومؤلفاته كثيرة منها كتاب «**أزمة العالم الحديث**» ، وكتاب «**الشرق والغرب**» وقد حرّمت الكنيسة قراءة كتبه.

* الدكتور **برينيه فرنسي** أسلم في حياته : «**إنني أيقنت أن محمدًا أتى بالحق الصريح منذ أكثر من ألف سنة من قبل أن يكون معلم أو مدرس من البشر**» .

في يوم القيامة

ويبقى يوم القيامة المنتظر من كل الخلق وينتظر الناس فيه ساعة الحساب. ففي الموقف الرهيب في يوم القيامة وأهواله التي تشيب منها الولدان حيث ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ، يتطلع الناس إلى النبي محمد صاحب المقام الذي يحمده عليه الناس (المقام المحمود) الذي ينالهم فيه خيرا كثيرا وقال عنه الله في القرآن العظيم لنبيه وخاتم رسله محمد ﷺ ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[الإسراء :٧٩] ليكون النبي محمد يومها وساعتها هو المنقذ وهو المخلص وهو الشفيع الأكبر بإذن الله تحقيقا لكونه رحمة الله للعالمين في الدنيا والآخرة كما يقول الله في كلامه في القرآن﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] ويومها ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[التحريم :٨] لأن الميزان الحقيقي والفيصل الحق هو كما يقول الله تعالى في القرآن العظيم﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾ [النساء :٨٠] وكان الرسول نفسه موجها ليقول كما جاء في القرآن العظيم ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[آل

عمران :٣١] وكما في الآية ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران :٣٢] .

وبعـد يقـول الله تعـالى في القـرآن العظـيم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

وفي نهاية الكتاب هذه هي الفتوحات الربانية في الصلاة عـلى الـذات محمديـة على قدري وليس على قدرها.

الجوهرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب :٥٦]

اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّمْ بِجَمِيع أَسْمَائِكَ وصِفَاتِكَ عَلَى شَمْس الأَنْوارِ وَضُحاهَا * وَسَراجِ الأَرْوَاح وهُدَاهَا *نَجْم الاهْتِدَاءِ فِي مَدَارِجِ التَّوحِيدِ بلاَ أَوْحَالٍ *وإِمَام الاقْتِدَاءِ فِي مَعَارِجِ التَّقرُّبِ لله المَتَعالِ *عَوَالِمُ الأَمْرِ مَنْجَذِبَةٌ إِليْه فِي سَمَاءِ عُلاَهَا * ومَشَاهِدُ التَّوحِيدِ مَرْئِيَّةٌ لَدَيْهِ عِنْدَ سِدْرَةِ مُنْتَهاهَا * مِنْ مُحِيْطِ مَعَارِفِهِ نَسْتَمِدُّ الإرشَادَ وَالهدايَةَ * وَمِنْ نُور قُرْآنِهِ نَقْتَبِسُ العِلْمَ وَالدِّرَايَةَ * كَوْكَبَةُ الأَنْبِيَاءِ هو نَجْمُهَا * وَصُفُوفُ الملائكةِ هُوَ إِمَامُهَا * وَعَوَالِمُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ هُوَ رَحِيمُهَا * اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ عَلَى مَنْ لَهُ فِي النَّهارِ سَبْحًا طَويلاً * وَلَه فِي اللَّيْلِ للْقُرآنِ تَرْتِيلاً * وَلِذَلِكَ فَآياتُ الحقِّ لِرُوحِهِ مُجْلِيَّةٌ * وَأَنْوَارُ الْحَقِيقَةِ فِي سِرِّهِ مَرْئِيَّةٌ * وَمَعَانِي الأَسْمَاءِ فِي بَاطِنِهِ مَطْوِيَّةٌ * فَهُوَ أَعْلَمُ خَبيْرٍ بالرَّحِمَنِ * وَأَكْمَلُ هَادٍ بِالقُرآنِ * اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى مَنْ فِيهِ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ سَائِلَةٌ * وَغُيُوثُ الْمَعانِي من فؤادِهِ هَاطِلَةٌ * وأَسْرَارُ الوُجُودِ فِي عَقلِهِ كَامِلَةٌ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ بِذِكْرِك * وَنَبِيِّكَ الْمَعْصُوم بحفْظَكَ * الدَّاعِي إِلَيْكَ بإِذْنِكَ * الدَّالِ عَلَيْكَ بِأَمْرِكَ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِك وَرسُولَكَ الخَاتَمِ * السِّرَاجِ النُّوريِّ القَائِم * بالرَّوح القَويِّ الهَائِمِ * فِي ظِلِّ الرَّفيقِ الأَعْلَى الدَّائِم * صَلاةً وَسَلامًا يَليقَانِ بجَمَالِ نُورِ رُوحِهِ فِي عُلاهُ * وَكَمَالِ صِفَاتِ أَخْلاقِهِ فِي مَعْنَاهُ * واسقِنَا مِنْ مَوْرِدِ حِكْمَتِهِ الْوَفِيرَةِ * حتَّى

نَتَحقَّق بأسرَارِ سِرَاجيَّتِهِ المَنِيرَةِ * فَنَحْتَمِي بأَمانِ حصْنِ حِمَايَتِهِ * وَنَنْعَمَ بالوِقَايَةِ مِنْ إِبْلِيسَ وَذُرِيَّتِهِ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّكَ الهَادِ بِكَ إِلَيْكَ * ودَلِيلكَ الدَّالِّ بنُورِ كَلاَمِكَ عَلَيْكَ * هِدَايَةَ السَّالِكِينَ المُهَاجِرين إِلَيْكَ * وَمُنْتَهَى الوَاصِلِينَ المَطْلُوبِينَ لَدَيْكَ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى صَاحِبِ الإِسرَاءِ فِي أعْلَى مَقَامَاتِ العَبْدِيَّةِ * وصَاحِبِ المِعْرَاجِ المتَخَطِّي لِسَمَاوات الأَرْوَاح العُلُويَّة * المُتَجَاوِزِ فِيه برُوحِهِ لِكُلِّ الأَبْعَادِ الكَوْنِيَّةِ * وَلِكُلِّ طَاقَاتِ الوُجُودِ النَّارِيَّةِ والنُّورِيَّةِ * المُتَحَقِّقِ فِي حَضْرَةِ السَّلام بشُهُودِ كُبْرَى الآياتِ * أَنْوَارِ مَنْ تجلى الأسماء والصفات * شاهِدِ للأحديَّةِ* مَشْهودٍ فِي العَبْدِيَّةِ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلى الجَوْهَرَةِ الفَرِيدَة في كَنْزِ الخَلِيقَةِ * لا مِثْلَ لَهَا ولا مثيلَ * ولا غِنى عَنْهَا ولا بَدِيل * اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّم عَلَى مَنْ هُوَ فِي سَمَاءِ الرِّفْعَةِ لا مِثْلَ لِمَقَامِهِ عِندَ الحقِّ * وفِي أرضِ الهداية لا مَثِيلَ لِمَقَامِهِ بَيْنَ الخَلِقَ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَوَّلِ مُرَادٍ لِذَاتِكَ فِي تَقْدِيركَ * وآخِرِ رَسُولٍ بكلاَمِكَ فِي تَدْبيرِكَ * سَفِينَةِ النَّجَاةِ مِنْ هَوْلِ القِيَامَةِ * وَبِرُّ الأَمَانِ بالطُّمَأْنِينَةِ والسَّلاَمَة * اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى مَنْ بِهِ عُرِفَ الحَقُّ وَظَهَر * وزَهَقَ البَاطِلُ وانْدَحَرْ * زِينَةُ الدُّنْيَا مِنْ نَفسِهِ زَائِلَةٌ * وَمَشَاهِدُ الآخِرَةِ لِعَيْنِهِ ماثِلَةٌ اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَيْهِ كَمَا لاَ يَزَالُ فِينَا بسِرِّ وَصَالِهِ * وسُنَّةِ أَقْوَالِهِ وأَفْعَالِهِ * حَيٌّ فِي القُرآنِ حَيَاةَ الأَرْوَاح * وَنُورٍ فِي الفُرْقَانِ حَيَاةَ الأَشْبَاح * دَلِيلِ كُلِّ طَالِبٍ هُوَ فِي الحَقِيقَةِ مَطْلُوبٌ * وَمُحِبٍّ هُوَ فِ الحَقِيقَةِ مَحْبُوبٌ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْمُطَّهَّرِينَ الأَطْهَارِ * وعَلَى أَصْحَابِهِ البُدُورِ والأَنْصَارِ * والتَّابِعِينَ وتَابِعيهِمْ فِي المَسَارِ .

الدُّرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

اللَّهُم صَلِّ وسلِّمْ بِكُلِّ اسْـمٍ سَـمَّيْتَ بِـهِ نَفْسَـكَ * أَوْ أَنْزَلْتَـهُ فِـي كِتَابْـك * أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا من خَلْقِكَ * أو اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِـي عِلْـمِ الغَيْـبِ عِنْـدَكَ * عَلَـى السِّـرَاجِ المُنِيرِ لمدارج الأَرْوَاح النُّورَانِيَّةِ * والنُّورِ الهَادِي لِمَعَارِجْ العَوَالِمِ العُلْوِيَّةِ * مَـنْ بِـهِ عُرِفَ الحَقُّ واهتدى إليه الخلقُ * صلاةً نَرْتَوِي بِهَا مِـنْ فُيُوضَـاتِ غَيْـثِ الـرَّءُوفِ الرَّحِيمِ * ونَهْتَدِي بِهَا مِنْ نُورِ رُوحِ القرآن العظيم * اللَّهُـم صَـلِّ وسَـلِّم علـى دُرَّةِ النبييِّن فِي لتُؤمِنُنَّ بِهِ ولتَنْصُرُنَّه * وَنَبَأ الـذِّكْر بَعْـدَ حـينٍ لَـتَعْلَمنه * إِمَـامِ الأنبيـاء والمُرسلين في إسرائِهِ * المُعظَّمِ في الكِتَـابِ المَسْـطُورِ بآيـات إطرائـه * لا يصـلُ واصلٌ إلا إلى مقَامه البَادِي * ولا يَهْتَدِي حائرٌ إلا بنورِهِ الهَادِي مَركَزِ الجَـذبِ فِـي دائِرَةِ العَوالِمِ المَخْلُوقَةِ * وَنُورِ الهُدَى في مَعَارْج التَّقَرُّبِ المَطْرُوقَـةِ * اللهـم صـل وسلم عَلَى مَنْ أفاضَ الحِكْمَة على المؤمنين من عَيْنِهِ سَلسَبيلاً * وأَذَاقهُمْ مِنْ نُـورِ قُرآنِهِ شَرَابًا كَان مْزاجُهُ زَنْجَبِيلاً * اللَّهُم صَلِّ وسَـلَّمْ عَلَيْـهِ وقَرَّبنـا مـن مجلسـه يـومَ القِيَامَةِ * واجعلهُ الشَّفِيعَ لنَا حتَّى نَبْرَأَ مِنْ النَّدَامَةِ * بِسرِّ قَبـولِ شَـفَاعَتِهِ عنـدَكَ فِـي مَقَامِه المَحْمُودِ * وَقُرْبِهِ منك بِتَوحِيد ذَاتِك المَعْبُودِ * اللَّهُم صَلِّ وسَلَّم علـى مـن أَعْطَاهُ رَبُّه فأرضَاهَ * وأوحى إليه القرآن فَهداهُ واصطفاه * وجَمَّلَهُ بِأخلاقـه وكلَّمـه وأدناه * واجعلنَا مِنَ الصَّالِحِينَ المذكُورِينَ فِي حَضرَةِ مَولاه * فِي خَلْـوَةِ السَّـلامِ

بِسِرِّ ما أَوْحَاهُ * اللَّهم صَلِّ وسلِّمْ عليـهِ واجعَـلْ عُقُولنـا مَنيـرةً بأسـرار الآيـاتِ في بيانِه* وقُلُوبَنَا مُهْديَّةً بنُورِ الحِكْمَـة فِـي قرآنـه * ونفوسـنا مُطْمَئِنَّـةً بنُـور الحـقِّ في فرقَانِه* حتَّى نَدْخُلَ في عبادِكَ وجَنَّاتِكَ * ونَفْقَهَ مَعَانِيَ الـذِّكرِ في آياتِـك * ونَـذُوقَ حَلاوَةَ الإيمان * ونرتَقِي بالشُّهودِ إلى مَرَاتِـبِ الإحسَـانِ * ونَثْبُـتَ بـالعلمِ في حـقِّ الإيقَانِ * اللَّهُمَّ صَلِّ وسلَّمْ عَلَيْهِ وجمِّلْنَا بالإخلاصِ لِذَاتِكَ المُعِينِ * حتَّى نَتَحَقَّـقَ بِذِكْرِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وحِين * ونَنْعَمَ بِمَعِيَّةِ المُقَرَّبِينَ وأَهْلِ اليَمِـينِ * وَنَقتَـربَ مِـنْ مَجلسِهِ في الآخِرَةِ * ونَتَبَّعَ سُنَّتَهُ فِي كُلِّ مَنْهِيَّةٍ وآمِرَةٍ * لِنكُونَ من المرضِيِّ عنهُم مِـنْ جَنَابِكَ * المَقْبُولِينَ لديه في رِحَابِكَ * اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وعلى آلِـهِ الطَّـاهِرِينَ المُطَهِّرِينَ * وأَصْحَابِهِ وأَنْصَارِهِ والتَّابِعِينَ * وتابِعِهِمْ بِإِحْسَانٍ إلى يومِ الدِّينِ .

النَّفيسَةُ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب :٥٦] .

اللَّهُم صَلِّ وسلَّم بِجَميع أسْمَائِكَ الجَمَالِيَّةِ والكَمَالِيَّةِ عَلَى مَنْ مِنْهُ بَدَتْ أَسْرَارُ الحِكْمَةِ بالبَيَانِ * وبِهِ ظَهَرَتْ أَنْوَارُ الهدايَةَ بِالقُرْآنِ * مِنْ هو فِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ وفِي السَّمَاءِ مَحْمُود * دَلِيلُنَا الدَّالُّ على الإلَهِ المَعْبُودِ * شَاهِدٌ لِلأَحَدِيَّةِ وفِي العَبْدِيَّةِ مَشْهُود * ذِكْرُهُ وَفِيرٌ لَدَى النَّبِيِّينَ فِي السَّابِقيَّةِ * وَنَعْتُهُ مُنِيرٌ فِي كُلِّ الرِّسَالاتِ السَّمَاوِيَّةِ * إليهِ يَشْتَاقُ كُلُّ مَوصوفٍ بِالمَعِيَّةِ * وكُلُّ مُتَكَمِّلٍ بأخلاقِهِ العَلِيَّةِ * الصَّلاةُ عليهِ مَأمُورَة * والمَحبَّةُ لِذَاتِهِ مَأْثُورَةٌ * كَهْفُ الشَّرِيعَةِ أَمَانٌ لِمَنْ أوى إليهِ * وَعِلْمُ الحقِيقَةِ بَيَانٌ لِمَنْ أَنْصَتَ إِلَيْهِ * هِدَايَةُ الأروَاحِ المُتَّجِهَةِ للذَّاتِ العَلِيَّةِ * وَقُدْوَةُ الأَشْبَاحِ المُتَّبِعَةِ لِسُنتِهِ السَّنِيَّةِ * المَقْرُونُ باسْمِ الله في التَّوْحِيدِ * الهَادِي إلى الله لِكُلِّ ضَالٍّ وَبَعِيد * بَسِرِّ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ * وَمَا نَهاكم عَنْهُ فَانتُهوا * ذَاتُهُ مَوْصُولَةٌ بأَيْدِ القَدِيرِ وَمَنْ سَمَا * بسِرِّ وَمَا رَمَيْتَ إذ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى * اللَّهم صَلِّ وسلَّمْ عَلَى المَعْصُومِ مِنَ النَّاسِ بالرَبِّ الإلَه * المَحْفوظِ بِالعِنَايَةِ مِنْ خَالِقِهِ ومَولاه * عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ * قُدْوَةِ كُلِّ مَهْدِيٍّ * وإِمَام كُلِّ تِقِيٍّ * كُلُّ مَحَبَّةٍ لك سبحانك وَاقِعَةٌ فِي اتِّبَاع سُنَّتِهِ وَهُدَاهُ * فَقَدْ قُلتَ إن كَنتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله * وَكَذَلِكَ غُفْرَانُ الذُّنوبِ * بإخلاصِ التَّوْبَةِ لِمَنْ يَتُوبُ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلَّمْ عَلَى نِعْمَةِ الله عَلَيْنَا * وسِرَاجِ القُلُوب لَدَيْنَا * الأحبِّ من أنفسنا

إِلَيْنَا * اللَّهُم صَلِّ وَسَلَّمْ عَلَيْه فَحُبُّهُ نَجَاةُ كُلِّ مُؤمِنٍ طالبٍ * وَرَحْمَتُهُ حِمَايَةُ كُلِّ قَلْبٍ وَقَالِبٍ * رَسُولٌ مِنْ أنفُسِنَا جَاءَنَا بِالهدَايَة * عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتْنَا بِالحِرْصِ وَالرِّعَايَةِ * اللَّهُم صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى مَن جَعَلْتَهُ نَائِبًا فِي المُلكِ عَنْكَ بِقَوْلِكَ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله * وَأَيَّدتَّ ذَاتَه باسم ذَاتِكَ بِقَوْلِكَ يَدُ الله فوقَ أيديهم * بذلك بانت مكانتهُ * وعظُمتْ كَرَامَتُه * اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيهِ وكَمِّل إيمانَنا بالتَّسلِيمِ لِمَا قَضَاه * وانشِلنَا مِنْ أوحالِ التوحيد ولو أدناه * وطَهِّر بالصَّلاةِ عَليهِ نُفُوسَنَا بالسَّلامَةِ * حتّى نقترب من مجلِسِهِ يَومَ القِيَامَةِ * وَنَرَى حُسْنَ صِفَاتِهِ وجَمَالَ مُحَيَّاه * ونَجلِسَ بَين يَدَيْهِ وهُوَ القَرِيبُ لِمَولاه * اللَّهم صَلِّ وَسَلِّمْ على مَن جَاءَنَا بأنبَاء الغيب مُوحاةً إليهِ * وَبالرَّحِمَةِ تَتَنَزَّلُ عَلَيْنا مِنْهُ وَلدَيهِ * اللَّهُم صَلِّ وَسَلَّم عليه فَذَاتُهُ الطَّاهِرَةُ مَهبطُ الرَّوح الأمِين * وعَبدِيَّتُهُ لِرَبِّهِ قُدْوَةٌ لِلأَنْبِيَاءِ والمُرسَلِين * كُلُّ مَعَارِجَ للقُرْبِ بِغَيْرِ هَدْيِهِ هَابطَةٌ * وكُلُّ أعمَالٍ فِي غَيْرِ أَدَبٍ مَعَهُ حَابطَةٌ * وكُلُّ مَسَالِكَ بِغَيْرِ قُرآنِهِ سَاقِطَةٌ * لا وصولَ إلاَّ مِنْ بَابِه * ولا قَبُولَ إلاَّ فِي رِحَابِهَ * اللَّهُم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِهِ أَجْمَعِينَ * وَأَصْحَابِهِ والنَّاصِرِينَ * والتَّابِعِينَ وتَابِعِيهم بإحسان إلى يوم الدِّين .

نبذة عن المؤلف

ـ ولد في بني سويف من محافظات مصر عام ١٩٣٨م وعاش في القاهرة .

ـ حصل على الثانوية العامة الإنجليزية (GOE) من كلية فكيتوريا بالقاهرة (VICTORIA COLLEGE) عام ١٩٥٤م ، ثم حصل على ليسانس الحقوق مكن جامعة القاهرة عام ١٩٥٩ .

ـ تلقى محاضرات الدراسات العليا بقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق جامعة القاهرة والمعهد العالي للدراسات الإسلامية بالقاهرة .

ـ دورة في المعهد الاستراتيجي للأمن القومي بالقاهرة .

ـ دورة في أكاديمية ناصر للعلوم الاستراتيجية .

ـ حاضر في المعهد الدبلوماسي عن دولة الفاتيكان وتلقى بالمعهد دورة تحضرية لمنصب السفير .

ـ التحق بمدرسة الإمام محمد ماضي أبو العزائم الصوفية الجامعة بين الشريعة الإسلامية والحقيقة الروحية وخلالها تأسس بنيانه الديني الإسلامي واتسعت ثقافته الدينية العلمية والصوفية .

ـ عمل في سفارات مصر في البرازيل والسودان والسعودية وماليزيا وسلطنة بروناي، وكوريا الديمقراطية الشعبية (الشمالية) ، وقنصلاً لمصر في جدة ونيويورك ، ثم سفيرًا لمصر في ماليزيا وسلطنة بروناي وكوريا الديمقراطية الشعبية.

ـ اتصل عبر عمله في السلك الدبلوماسي المصري في الخارج بالثقافات المختلفة ، ومكنته إجادة اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية ، كسب خبرات الاحتكاك بهذه الثقافات في البلاد التي عمل بها أو زارها .

ـ حاصل على وسام الاستحقاق في مصر في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات وعلى أكبر وسام من اللجنة المركزية الشعبية للحزب في كوريا الديمقراطية الشعبية .

ـ شارك في برنامج دولي ثقافي بماليزيا قدم خلاله معارف إسلامية وشعرًا عن فلسطين وشعبها.

ـ جده لوالدته فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمد العباس المهدي شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الأسبق .

ـ له العديد من المؤلفات الإسلامية ذات نهج يجمع بين الدين والعلوم الحديثة والتوجه الصوفي الروحي .

***كتب للمؤلف لم تنشر بعد**

١ـ رؤية في الإسراء .

٢ـ مكارم الأخلاق في الإسلام .

٣ـ الله يتجلى بأسمائه الحسنى وطاقاتها .

٤ـ واقترب الوعد الحق ـ يوم القيامة .

٥ـ زي المرأة المؤمنة ولباس التقوى .

٦ـ إبراهيم الخليل عليه السلام .

٧ـ تجديد الخطاب الديني في الإسلام (لم يكتمل بعد) .

٨ـ قراءة في الإنسان من القران .

٩ـ أضواء على القرآن العظيم .

١٠ـ أضواء على الفكر الاقتصادي في الإسلام .

١١ـ محمد ﷺ .

١٢ـ الإمام محمد ماضي أبو العزائم ـ مجدد الدين في زماننا .

١٣ـ مع الإمام المجدد أبي العزائم .

١٤ـ الله نور السماوات والأرض ـ ومثل نوره .

١٥ـ موسى والعبد العالم .

١٦ـ يوسف الصديق وامرأة العزيز .

١٧ـ أخلاقيات المال في الإسلام .

١٨ـ مشاهد في جوهرة الصلاة .

١٩ـ الطريق إلى الله ـ دين ودنيا .

٢٠ـ الحقائق الغائبة ـ في كتاب موجز تاريخ الزمن لستيفن هوكنج .